اليسار الأوربى

اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

العدد الخامس و الخمسون / سبتمبر ١٩٩٤ م / ربيع الاول ١٤١٥ هـ / الثمن ١٥٠ قرشا مصريا

« إجهاض » مؤتمر السكان .. و القضايا الغائبة

ربيع التعاون المصرى - الأمريكى

مواقف جديدة للإخوان المسلمين

أمريكا تتدخل... هاييتى أم كوبا؟

صناعة الأفلام بأسلوب مفاوضات كامب ديفيد

اليمن .. و مفارقات الانفصال و الوحدة

سقطت الاشتراكية الثانية . تحيا الاشتراكية الثالثة

في هذا العدد

** موقفنا
مؤتمر السكان بين «الاجهاض» وضياع القضايا الرئيسية.....رئيس التحرير ٤
**الجو السياسي
الاوضاع في مصر- التجمع. الانتخابات فردية- الاخوان المسلمون................٧
** مصر
ربيع التعاون المصري الاسرائيلي..........................محمود الخضيري ١١
قضية عزل استاذ جامعي مريض..........................مصباح قطب ١٣
الحركة النسائية بين الواقع والطموح..........................فريدة النقاش ١٥
بين الاسلام ثورة اجتماعية..........................محمد عبد القدوس ١٨
الاشتراكية والبسار..........................د. خليل حسن خليل ٢١
التخبط المنظم..........................د. سمير حنا صادق ٢٣
** العرب
مابين مطرقة اسرائيل وسندان «حماس»..........................نظير مجلي ٢٤
سلام اسرائيل.. تمزيق العرب..........................مدحت الزاهد ٢٧
اليمن ..مأزق الاندماج ومفارقات الانفصال والوحدة... د. عبد السلام نور الدين ٣٠
** العالم
السؤال في أمريكا: نتدخل أو لانتدخل؟..........................سمير كرم ٣٤
فرنسا وشبح الجزائر الاسلامي..........................د. مجدي عبد الحافظ ٤٠
ثلاث مراحل لاستعادة روسيا للاشتراكية..........................احمد الخميسي ٤٤
اليسار الاوربي في ستراسبورج..........................مجدي نصيف ٤٦
الفكر الغربي بين تفكك الحداثة وتجديد الاشتراكية.........د. مجدي عبد الحافظ ٤٨
**كتب
سقطت الاشتراكية تحيا الاشتراكية..........................فريدة النقاش ٥٤
** فكر
مستقبل الاستقطاب على صعيد عالمي..........................د. سمير أمين ٦٠
** فن
بين فيلمي حكمت فهمي وقائمة شندلر..........................احمد يوسف ٧٣
«منيا» آه..«أسيوط» لا.......................... ماجدة موريس ٧٧

** أبواب ثابتة
اسلام لاكهانة: خليل عبد الكريم (٢٠) تيارات (٦٦) أرشيف اليسار :
د. رفعت السعيد (٧١) يمين في شمال (٧٩) مشاغبات: صلاح عيسى (٨٤).

اليسار زمن

مفاجأة حجازي

عندما لم يصلنا كاريكاتير الغلاف للفنان حجازي في العدد الماضي، تصورنا أن هناك طارئا عطله هذه المرة. لكن المفاجئة كانت عندما اتصل به رئيس التحرير ليلقى حجازي بقنبلته..لقد توقف عن رسم الكاريكاتير وتفرغ للأطفال. لم يستطع رئيس التحرير أن يقنعه بتغيير قراره.

وأكد حجازي أنه توقف منذ فترة طويلة عن رسم الكاريكاتير، وظلت لوحة غلاف اليسار هي صلته الوحيدة لفترة، الى أن أصبح غير قادر على الاستمرار. ولم نملك الا احترام قراره الذي نفهم أسبابه وإن كنا لانوافق عليها. فكلمته النافذة الحارة كالسيف العميقة والبسيطة في أن والتي كانت تحتل غلاف اليسار منذ صدورها، تشتد الحاجه اليها في هذه الأيام الصعبة. ورغم كل شئ فلم نفقد الامل أن يفاجئنا حجازي بالعدول عن قراره. مجرد أمل..

ويتواكب مع موقف حجازي اضطرارنا لتغيير نوع ورق «اليسار» بعد أن ارتفع ثمن الورق بصورة مفاجئة - أيضا- رغم انخفاض قيمة الدولار في العالم كله.

ولانظن أن قراءنا سيغضبون لان لون الورق قد اختلف ولم يعد ناصع البياض. فالمهم كما نتصور هو الموقف ومستوى المادة ومقدار تكاملها والالتزام بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا عند صدور هذه المطبوعة.

مرة أخرى فنحن نراهن دائما على مساندة القراء، وتضامنهم معنا.

اليسار

رئيس التحرير
حسين عبد الرازق
المشرف الفنى
محمود الهندى
المستشارون
إبراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم انيس
عبد الغفار شكر
عبد الغنى ابو العينين
محمود امين العالم

شارك فى التأسيس
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى
يصدر عن التجمع الوطنى
التقدمى الوحدوى فى اليوم
الاول من كل شهر

Al YASSAR 1 KARIM El DAWLA St. TALAAT HARB SQ.
CAIRO EGYPT

الاشتراكات (لمدة سنة واحدة)
مصر:
١٨ جنيها للافراد و٤٥ جنيهاً للهيئات
الوطن العربى: ٥٠دولاراً امريكيا او مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى او حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب- القاهرة
ت: ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٢٨١
فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨ -
FAX:5786298

موقفنا

مؤتمر السكان ..
بين الاجهاض ..
و ضياع القضايا الرئيسية

حسين عبد الرازق

يبدأ يوم الأثنين ٥ سبتمبر الحالى بالقاهرة المؤتمر الدولى للسكان والتنمية والذى تنظمه الأمم المتحدة كل عشر سنوات (**بودابست ١٩٧٤- مكسيكو ١٩٨٤**) وتشارك فيه ١٨٦ دولة ويواكبه مؤتمر مماثل للمنظمات غير الحكومية يبدأ يوم ٣ سبتمبر ويشارك فيه حوالى ٢٠ ألف ممثل. وقد نجح المؤتمر- قبل أن يبدأ- فى أن يفرض الاهتمام به على جمهرة المواطنين فى مصر. ولكنه للأسف الشديد اهتمام فى غير موضعه. فقد سقط المؤتمر ضحية لمنهجين خاطئين تماما.

فجماعات وأحزاب الاسلام السياسى وبعض المؤسسات الدينية وصحف الإثارة، انقضت على مشروع الوثيقة الختامية للمؤتمر والتى تم إعدادها فى «اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولى للسكان والتنمية، الدورة الثالثة، ٤-٢٢ أبريل ١٩٩٤» والتى تقع فى ٩٥ صفحة من النسخة العربية لتقتنص منها بعض العبارات صارخة مولولة ومؤكدة أن المؤتمر يعقد خصيصا فى القاهرة، بلد الازهر الشريف، والدولة التى ينص دستورها على أن الإسلام دين الدولة الرسمى، **بهدف القضاء على الدين والأخلاق وإباحة الشذوذ الجنسى، وحرية الاتصال الجنسى**، والاجهاض، ولتطلق على المؤتمر اسم «**مؤتمر الاجهاض والشذوذ**»، داعية إلى منعه والتصدى له.

وفى رد فعل عصبى- وغبى- انطلقت الأجهزة الحكومية وصحفيوها يدافعون عن المؤتمر، باعتبار أن عقده فى القاهرة شهادة لصالح الحكم «**يزيل الكثير من الآثار التى تركها الارهاب**» على

السياحة والأمن والاستقرار، ومصدر للعملة الصعبة، وأن الحكومة لن تقبل أى توصية تمس الدين والاخلاق أو تروج للإباحية والانحلال.

وبين أولئك وهؤلاء، ضاعت القضايا الرئيسية والحقيقية التى تتعلق بالمؤتمر وقضية السكان والتنمية.

أول هذه القضايا وأجدرها بالاهتمام،

حسنى مبارك



هو المنهج الخاطئ الذي ساد- منذ مؤتمر مكسيكو ١٩٨٤- والذي يحول مشكلة السكان إلى مشكلة زيادة في النسل في دول العالم الثالث .(الجنوب) (أوالدول النامية) متجاهلا لب وجوهر **المشكلة المتمثلة في توقف وتراجع التنمية في دول الجنوب نتيجة للسياسات الاقتصادية التي فرضتها الدول الرأسمالية الكبرى في أمريكا وأوربا (الدول الصناعية السبع أساسا) على العالم كله.**

والحقائق التي توضح هذه المقولة كثيرة ومتعددة.

-فمتوسط الزيادة السكانية سنويا في العالم ١٫٧٪ ،بينما متوسط النمو الاقتصادي الحالي- رغم سيادة الركود والكساد- أكثر من نسبة الزيادة السكانية حيث يصل إلى أكثر من ٢٫٢٪ على مستوى العالم ككل.

- وتؤكد الدراسات (الغربية) أن الموارد الطبيعية في العالم تكفي احتياجات ٣٠ مليار نسمة ، بشرط استغلال هذه الموارد استغلالا متوازنا. وعدد سكان العالم حاليا **٥٫٥ مليار نسمة** ، وينتظر أن يصل إلى **٦٫٥ مليار** عام ٢٠٠٠ ، أي أنه لاتوجد مشكلة حقيقية تتعلق بالموارد الطبيعة ومدى كفايتها لمواجهة ،أي زيادات محتملة في سكان العالم.

- هناك خلل بالغ في توزيع الدخل العالمي. ففي البلدان الثرية (الشمال) هناك **٢٢٨ مليون نسمة** يتحصل كل منهم في المتوسط على دخل سنوي يقدر بـ **(٢٠٥٧٠) دولار سنويا.**

وفي البلدان المتوسطة هناك **١٤٠٧ مليون نسمة** يتحصل كل منهم في المتوسط على دخل سنوي يقدر بـ **(٢٤٨٠) دولار سنويا.**

وفي البلدان الفقيرة (الجنوب) هناك **٣١٢٧ مليون نسمة** يتحصل كل منهم في المتوسط على دخل سنوي يقدر ب **(٣٥٠) دولار سنويا.**

أي أن المشكلة كما تؤكد الدراسات الموضوعية هي «**مشكلة خلل في توزيع الانتاج** ، ناتج عن **خلل أكبر من توزيع إستغلال** مايتوافر من الموارد **على امتداد المعمورة**». وبدلا من مواجهة استغلال الشمال للجنوب والسفه الاستهلاكي في الشمال (الدول الصناعية) وتصحيح أنماط هذا الاستهلاك، تسعى دول الشمال الرأسمالية المتحكمة في السياسة الدولية والأمم المتحدة، لفصل قضية السكان عن جذورها الاقتصادية والاجتماعية.. لأن المواجهة الصحيحة لقضية السكان عن طريق التنمية الفعلية للجنوب، تفرض على البلدان الصناعية مسئولية عملية لاتريد تحملها.

وتشير دراسة لعالمين غربيين «**ناثان كايفيتش**» المحاضر في جامعة هارفارد الأمريكية، و«**كيرستين كيسلينج**» نائب رئيس أكاديمية العلوم الملكية في السويد.. إلى أنه يمكن إزالة جزء هام من الخلل القائم ورفع متوسط الدخل الفردي في البلدان الفقيرة جميعا إلى ثلاثة أضعاف **من ٣٥٠ دولار إلى ١٠٥٠ دولار سنويا)** ، وهو الحد المطلوب لزوال الفقر والمجاعات والاوبئة والجهل، وذلك بتحويل الانتاج، وبالتالي الدخل، بقيمة ٢٫٢ مليار دولارسنويا من البلدان الثرية إلى الدول الفقيرة ومن ثم تتبدل الصورة من دون أن تنقص رفاهية الفرد الغربي الابقدر ضئيل ليصبح متوسط الدخل السنوي للفرد في البلاد الثرية ١٧٨٨٣ دولار... وهو مايرفضه العالم الرأسمالي. ويطالب **بدلا من ذلك بمنع ٣٣ مليون إنسان في الجنوب من الانجاب ليبقى من موارد الارض مايكفي لتغطية مايستهلكه مولود جديد في بلد ثري** من البلدان التي تشجع الانجاب بكل وسيلة. (فسياسة السكان التي تدعو اليها الأمم المتحدة هي مكافحة الانجاب وتحديد النسل في الجنوب، والدعوة لزيادة النسل في الشمال)

القضية الثانية التي تستحق الاهتمام في هذا المؤتمر، ويتم تجاهلها عن عمد أن قضية تنظيم النسل- وهي مطلوبة في جميع الحالات- ليست هي المدخل للقضاء على الفقر وتحقيق التنمية . بل العكس هو الصحيح. **فالقضاء على الفقر وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية هو الذي يؤدي إلى تنظيم النسل.** فالشمال الصناعي والثري يعاني اليوم من انخفاض هائل في الانجاب بل وانعدام الانجاب في بعض الأحيان مما أدى إلى ظاهرة خطيرة ، وهي زيادة عدد المسنين غير القادرين على الإنتاج، مقابل تناقص نسبة العاملين في سن الانتاج بالمقارنة مع عدد السكان، مما أدى إلى الدعوة لزيادة النسل.

وفي تجربة مصر الناجحة نسبيا في تنظيم النسل وتخفيضه لم يتراجع الفقر بل العكس هو الحادث . وكما يقول د. **حمدي عبد العظيم** استاذ الاقتصاد وعميد أكاديمية السادات بطنطا.. «المشكلة تكمن في عدم وجود برامج وخطط تنمية اقتصادية حقيقية لاستيعاب السكان في مجالات عمل منتجة.. ولذلك نجد- رغم إنخفاض معدل نمو السكان- أن معدل البطالة يتجه إلى الزيادة، كما أن متوسط نصيب الفرد يتجه إلى الانخفاض».

القضية الثالثة ، أن الشمال (الرأسمالي) في ظل اصراره على فرض هذا المفهوم الخاطئ لقضية السكان، يواصل سياسة افقار الجنوب، عن طريق العديد من الاتفاقيات والمؤسسات الدولية ، مثل **صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير واتفاقات الجات** والتي تعمل جميعا على تكريس عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب في «إطار مايسمى حرية السوق وحرية التبادل التجاري». كما يواصل سياسة تدمير البيئة في مجتمعات الجنوب عبر الشركات المتعددة الجنسية ، حيث يوجد «**٥٠٠ شركة متعددة الجنسية تقوم بانتاج وتسويق ٨٠٪ من السلع الملوثة للبيئة**».

وفي ظل تجاهل «المؤتمر الدولي للسكان والتنمية» لجوهر قضية السكان وخضوع الدول النامية (الجنوب) لسياسات ومنهج دول الشمال، فالمؤتمر لن يزيد عن كونه تظاهرة عالمية لتعميق الأزمة وتأكيدها.

ومع ذلك فالقضايا الجزئية والتفصيلية التي يتعرض لها المؤتمر ومشروع وثيقته الختامية، قضايا بالغة الأهمية. فالمؤتمر يناقش تحت عنوان «المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة» أوضاع النساء، والطفولة ومسئوليات الرجال ويناقش أوضاع الاسرة والعلاقات بين الجنسين والصحة وأوضاع المراهقين.

فمثلا يلزم برنامج العمل المطروح المجتمع الدولي بأهداف كمية في ثلاثة مجالات مترابطة وذات «أهمية في تحقيق الاهداف السكانية والإنمائية المهمة الاخرى» ، وهي:

١- التعليم وخاصة تعليم البنات. فطبقا للبيانات المتاحة نعدد الاميين في العالم ٩٦٠ مليون نسمة ثلثاهم من النساء . وهناك نحو ١٣٠ مليون من الاطفال بمن فيهم أكثر من ٩٠ مليون طفلة محرومين من فرص الحصول على التعليم الابتدائي (الاولى).

٢- توفير فرص الوصول الشامل لخدمات تنظيم الاسرة والخدمات الصحية التناسلية.

٣- خفض معدل وفيات الرضع والاطفال والأمهات.

ويقودنا ذلك مباشرة إلى الاهتمام الواسع الذي يبديه مشروع الوثيقة الختامية للمؤتمر بالمرأة. وهو اهتمام مشروع وصحيح في مجمله فكما تقول الوثيقة.. «فالمرأة تتاح **لها فرصة أقل في الحصول على التدريب والائتمان والملكية الحقيقية والموارد الطبيعية والاعمال ذات الأجر الأفضل**» وتطالب .. بـ «بذل جهد أكبر من ذلك بكثير لتعزيز المشاركة الكاملة للمرأة، في جميع نواحي التنمية، ويجب على الرجل المساعدة في القضاء على التمييز ضد المرأة، وأن يلتزم بحماية المرأة والأطفال من الإيذاء والعنف الجنسيين..»

وفي هذا الاطار وردت الاشارة أكثر من مرة لقضية «**الاجهاض**» وتقدر الوثيقة حالات الاجهاض التي تحدث سنويا بخمسين مليون حالة، مشيرة إلى أنه «في بعض البلدان ينتج مايصل إلى نصف عدد وفيات الأمهات من عمليات الاجهاض غير المأمونة». وهو أمر نعرفه في مصر جيدا حيث يموت آلاف النساء نتيجة للإجهاض غير الأمن، رغم أن الاجهاض محرم قانونا في مصر.

وكما سبق القول فقد حظيت هذه القضية باهتمام وتركيز بالغين في مصر، بصورة كادت تلغي كل ماجاء في وثيقة المؤتمر وتحصرها في هذه القضية. وقد سجل البيان الذي أصدره «**المركز الدولي الاسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر**» أن وثيقة المؤتمر لم تطالب بإباحة الاجهاض. وقال في بيانه نصا: «إنه لمن الانصاف أن **مشروع برنامج عمل المؤتمر لم يدع إلى تسويق الاجهاض كطريقة لتنظيم الاسرة صراحة..**» إلا أن البرنامج يلفت الاهتمام إلى العواقب الصحية الوخيمة لعمليات الاجهاض غير السليمة وكذلك معالجته بصفته قضية صحية بالنسبة إلى المرأة. وتضيف الدكتورة «نفيس صادق» المديرة التنفيذية لصندوق الاسكان التابع للأمم المتحدة والأمينة العامة لمؤتمر القاهرة...» **وإن مايقدر بـ ٥ر٢ مليون امرأة تموت كل عام نتيجة للإجهاض غير السليم.. ولانستطيع أن نستمر في تجاهل هذه المأساة.** وهناك ١٧٣ بلدا في **الأمم المتحدة تسمح بالاجهاض لحماية حياة وصحة الأمهات**» ويتفق الأزهر والكنيسة الكاثوليكية في الاجهاض. فيقول الازهر في بيانه «إن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف قد انتهى إلى أن الحمل محرم اسقاطه مطلقا (ولو نتج الجنين عن زنا أو اغتصاب) الا إذا كان هناك سبب طبي يقتضي المحافظة على حياة الأم» وشن البابا حملة ضد المطالبة بإباحة الإجهاض، واتهم البابا «يوحنا بولس الثاني» بابا الفاتيكان الولايات المتحدة الأمريكية والمجموعة الاوربية بممارسة «الامبريالية الثقافية» ومحاولة فرض اللا أخلاقية على دول العالم بإباحة الإجهاض والشذوذ الجنسي وهدم الاسرة.

فبالاضافة لقضية الاجهاض فقد اعترض الأزهر على بعض ماورد في الوثيقة، مثل «التغاضي عن النشاط الجنسي للمراهقين عن غير طريق الزواج» أو الحديث عن زواج الشواذ، أو أن تكون خدمات الرعاية التناسلية والجنسية- بمافي ذلك تنظيم الاسرة- في متناول الجميع دون اشتراط الزواج، والمساواة بين الذكر والأنثى في حقوق الميراث.. الخ.

المثير للانتباه أن المعترضين على هذه الفقرات تجاهلوا عن عمد أن الوثيقة ذاتها تنص على أن: «**صياغة وتنفيذ السياسة السكانية هي مسئولية كل بلد، وينبغي أن يؤخذ في الاعتبار الظروف المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسة في كل بلد**، فضلا عن المسئوليات المشتركة لجميع سكان العالم عن المستقبل المشترك».

كما نصت أيضا على أن «**وضع وتنفيذ السياسات السكانية حق سيادي لكل أمة**».

باختصار فإن مسئولية السياسات السكانية في مصر ترجع في الأساس لما تقرره الحكومة ولما تختاره من وثيقة المؤتمر.

والسؤال الحقيقي هنا.. ماذا ستختار الحكومة من سياسات عقب انفضاض المؤتمر وصدور الوثيقة؟

* هل ستفهم ماجاء في الوثيقة من أن «**تحقيق التنمية المستديمة يرتبط** بتخفيف حدة **الفقر، كما أن القضاء على الفقر يحتاج إلى نمو اقتصادي** مطرد»، أم تواصل سياستها التي أدت إلى توقف التنمية وتراجع متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي وازدياد تكاليف المعيشة..؟

***هل ستتمسك بسياسة تخلي الدولة عن مسئولياتها في توفير الخدمات المجانية أو الخدمات ذات السعر المعقول وتترك الصحة** والتعليم نهبا لما تسببه **سياسات السوق..**؟ أم ستستجيب لما أشارت اليه الوثيقة حول مسئولية الدولة في توفير الرعاية الصحية للمرأة والطفل والقضاء على الأمية، خاصة أمية النساء، وضمان حق التعليم للطفل.. الخ؟

***وأهم من هذا وذاك.. هل ستدرك أن السياسة الصحيحة للسكان، هي القائمة على تصحيح العلاقة بين الشمال والجنوب وتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية صحيحة ومضطردة..** أم انها ستخضع لضغوط الولايات المتحدة والعالم الرأسمالي الذي يحاول تقديم مساعدات تهدف إلى الحد من النسل لصالح سياساته، وتعتمد على عنصر الإكراه والتخويف؟

فالملاحظ أن هناك دولا صناعية عديدة «باتت تربط تقديم القروض إلى دول الجنوب، بشروط مؤداها ربط الاستفادة من تلك القروض بمشاريع تتعلق بالحد من الإنجاب، أكثر مما تتعلق بمكافحة البطالة والتصحر وسوء التخطيط والفساد..»

ومنذ سنوات أشار مسئول أمريكي إلى أن «المواد الغذائية سلاح.. **إنها في الوقت الحاضر أفضل سلاح نحمله في حقائب مفاوضاتنا مع الاخرين**»، مشيرا إلى أن أمريكا وأوربا تحتكر أن حوالي ٦٠٪ من تجارة الحبوب في العالم. وهناك تصريحات أمريكية عديدة تربط بين الالتزام بما ينتهي اليه مؤتمر القاهرة للسكان، وبين اعطاء المعونات

*يبقى التساؤل الأخير حول ذلك الموضوع الملتهب، وهو الاجهاض، **هل سنظل نغمض الأعين على أن هناك آلاف النساء يذهبن ضحية الاجهاض في مصر في ظل القوانين والاوضاع السائدة..** أم أن هناك طريقا صحيحا، بين التحريم والإباحة، هو طريق التنظيم الذي يلتزم صحيح الدين. فالازهر يقول بوضوح في بيانه بجواز الاجهاض حفاظا على حياة الأم. **والفتوى الصادرة عن دار الافتاء في مصر تجيز الاجهاض في الأشهر الاربعة الأولى استنادا إلى ماقاله فقهاء المذهب الحنفي من جواز إسقاط الحمل مالم يتخلق منه شيء، وهو لايتخلق إلا بعد ١٢٠ يوما، مؤكدين إن هذا الاسقاط مكروه بغير عذر.**

وأخيرا هل نملك القدرة على المشاركة في المؤتمر وتقييمه برؤية شاملة وبادراك لجوهر مشكلة السكان، أم إنه محكوم علينا في هذا الزمن الردئ بالغرق في الجزئيات بهذه الحجة أو تلك.. والاندفاع إلى الادانة أو الدفاع حسب مصالح صغيرة مؤقتة.

الجو السياسي

الأوضاع فى مصر بعيون غربية

كتب: أشرف شهاب

تعرض التقرير ربع السنوى حول مصر والذى تصدره وحده المعلومات بجريدة الايكونوميست البريطانية والمنشور فى نهاية شهر إبريل ١٩٩٤ للعديد من القضايا والمعلومات حول المناخ السياسى والاقتصادى وقضايا تتعلق بالطاقة والصناعة والزراعة والسياحة والتجارة الخارجية لمصر.

يقول التقرير...

أظهرت الجماعات الاسلامية المسلحه قدرا كبيرا من التحدى للحكومة المصرية. وقد اتضح أنهم لايلقون تأييدا شعبيا ويواجهون قدرا كبيرا من الصعوبات بسبب السياسات الأمنية العنيفة والتى أحكمت الحصار حول الدعم الخارجي الذى كانت تلك الجماعات تتلقاه.

واستمرت أسيوط مصدرا رئيسيا للقلق وللعنف السياسى أكثر من أى منطقة أخرى فى مصر. واستمرت القاهرة كمسرح رئيسى للأحداث وللمواجهات. وتولى الحكومة المصرية اهتماما كبيرا وأولويه للمواجهة مع تلك الجماعات. وسيظل الاستقرار هو الأمل المنشود خلال عامى ١٩٩٤ و١٩٩٥. وتشير الأحداث إلى أن الحكومة المصرية ستظل محكمة قبضتها على السلطة دون السماح بمشاركة سياسية واسعة.

ولن يسفر الحوار الوطنى الذى طال انتظاره مع مجموعات المعارضة الشرعية عن أى تقدم ملموس سواء دستوريا أو حتى اصلاح سياسي، خاصة وأن المعارضة لاتمتلك تأييدا شعبيا قويا يمكنها من إجبار السلطة على ذلك.

وتلعب مصر دورا سياسيا مهما على المستوى العربى والافريقى وخصوصا بالنسبة للغرب، كما أنها تلعب دورا فى عملية السلام فى الشرق الأوسط وخصوصا المحادثات الفلسطينية الاسرائيلية. مما يؤهلها للدخول فى عمليات مهمه مع الجارة غزة. وستظل علاقة مصر قوية مع السعودية ودول الخليج الأخرى رغم أن مساعداتهم ستقل نظرا لانخفاض اسعار النفط فى السوق العالمية.

والسياسات الاقتصادية المصرية ملتزمة بمهام وواجبات محددة فى إطار خطة الثلاث سنوات لتحرير الاقتصاد المصرى والموقعة مع صندوق النقد الدولى فى سبتمبر ١٩٩٣ وأن كان ايقاع الاصلاحات بطيئا حتى هذه اللحظة وذلك بسبب خشية الحكومة من احتمالية حدوث قلاقل إجتماعية تثيرها تلك الصعوبات الاقتصادية الناجمة عن تلك الخطة. مما يؤهل الجماعات الاسلامية للتزايد العددى. ومن المتوقع أن تقوم الحكومة المصرية خلال الشهور القليلة القادمة باستعراض لحسن نواياها من أجل إعفائها من ديون تساوى ٤ بليون دولار امريكى مرهونه بتنفيذ مصر لاتفاقياتها مع صندوق النقد الدولى حتى يونيو ١٩٩٤. ولاتزال المباحثات مستمره وربما لن يتم هذا الاعفاء إلا فى ديسمبر.

وتركز مصر فى ١٩٩٤، ١٩٩٥ على عملية الاصلاح الهيكلى من أجل تشجيع القطاع الخاص. وأن كانت هناك مقاومة بيروقراطية لعملية بيع ٣١٤ شركة قطاع عام بالاضافة الى أن هناك نقصا فى الخبره والمهارة والخوف من البطالة. وتقدر البطالة فى مصر بحوالى ١٤٪ من قوة العمل المقدرة بـ ١٥ مليون طبقا لتقديرات منظمة العمل الدولية. ولكن تقارير غير رسمية تشير الى أن المعدل الصحيح يتعدى ٣٠٪ من قوة العمل واذا استمرت تلك السياسات فانها قد تتراوح مابين ثلث الى نصف قوة العمل المصرية إجمالا. وهناك مقاومة لعملية بيع القطاع العام مما سيؤخر قليلا عملية البيع.

وتقول الحكومة انها سوف تطبق قوانين جديدة فى ١٩٩٤، ١٩٩٥ منها

١- قانون العمله الجديد الذى يلغى القيود على تصدير الجنيه المصرى

٢- فتح الباب للاستثمارات الخارجية للدخول الى السوق التأمينية

٣- قانون الإيجارات الجديد الذى سيلغى القيود على الايجارات الجديدة بنهاية ٩٤ وجميع المساكن بنهاية ٩٥.

٤- قانون العمل الجديد الذى يعطى العمال حق الاضراب وحق الاحتجاج الجماعى.

٥- القانون الموحد للاستثمارات والنشاط التجارى.

٦- قانون القطن والذى سيرفع القيود عن تجارة القطن

٧- قانون patent (براءات الاختراع) الجديد

وستستقر معدلات التبادل فى اسعار الصرف للجنية المصرى لكسب ثقة المستثمر. وتشير البيانات الى أن إجمالى الدخل فى فترة الـ ١٢ شهرا حتى يونيو ١٩٩٣ تختلف تبعا لعده مصادر ولكن هناك إتفاقا عاما على انخفاض واردات مصر من السياحة والبناء، وظل الارتفاع النسبى فى الوارد من قطاعى الزراعة والصناعة.

المشهد السياسى

تواصلت معدلات العنف فى الارتفاع وتؤتى المواجهة الأمنية ثمارها ولكن ببطء، وهناك أكثر من ٣٥٠ قتيلا وقعوا ضحايا لعمليات العنف فى العامين الأخيرين، وجرح حوالى ٧٣٥. واعتقلت الحكومة حوالى ٢٩,٠٠٠ متطرف طبقا لبيانات الداخلية المصرية. وتم اعدام ٥٠ من الاسلاميين بموجب احكام عسكرية سريعة. **وفى ١٧ مارس الماضى أدين اثنان عسكريان بمحاولة اغتيال الرئيس مبارك وذلك فى منطقة قاعدة سيدى برانى الجوية بالقرب من الحدود الليبية (أشارت**

اليسار فى عدد ابريل ١٩٩٤ الى هذه المحاولة فى موضوع ماضى الجزائر قد يكون مستقبل مصر») . واغتالت الجمعات الاسلامية اللواء رءوف خيرت رئيس قسم مكافحة النشاط الدينى والذى كا له دور بارز فى معركة الحكومة ضد الإرهاب وذلك خارج منزله بالقاهرة.

وفى ١٠ ابريل مرر مجلس الشعب المصرى قانونا يعطى لوزارة الداخلية حق تعيين العمدة ونائبه، وقالت المعارضة أن هذه ردة عن الديمقراطية وردت الحكومة بأن الكثير من العمد كانوا فاسدين ولم يبذلوا أى جهد للتعاون مع قوات الأمن. ويتيح القانون الجديد للمرأة حق شغل منصب العمدة للمرة الأولى. وفى١١ أبريل مرر المجلس قرارا بتمديد حالة الطوارى فى البلاد لمدة ٣ سنوات قادمة حتى ١٩٩٧/٥/٣١.

وكان القانون الأول قد صدر فى أعقاب اغتيال السادات. وقد عارض تمديد القانون ١٢ عضوا من البرلمان من أصل ٤٥٨ عضوا.

وفى إطار المواجهات الأمنية مع الجماعات الاسلامية ، اعتقلت الحكومة عددا من قيادات تلك الجماعات وأعلن أحد محاميهم وهو **عبد الحليم مندور** عن الرغبة فى الحوار مع الحكومة من أجل وضع حد للعنف ولم تبد الحكومة فى المقابل أى رغبة فى ذلك. وقامت الجماعات بعد ذلك بتوجيه تحذيرات عبر الفاكسات الى أى شخص يحاول مساعدة النظام المعارض للإسلام. وتلى ذلك مجموعة من الهجمات ضد السياحة فهاجموا ثلاث سفن نيلية قتل فيها سائح المانى. وفى هجمات ضد القطارات التى تعمل على خط القاهرة - الاقصر- اسوان جرح ١٣ مصريا و٨ أجانب. وفتحت الجماعات الاسلامية جبهة جديدة عندما هاجمت البنوك المصرية بسبب انها بنوك ربوية غير اسلامية ووجهوا تحذيرا الى المصريين لكى يسحبوا أموالهم من تلك البنوك ثم هدأت الأمور لفترة فى القاهرة واستمرت المواجهة فى اسيوط. وطبقا لبيانات رسميه فقد قتل ٥٤ شخصا منهم ٣٠ من رجال الشرطة و١٣ مدنيا و١١ من أعضاء الجماعات.

أما بالنسبة للحوار الوطنى والذى يؤمل من خلاله الى تشكيل لجنة قومية لمناهضة الارهاب فقد تأجل من منتصف فبراير الى ابريل ثم الى مايو وأعلن الرئيس مبارك أنه سيسمى حوالى ٢٥ عضوا للجنة التحضيرية هم من قيادات الأحزاب والنقابات وبعض الشخصيات العامة، على أن تتقدم اللجنة بتقريرها فيما بعد الى الرئيس مبارك والذى كان قد حدد ٣ خطوط رئيسية يتم الحوار حولها.

وعلى الصعيد الاقتصادى.

فقد وصل فى ١٧ مارس الماضى فريق من البنك الدولى وغادر مصر بعد أن أبرز عدم رضاه عن آداء مصر لثلاثة أسباب رئيسية هى

١- نسبة التقدم البطيئة فى عملية الخصخصة

٢- تحرير التجارة

٣- اسعار الطاقة

وبالنسبة للموضوع الاول فإن الحكومة المصرية لم تبع سوى ٣ شركات من أصل ٢٢ شركة معدة للبيع وحتى أثناء وجود ذلك الفريق فإن تلك الشركات لم تكن قد بيعت بالكامل.

وبالنسبة لتحرير التجارة فقد خفضت مصر التعريفة الجمركية من حوالى ٨٠٪ الى ٧٠٪ كما هو مطلوب ولكنه بنسبة أقل طبقا لبرنامج التكيف الهيكلى. أما بالنسبة لأسعار الطاقة فإن صندوق النقد الدولى لايعتبرها مشكلة إذ أن هناك خطة طويلة المدى لتحرير اسعار الطاقة بنهاية شهر يوليو ١٩٩٥. وقد قال **عاطف عبيد** وزير الدولة للتنمية الادارية والبيئة إن عمليات البيع بالنسبة للأجانب ستكون محدودة وان ذلك لن يتعدى أصابع اليد الواحدة وسوف تعرض الحكومة اسهمها فى ٣١٤ شركة من أصل ٣٦٠ شركة للبيع وأعلن أن ٩٠ من تلك الـ ٣٦٠ شركة المملوكة للدولة هى شركات خاسرة ومدينه بديون تصل الى حوالى ٥٤ بليون جنية مصرى أى حوالى ١٦ بليون دولار أمريكى.

إن إحدى أهم خطط الحكومة وأهدافها من عملية الخصخصة هو بيع الاسهم للعاملين فى تلك الشركات المباعة. وطبقا لمجلة الأهرام الاقتصادى فإن حوالى ٧١ شركة قطاع عام قد طرحت ١٠٪ من أسهمها للبيع للعاملين فيها وتقدر قيمة تلك الأسهم بحوالى ٥ بليون جنيه مصرى أى حوالى ١٫٤٠ بليون دولار امريكى. وهناك تخفيض قدره ٢٠٪ للعمال الذين يقدمون على الشراء ومع تسهيلات ضخمة فى السداد تصل الى حوالى ١٠ سنوات.

ويشير تقرير للبنك المركزى المصرى إلى أن هناك نموا فى قطاعات البترول والكهربا، بنسبة ١٫٤٪ وفى التجارة بنسبة ٣٫٦٪ وفى الزراعة بنسبة ٢٫٩٪ والصناعة والتعدين ٢٫٧٪ وانخفض دخل السياحة بنسبة ١١٫٤٪ والبناء بنسبة ١١٫٩٪.

وبالنسبة للسكان ففى يونيو ٩٣ كان التعداد ٥٦٫٤ مليون مواطن ارتفع بنسبة ٢٫١٪ عن عام ١٩٩٢/١٩٩٣ . وطبقا لتقديرات البنك المركزى فقد كانت نسبة النمو السكانى فى العام الماضى حوالى ٢٫٣٪. وأعلن وزير السكان والأسرة د. ماهر مهران أن نسبة النمو السكانى فى القاهرة هى ١٫٦٪ بينما هى أكثر من ذلك فى المناطق الشمالية والجنوبية. وتشير تقديرات البنك المركزى إلى أن قوة العمل تقدر بحوالى ١٥٫٦ مليون مواطن منهم ١٤ مليون يعملون، وتصل لائحة الأجور فى مصر الى حوالى ١٤٫٥ بليون جنيه فى ١٩٩٢/ ١٩٩٣ أى أكثر من العام السابق له ٩١/ ٩٢ بحوالى ١٥٫٨٪.

وطبقا لاحصاءات رسميه عن مركز المعلومات ودعم صناعة القرار فإن نسبة التضخم السنوى قد إنخفضت الى ٧٫٣٪ فى فبراير ٩٤ مقارنة بـ ٧٫٤٪ فى يناير و٧٫٩٪ فى ديسمبر الماضى و١١٫١٪ فى نوفمبر . وفى منتصف مارس الماضى أعلن وزير التعاون الدولى يوسف بطرس غالى أن الحكومة تخطط لخفض نسبة التضخم الى ٧٪ فى شهر يونيو ليستقر عند معدل من ٣٪ الى ٥٪ بنهاية عام ١٩٩٥.

"التجمع" الانتخابات فردية.. والمهم النزاهة ووقف التزوير

وجهت الأمانة العامة لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ضربة موجعة لمحاولات الحزب الوطنى (أو تيار قوى فيه) تحميل أحزاب المعارضة التى شاركت فى مؤتمر الحوار الوطنى مسئولية التوصية «اللقيطة» الخاصة بالنظر فى تطبيق نظام الانتخابات

بالقائمة النسبية إذ أصدرت الامانة العامة بيانا أوضحت فيه بحسم موقفها من هذا الطرح وتمسكها بالانتخابات الفردية. واعطائها الاولوية لقضية توفير نزاهة الانتخابات.

قال البيان:

ناقشت الأمانة العامة موقف حزب التجمع من انتخابات مجلس الشعب القادمة عام ١٩٩٥ في اجتماعها يوم السبت ١٣ أغسطس ١٩٩٤ حيث لاحظت أن بعض الصحف القومية لاتلتزم بالحقائق فيما يتصل بالمناقشات التي دارت حول نظام الانتخابات في مؤتمر الحوار الوطني وفيما يتعلق بموقف التجمع، موحية بأنه قد وافق على الأخذ بنظام القوائم وهذا غير صحيح. فقد أعلن ممثلو حزب التجمع في مؤتمر الحوار الوطني أنهم يفضلون نظام الانتخاب الفردي وأنهم لن يبدوا الرأي بالموافقة أو الرفض على أي نظام أخر بدون وجود مشروع متكامل بالأسس والقواعد التي تحكم العمل بهذا النظام وقد أكد ممثلونا في مؤتمر الحوار انهم لايعطون صكا على بياض لأحد، وأنهم لايوافقون من حيث المبدأ على نظام انتخابي لايعرفون تفاصيله والقواعد المفصلة التي يقوم عليها، خاصة وأنه سبق تطبيق نظام القوائم في انتخابات ١٩٨٤، ١٩٨٧ المخالفة لأحكام الدستور وكان واضحا أن الهدف منه هو تحجيم أحزاب المعارضة بصفة عامة. وقد حكمت المحكمة الدستورية العليا بعدم دستورية هذا النظام مرتين. وقد انصب اهتمام ممثلي حزب التجمع في مؤتمر الحوار الوطني على قضية نزاهة الانتخابات وضرورة توافر ضمانات قانونية وموضوعية تكفل احترام رأي الناخبين وتضمن نزاهة الانتخابات باعتبارها الشرط الضروري والجوهري لاستقرار الممارسة الديمقراطية في مصر.

وقد انتهت مناقشات الأمانة العامة الى تحديد موقف حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي من الانتخابات على النحو التالي:

أولا: التمسك بنظام الانتخاب الفردي، ورفض نهج الحزب الحاكم في استسهال تعديل نظم الانتخابات مما يفقد الناخب ثقته في العملية الانتخابية وذلك حتى يتوافر نظام أفضل للانتخابات يستند الى الدستور ويكفل المزيد من الديمقراطية، والمزيد من امكانيات التعبير عن إرادة الناخبين، تشارك كل الأحزاب السياسية في بلورته، ولاينفرد الحزب الحاكم بوضعه وقد أكدنا أكثر من مرة استعدادنا للاسهام في أية مناقشة ستجرى في هذا الصدد.



خالد محيى الدين

ثانيا: ضرورة أن تكون الاولوية في نشاطنا السياسي خلال العام القادم من أجل توفير ضمانات قانونية وموضوعية لنزاهة الانتخابات باعتبارها الشرط الأساسي لجذب المواطنين الى ساحة العمل الديمقراطي السلمي بديلا للعنف والسلبية عندما يطمئن الناخب الى أن صندوق الانتخاب سيعبر بصدق عن ارادته. وتدعو الأمانة العامة كافة الاحزاب السياسية الى التعاون معا والتنسيق من أجل توافر هذه الضمانات وفي مقدمتها:

١- اصدار قانون جديد لمباشرة الحقوق السياسية طبقا للمشروع الذي تقدمت به أحزاب المعارضة للسيد/ رئيس الجمهورية يوم ١٩/٦/١٩٩٠ والذي قدمه الاستاذ خالد محيى الدين باسم الهيئة البرلمانية لحزب التجمع الى مجلس الشعب، والذي يركز بصفة خاصة على الاشراف الكامل للقضاء على الانتخابات واعادة تسجيل جداول الناخبين من خلال السجل المدني وعلى أساس الرقم القومي، وضرورة توقيع الناخب باسمه أو بصمته أمام اسمه، وتشديد العقوبة على تزوير الانتخابات.

٢- افساح المجال في الاذاعة والتليفزيون والصحافة القومية أمام تعدد الاراء وأن تكون لأحزاب المعارضة فرصة متكافئة مع الحزب الحاكم في هذه الأجهزة.

٣- الغاء القيود المفروضة على العمل السياسي الجماهيري بما يمكن أحزاب المعارضة من الالتقاء بجماهير الشعب وعرض مواقفها من قضايا المجتمع ومشاكله على المواطنين دعما لحق المواطن في التعرف على المواقف المختلفة والمفاضلة بينها.

ثالثا: تدعو الأمانة العامة لجان المحافظات وكافة أعضاء الحزب للاهتمام منذ الان بالاستعداد للمشاركة في انتخابات مجلس الشعب القادمة وقد وافقت على تشكيل لجنة من أعضاء الأمانة المركزية وبعض أمناء المحافظات لتنسيق النشاط الحزبي في الانتخابات واعداد تصور سياسي متكامل لموقف التجمع من هذه الانتخابات.

وبعد.. فان الأمانة العامة كانت حريصة في صياغتها لموقف التجمع من الانتخابات على توفير الشروط لاستقرار المجتمع الأمر الذي لايمكن أن يتحقق بدون ممارسة ديمقراطية حقيقية يشعر المواطن من خلالها أنه شريك في صياغة السياسات والقرارات التي تؤثر على مستقبله ومستقبل أولاده من خلال العمل السلمي الديمقراطي الأمر الذي يسهم في تقليل نوازع التطرف والعنف والارهاب.

ونحن نأمل أن يتفهم الجميع هذه الحقيقة في ذلك الحزب الحاكم فالوطن يمر بظروف صعبة وأوضاع عصيبة ولن يخرجه منها الا ممارسة ديمقراطية حقيقية وليس التلاعب بالانتخابات من أجل ضمان استمرار احتكار الحكم لحزب بعينه.

"الإخوان المسلمون" يعلنون مواقف جديدة لماذا؟

نشرت صحيفة الحياة (اللندنية) بيانا صادرا عن جماعة «الأخوان المسلمون» في مصر يوضح موقفهم من الارهاب والتنظيمات السرية ونظام الحكم، ومفهوم المواطنة، والنقابات المهنية والإصلاح السياسي.

أكد البيان أن الاخوان «يدينون العنف ويستنكرونه ويرفضون كل أشكاله وصوره وبواعثه، وذلك على أساس فهمهم لقيم الاسلام ومبادئه وتعاليمه. كما سبق واكد الاخوان مرارا ضرورة ايقاف أعمال العنف

والعنف المضاد من منطلق وقاية البلاد من نزيف الدم الذى حرمه الله، والحفاظ على المجتمع من الانهيار الاجتماعى والخراب الاقتصادى الذى لن يستفيد من ورائه الا أعداء الاسلام وخصوم المسلمين» و«أن الاخوان حاولوا من خلال التربية المستمرة والتوجيه المباشر للشباب دون وقوع عشرات الآلاف منهم فى براثن أعمال العنف».. ولم يحدث خلال الأزمات الماضية والحالية على كثرتها، والتى كان من الممكن أن تعصف بأمن الوطن واستقراره أن استغل الاخوان أى فرصة لتصفية حسابات أو ممارسة أى عمل من أعمال العنف، ولو على المستوى الفردى ،أو عقد إتفاقات أو تشجيع ممارسات من شأنها أن تضر بالصالح العام.

ونفى الاخوان وجود أى تنظيمات سرية لهم، ورفضهم لاسلوب العمل السرى من ناحية المبدأ..» فليس لدى الاخوان المسلمين أى تنظيمات سرية أو نية لعمل تنظيمات تعمل تحت الأرض بعيدا عن الأعين.. فالتنظيمات السرية لاتتفق ومنهج الاخوان وذلك واضح من خلال حركتهم ونشاطاتهم فى مجالات كثيرة عبر العقود الأخيرة، كما أن لافتاتهم وملصقاتهم موضوعة فى كل مكان من أرض مصر شاهد على أنهم يعملون فى وضح النهار وأنهم موجودون وسط الميدان يعيشون مع الناس ويمتزجون بهم ويشاركونهم أفراحهم وأتراحهم. ودخل الاخوان المسلمون انتخابات مجلس الشعب فى العامين ٨٤ و١٩٨٧ والمحليات عام ١٩٩٢ ، هذا فضلا عن الانتخابات المتعاقبة للنقابات المهنية المختلفة. وكان تحرك الاخوان فى هذه الانتخابات جميعها علنيا وظاهريا..»

وتناول البيان موقف الاخوان من النقابات المهنية مؤكدا أن «من حق الاخوان المسلمين كغيرهم من المواطنين أن يرشحوا أنفسهم لمجالس ادارات النقابات المهنية فى مصر. وتأتى نتائج الانتخابات الحرة والنزيهة فى كل مرة تعبيرا عن ثقة القواعد العريضة فى نقابات الأطباء، والمهندسين والتجاريين والعلميين والمحامين ونوادى أساتذة الجامعات فى مصر فى الأخوان..»

«وأفراد الاخوان داخل مجالس النقابات لايمارسون عملهم بمفردهم، وإنما يشاركهم فيه غيرهم وعلى رأسهم السادة النقباء الذين ينتمون فى معظمهم الى حزب الحكومة ، لم يحدث أن صرح أحد من هؤلاء يوما ما بأن ثمة تدخلا ما فى شأن هذه النقابة أو تلك من قبل الاخوان المسلمين». واهتم البيان بتوضيح موقف الجماعة من الازمة الاخيرة بين مجلس نقابة المحامين والحكومة ..«وبادئ ذى بدء، تقرر قيادة الاخوان أن لاشأن لها بماحدث من أزمة بين نقابة المحامين وبين الحكومة. وأنه لم يكن لها أى دور فضلا عن انهاماكانت تتمنى أن تصل الأحداث الى ماوصلت إليه.

ويمضى البيان لتأكيد تمسك الاخوان بالنظام والتزامهم بالدستور فمن «منطلق المادة الثانية من الدستور التى تنص على أن الاسلام دين الدولة ، واللغة العربية هى اللغة الرسمية للبلاد، والشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع ، يسقط على الفور إدعاء اتهام الاخوان بالحض على كراهية الاساس الذى يقوم عليه النظام العام. هذا فضلا عن أن الاخوان المسلمين يقدرون أن تكون للدولة مؤسساتها فأن يكون هناك فصل واضح بين السلطات، وأن النظام السياسى القائم على التعددية يقى الشعوب من أخطار الدكتاتورية والاستبداد. وصحيح أن هناك موادا فى الدستور تحتاج الى تعديل وأن هناك قوانين يجب أن تتواءم مع الدستور ، لكن الاخوان يوقنون أن هذه التعديلات يجب أن تكون بالوسائل السلمية ومن خلال المؤسسات الدستورية وعبر صناديق الانتخاب..»

وأوضح البيان أن الاخوان يرون أن «الاصلاح السياسى هو المدخل الحقيقى والأساسى لكل أنواع الاصلاح الأخرى.. ويتلخص هذا الاصلاح فى ضرورة إجراء انتخابات تشريعية تكفل لها كل ضمانات الحيدة والنزاهة وتشرف عليها السلطة القضائية اشرافا كاملا بدءا بإعداد كشوف جديدة للناخبين ومرورا بتوقيع كل ناخب قرين إسمه فى كشوف الادلاء بالاصوات ، وانتهاء بفرز الاصوات وإعلان نتائج الفائزين.. ويشارك الاخوان المسلمون كل الاحزاب والقوى السياسية فى البلاد ضرورة إيقاف العمل بقانون الطوارئ والغاء كل القوانين الاستثنائية المقيدة للحريات والموسومة بأنها سيئة السمعة..».

وحرص الاخوان فى بيانهم على تأكيد موقفهم من قضيتين مبدئيتين تعرضوا بسببهما لكثيرمن النقدو الهجوم.

* فسجلوا أن «الاخوان المسلمين ينتمون الى أهل السنة والجماعة ويعتبرون أنفسهم جماعة من المسلمين» وليس جماعة المسلمين كما كان يقال فى الماضى.

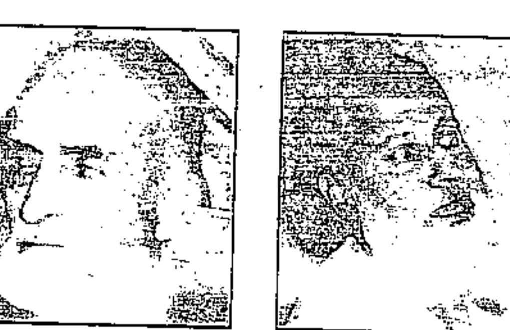
* وأعلنوا أن الاخوان يرون أن «المواطنة أو الجنسية التى تمنحها الدولة لرعاياها حلت محل مفهوم الذمة. وأن هذه المواطنة أساسها المشاركة الكاملة والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات ، مع بقاء مسألة الاحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث طبقا لعقيدة كل مواطن.. ويقتضى هذه المواطنة وحتى لايحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده ، يرى الاخوان أن للنصارى الحق فى أن يتولوا- باستثناء منصب رئيس الدولة- كل المناصب الاخرى- من مستشارين ومديرين ووزراء..»

لفت النظر أن البيان حمل توقيع الدكتور محمد السيد حبيب عضو مجلس الشعب السابق عن الاخوان المسلمين وليس توقيع المرشد العام او المتحدث الرسمى للجماعة وهو الامر الذى رجح التفسير القائل بان هذا البيان يأتى فى إطار محاولة الجماعة تخفيف التوتر مع الحكم والعمل فى إطار الشرعية القائمة حاليا.

اهتمت الدوائر السياسية والحزبية بهذا البيان ودلالاته ومدى تطابقه مع الممارسات الفعلية للاخوان المسلمين . كما اهتمت بتصريح «مصطفى مشهور» نائب المرشد العام للاخوان المسلمين والذى أعلن فيه الاخوان المشاركة فى انتخابات مجلس الشعب القادمة سواء أجريت بالنظام الفردى أو بنظام القوائم ، وأنهم سيخوضونها على قائمة حزب العمل «فمصلحة الطرفين تستوجب هذا الاتفاق نافيا بذلك ماتردد عن انهيار التحالف مع حزب العمل، والإشاعات الخاصة باتفاقهم مع الوفد فى تحالف جديد.



د. محمد السيد حبيب



مصطفى مشهور



ربيع التعاون المصرى الإسرائيلى

محمود الحصرى

تشير كل الدلائل الى أن الفترة المقبلة ستشهد أعنف عمليات المنافسة للتعامل فى كافة المجالات مع اسرائيل، ويخوض معارك التنافس كل الشركات والمؤسسات العامة والخاصة والحكومية. وتؤكد المعلومات أنه لايكاد يمر أسبوع، إلا ويصل وفد إسرائيلى يجوب البلاد بحثا عن مجال تعاون صناعى أو اقتصادى أو تجارى أو سياحى. وفى المقابل لايمر أسبوع إلا ويغادر البلاد وفد لإسرائيل لذات الغرض.

وشهدت الأيام الأخيرة وستشهد الايام القادمة حركة غير عادية لسفر وزراء وكبار مسئولين واقتصاديين الى تل أبيب من أجل ترتيبات لصفقات ومشروعات فى إطار منافسة إقليمية وعربية وشرق أوسطية.

وزراء فى اسرائيل

خلال المباحثات التى أجراها **شيمون بيريز** وزير خارجية إسرائيل مع الرئيس مبارك وعمرو موسى وزير الخارجية بالاسكندرية فى منتصف الشهر الماضى، ومن قبل وخلال مباحثات **إسحاق رابين والرئيس مبارك** فى طابا، كان موضوع توطيد العلاقات وزيادة تبادل سفر الوزراء، من مصر الى إسرائيل بنفس القدر الذى تقوم به الحكومة الاسرائيلية. وطلب الوفد الاسرائيلى قيام الحكومة المصرية بدعم النشاط السياحى وإرسال مزيد من الأفواج السياحية الى إسرائيل. وتشغيل رحلات من مطار القاهرة مباشرة الى مطار تل أبيب بدلا من قصرها على الاسكندرية.

وانتهت المباحثات إلى اتفاق على قيام عدد من الوزراء بزيارة اسرائيل لبحث العلاقات الثنائية بشكل أساسى، وجاء من هؤلاء الوزراء عمرو موسى وزير الخارجية ومحمود محمد محمود وزير الاقتصاد، د. ممدوح البلتاجى وزير السياحة ود. حمدى البنبى وزير البترول ويوسف بطرس غالى وزير التعاون الدولى علاوة على د. يوسف والى وزير الزراعة.

وتم الاتفاق أيضا على اعادة إحياء اللجنة التجارية المشتركة للبت فى ٦ مجالات للتعاون المشترك شبه متوقفة تماما منذ بدء العلاقات الثنائية، خاصة مجالات منع الازدواج الضريبى، ووضع ميزة نسبية فى الرسوم الجمركية المفروضة على السلع المتبادلة بين الطرفين وإقامة لجنة مشتركة للتعاون بين رجال الاعمال وهيئات الاستثمار والأعمال، والتطبيع العلمى الشامل.

أسرع وزارة

كانت وزارة البترول الأكثر حركة للاتجاه وبقوة للتعامل مع اسرائيل فعلى مدى الشهرين سافر الى تل أبيب ٣ وفود أحدها وزارى رأسه د. حمدى البنبى. وتم خلال هذه الزيارات الاتفاق على تشكيل لجنة لصياغة جديدة للتعاون بين مصر واسرائيل فى مجال البترول والبتروكيماويات. بحيث تسمح صيغة التعاون الجديدة بزيادة كميات البترول المصدرة لاسرائيل، والاتفاق مع شركات خاصة مباشرة لتقوم بإقامة مشروعات بترولية او فى صناعات متعلقة بها. كما تم الاتفاق على البدء خلال الفترة القادمة فى حوار واسع لانشاء مصفاة بترول بمنطقة غرب الاسكندرية. واتضح أن شركة «ميرهاف» الاسرائيلية والعاملة فى مجال البترول والمملوكه لرجل أعمال إسرائيلى يدعى «يوسف مايمان» أوفدت تلك الشركة وفدا للقاهرة منذ شهر، أنهى خلاله الدراسات الأولية لمشروع مصفاة غرب الاسكندرية

د. حمدى البنبى



د. لبنيس كامل جودة



د. يوسف والى

والتى سيصل حجم استثماراتها مليار دولار وستقوم الشركة الاسرائيلية بتوفير ٥٠٪ من رأسمال المشروع، وسيوفر القطاع الخاص فى مصر والدول العربية الجزء المتبقى. وستتولى المصفاة تكرير البترول بواقع ٥ ملايين طن سنويا يتم تسويقها داخل مصر وبالمنطقة ومنها إسرائيل، على أن يبدأ قبل نهاية عام ١٩٩٥.

ويضاف إلى ذلك التوصل لاتفاق مبدئى يتم على أساسه قيام شركات مصرية بتصدير البترول ومنتجاته إلى اسرائيل، وذلك من الدول التى لاتربطها علاقات تجارية ودبلوماسية باسرائيل، خاصة دول الخليج ومنها السعودية.

أما بالنسبة لخط نقل الغاز، مازال الأمر محل دراسة بعد طلب الحكومة من إسرائيل مزيدا من الدراسة خاصة جوانبها الاقتصادية والأمنية ومصادر التمويل.

البحث العلمى

ويأتى البحث العلمى فى مرحلة متقدمة للتعاون أو البحث عن مجالات تعاون مع اسرائيل ومع أوائل عام ١٩٩٤ وقعت د. فينيس كامل جوده وزيرة البحث العلمى مع شــالـومـيـت ألونى وزيرة البـحـث العلمى الاسرائيلى بروتوكول تعاون فى مجال تبادل المعلومات والخبراء، وترجمة الأعمال والبحوث المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيات فى كافة المجالات.

(وشكل الطرفان لجنة تعاون دائمة لترتيب مجالات التعاون حسب أولويات واحتياجات كل طرف. وعقدت تلك اللجنة أكثر من ١٠ اجتماعات منذ تشكيلها فى فبراير الماضى.

وفى شهر يونيو الماضى سافر د. على حبيش رئيس أكاديمية البحث العلمى الى اسرائيل أجرى خلالها التوقيع على مذكرة تفاهم للتعاون العلمى بين الاكاديمية والمؤسسات المناظرة.

وفى شهر يوليو الماضى وحتى أوائل أغسطس قام د. محمد اسماعيل رئيس المركز القومى للبحوث وعدد من باحثى المركز بزيارة الى تل أبيب تم خلالها ولأول مرة وضع برنامج للتعاون العلمى بين المركز المصرى ومركز فايتسمان العلمى الاسرائيلى وستظهر بوادر هذا التعاون قريبا فى شكل مشروع للبحث «الجيولوجى» بالصحراء الشرقية والنقب.

رالى الفراعنة

ووفقا للتعليمات والطلبات الملحه من جانب اسرائيل، تم التوصل بين مصر وتركيا وقبرص وإسرائيل الاتفاق بانشاء النظم الدولية لسياحة شرق البحر المتوسط (EMTA). وتعتبر تلك المنظمة خطوة لتعاون اوسع وأشمل مع إسرائيل فى مجال السياحة.

كانت ثمرة اتفاقية المنظمة تنظيم ٦ رحلات سياحية من مصر الى اسرائيل تضم كل رحلة ٨ أفواج من السياح.

(أما الثمرة الأهم فسوف يشهدها شهر اكتوبر القادم بعد مسابقة رالى الفراعنة الى سيناء فصحراء النقب حتى ميناء إيلات وذلك فى الفترة من ٢ الى ١٢ أكتوبر. وهى خطوة أولى- حسبما يقول المسئولون عن السباق- تنظيم رالى خاص باسم رالى السلام تشمل مصر وسوريا والاردن ولبنان وإسرائيل. وسيشهد العام القادم رالى رباعى يشمل مصر والاردن وفلسطين واسرائيل.

اللجنة التجارية

وبعد توقف دام أكثر من ١٠ سنوات بدأت تظهر فى الأفق من جديد عودة اللجنة التجارية المشتركة برئاسة وزير اقتصاد مصر واسرائيل، فى إطار خطة تعاون جديدة تماما.

وكان شهر أغسطس الماضى أكثر شهور العام ١٩٩٤ نشاطا لوزارة الاقتصاد والهيئات التجارية فقد سافر الى اسرائيل ٣وفود: الاول برئاسة د. أحمد الدرش وكيل أول وزارة التعاون الدولى وضم عددا من أساتذة الاقتصاد ورؤساء البنوك ورجال الأعمال. وجرت خلال تلك الزيارة اتصالات واسعة

سباق محموم للسفر الى تل أبيب محلى وإقليمى لتوقيع اتفاقيات

البترول والسياحة والتجارة والبحث العلمى احتلوا المراكز الأولى

اتفاق بين المركز القومى للبحوث ومركز فايتسمان الاسرائيلى

رالى الفراعنة يخترق سيناء الى ميناء إيلات لأول مرة

واستقبلهم رئيس الوزراء إسحاق رابين ورئيس اسرائيل. وتم خلال الزيارة ترشيح أسماء، أعضاء اللجان التجارية المصرفية للتعاون المشترك ووضع جدول لاعمال اللجنة الوزارية المشتركة.

وقام وفدان آخران من شركات التجارة والتصدير بزيارة لاسرائيل تم خلالها التوقيع على ٣ أتفاقيات لتصدير سلع مصرية الى اسرائيل، وسلع من اسرائيل لمصر على أن تخصص ٣٠٪ منها الى مناطق الحكم الذاتى.

وتأتى تلك الاجتماعات والوفود كخطوة لاجتماع مرتقب بين وزيرى اقتصاد مصر وإسرائيل بتل أبيب. لوضع اتفاق جديد يقضى بتبادل ٤٢ سلعه بين الطرفين، وانشاء جمعية لرجال الأعمال المصريين والاسرائيليين. وشعبة للتجارة بالغرفة التجارية، والتوقيع على بروتوكول تجارى لعام ١٩٩٥ والتوصل لحل بشأن عدة اتفاقيات مجمدة

وفى إحصاء لوزارة الاقتصاد عن سفر القطاع الخاص الى إسرائيل تم حصر ٩ وفود خلال الفترة من مايو حتى يوليو ١٩٩٤.

مؤتمر السكان

تبقى مشكلة واحدة مازالت معلقة أو قد يكون تم حسمها عند نشر هذا الموضوع، وهى تتعلق بمشاركة إسرائيل فى مؤتمر السكان. فقد رفض الجانب المصرى مشاركة إسرائيل والاكتفاء بوفد مراقب. وبررت الحكومة هذا الرفض بما ستثيره مشاركة اسرائيل من اعتراضات الدول العربية والاسلامية. وتصاعد الموقف عندما اشتكت اسرائيل للأمم المتحدة المنظمة للمؤتمر وهددت بمقاطعته وتصعيد الأمر لمستويات دوليه. ولكن يبدو أن إسرائيل ستشارك خاصة، بعد أن تم السماح لها بالمشاركة بوفود فى الجمعيات غير الحكوميه.

الأغرب من كل ذلك أن «فجور» إسرائيل وصل الى أن طلب ديفيد سلطان سفيرها بالقاهرة الى طلب بإرسال وفد أمنى لحراسة المشاركين فى المؤتمر. إلا أن وزارة الخارجية رفضت ذلك بشدة.

وفى النهاية يبقى أن نؤكد أن الأفراط فى التعاون مع إسرائيل يحتاج لوقفة وضوابط حتى تتضح الصورة السلبية كاملة.، خاصة وأن أول رد فعل إسرائيلى على قضية مؤتمر السكان كان شكوى للدكتور بطرس غالى وطلبا سخيفا بإرسال وفد أمنى يرأسه جنرال بدعوى الحماية لشخصيات عامة اسرائيلية.

فهل هذا معقول؟.

قضية عزل أستاذ جامعي مريض بسبب التدخين في رمضان تبشر بخريف ساخن

المؤسسة الرسمية وسياسة ملء الفراغ بعد ضرب الاخوان والجماعات

مصباح قطب

بقدر ما تحرص كل فئات الوطنية المصرية على ترقب الدور الروحى للأزهر (وللكنيسة)، بقدر مايبدى الكثيرون المخاوف من مخاطر تسييس المؤسسات الدينية الرسمية أو الأهلية، الاسلامية أو القبطية. ومنذ نحو عامين و الشواهد تتجمع لتشير إلى تنامى الدور السياسى للمؤسسة الرسمية الدينية (الأزهر والأوقاف)، كأثر فيما يبدو لشعور المؤسستين، بعمق حاجة الدولة إليهما، فى محنة مواجهة الارهاب والتغلغل الاخوانجى (بغض النظر عن فعالية دوريهما فى الواقع). ولدى طاقم القيادات فى المؤسستين ظهرت اتجاهات تعبر عن التطلع لدور «الشريك الكامل». كما تبلور تيار داخلهما يعكس شعور مجموع فيهما، وان بطريقة غامضة، بان أصبح له الحق، كشريحة من الطبقة الحاكمة، وكنواة تسند زير المشروعية، فى أن يكون مشاركا لدى كل «تقسيمة»، وعلى كل الساحات، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. والاعلامية (راجع اعمال مؤتمر الدعاة).

عجل بهذا التطور، ضمن عوامل أخرى، تراجع عوائد رجال العلم الدينى من العمل، والعلاقات لدى الدول النفطية ومعها وسرعة انحسار المد الارهابى والاخوانجى، وهو المد الذى كان يستند إلى تدعيمات (فردية أو غير فردية) من المؤسسة الرسمية، خفية وعلانية. الآن ماالذى يجبر الرسميين على دور التابع او المدعم؟ ولم لايكون العكس؟.

واذا كانت قضية د. نصر حامد أبو زيد قد اعتبرت بمثابة نقطة تحول فى الصراع بين الدولة من جهة- حيث رفض قضاؤها المدنى دعوى التفريق - وبين المؤسسة غير الرسمية (الارهخوانية) فان قضية د. محمود أمين خيال استاذ علم الادرية بكلية طب الأزهر بنين، والذى عزله مجلس تأديب الجامعة، لأنه كان يدخن السجائر فى رمضان، ستكون هى الأخرى نقطة ذروة فى التعبير عن مدى الاندماج أو التمايز او التميع أو الصراع فى علاقة الحكم والمؤسسة الرسمية الدينية. وحتى هذه اللحظة لاأحد يعرف إلى أى طريق بالضبط، ستتجه الجماعة الحاكمة، خاصة وان علامات كثيرة تفصح عن تعمق الاختيار المحافظ فيها- وأن بصورة شبه حداثية- يوما بعد آخر، كما أن مصالحه بين فئات الطفيلية التقليدية، التى ولدها السادات، وولدت بدورها السلفية والارهاب وبين شرائح الطبقة المتوسطة، التى حاولت التمايز فى عهد مبارك، فيما وقع بينهما من خصام محدود، باتت مؤكدة، بل ولعلها وقعت فى نفس اللحظة التى تم فيها اختيار صلاح حسب الله واسماعيل عثمان (من العثمانلية) لمنصبى وزارة الاسكان ورئاسة «المقاولون العرب».

أيضا تأمل اندماج «العملاقين»: كتب التنوير مع كتب القراءة للجميع لتدرك السقف الثقافى للشرائح الباركية)

القضية والقضاة

وتخلص الوقائع، فى أن ادارة الامن بجامعة الأزهر، كتبت مذكرة (الى من لسنا نعرف) تؤكد فيها أن شكاوى وصلت، إلى رئيس الجامعة، ضد د. خيال، تتهمه بتدخين السجائر فى رمضان، جهرا، والتهكم والاستهزاء بالدين وعلمائه الأزهريين. وجاء بالمذكرة أن رئيس الجامعة يعتزم إحالة المذكور إلى التحقيق (وكأن الامن يتجسس على رئيس الجامعة)، كما جاء فيها أن عددا من اعضاء هيئة التدريس بالقسم ابدوا استعدادهم للادلاء بشهادتهم حول قيام المذكور بالافعال المنوه اليها (؟) وقد أشر شيخ الأزهر على المذكرة بـ «نظر ولفضيلة أ. د/ رئيس جامعة الازهر» (لماذا وكيف رفعت المذكرة الامنية إلى شيخ الازهر؟) بعد ذلك احال رئيس الجامعة المذكرة إلى مستشاره القانونى للتحقيق. ونحن نعلم الآن من حكم للمحكمة الادارية العليا (جلسة ١٩٩٤/٤/٢) أنه لايجوز ان يتولى التحقيق مع عضو هيئة التدريس بالجامعة المستشار القانونى لرئيس الجامعة، لانه طرف غير محايد، ويترتب على ذلك بطلان المحاكمة امام مجلس التأديب وبطلان القرار الصادر عنه.

القصد. فان مجلس التأديب، تولى التحقيق بعد ذلك، وكان من المقرران يصدر الحكم فى ٥/ ١٠ /١٩٩٣، لكن تأجل ذلك، واعيد فتح باب المرافعة لتغيير تشكيل المجلس، حيث حل المستشار محمد عبد الرحمن سلامة نائب رئيس مجلس الدولة بدلا من المستشار عادل محمود زكى فرغلى (لانعلم السبب) وظل العضوان الباقيان كما هما د. قاسم عبد الحميد الوتيدى عميد شريعة اسيوط، وأحد موظفى الشئون القانونية بالجامعة واكتفى د. خيال بتقديم تقرير طبى من مستشفى العقاد يفيد بانه مريض (وضمنا ممن يرخص لهم بالافطار شرعا)، إلى جانب انه نفى ومع الشهود، حكاية الازدراء بالدين والعلماء. كما أكد أنه يفطر فى رمضان لاسباب مرضية، ولأنه كان يستأذن زملاءه (فى حجرته) فى التدخين لانه يعتبرهم كأفراد أسرته. وفى ديباجة الحكم تصادفنا عبارات من نوع أن المحال كان يدخن فى رمضان طوال السنوات السابقة (؟) وعبارة أخرى خطيرة تقول« وحيث لم يقدم المحال التبرير الكافى والعذر المقبول للافطار فى

رمضان فضلا عن استهزائه بالدين وعلمائه وسخريته من اسلوب تعاملهم وأن كان الشهود قد نفوا ذلك» . انها عبارة تقول بصراحة أن ثمة مرجعية (كالتسجيلات مثلا) أخرى غير أقوال الشهود كانت حاضرة، مادام مجلس التأديب يصر على الاستهزاء بالدين كاتهام. كما تدل أن المجلس وفقما يقول المحامي أمين أبو السعود، قد نصب من نفسه محكمة تفتيش وقرمسيون طب (حيث رفض التقرير الطبي كمبرر دون مبرر)

المهم أنه باسم الشعب صدر الحكم في ٩٤/٣/٣٠ بمجازاة د. خيال بالعزل من الوظيفة، وبعد أن وصفه بانه خائن لله ، وانه هدم ركنا من اركان الاسلام، وأزرى بشرفه وشرف الاسلام. وبعدان امتلأت الديباجة بعبارات انشائية مهيبة من نوع وصف جامعة الأزهر بانها «الحارسة الامينة على الاسلام وتعاليمه». وهو الوصف الذي قال عنه امين ابو السعود انه وصف قد يصح في مجال الخطابة والإشادة إلا أنه لايصح في مجال إصدار الأحكام لأن الله وحده هو الحارس لدينه وليس لأي فرد أو مؤسسة مهما علا قدرها أن تزعم أنها حارسة الدين.

من مثل هذه الاوصاف أيضا، القول بان المحال، ازرى بشرفه، وبشرف الاسلام، وهنا أيضا يقول امين ابو السعود ان اعضاء هيئة التدريس بشر مهما علا شأنهم، لكن شرف الاسلام شئ آخر.. أن الحكم في ظاهره دفاع عن الدين وفي حقيقته اساءة إلى الاسلام وعلماء المسلمين.

بل أن المحامي والمفكر المعروف خليل عبد الكريم. يلتقط في مذكرة اعدها عن الاسانيد الشرعية لبيان مخالفة الحكم ضد د. خيال لاحكام الشريعة الاسلامية الغراء (سنعرض للمذكرة فيما بعد) يلتقط أن الشهود لم يشهدوا في الحكم بان د. خيال كان يدخن امام طلابه ،لكن الحكم تبرع واضافها من عنده.

وعلى الصعيد الفني أيضا، تمتلئ الدعوى بالغرائب.

فالموضوع لم يعرض على مجلس الكلية، ولم يتقدم العميد إلى رئيس الجامعة، بان ثمة اخلال بواجبات او مقتضيات الوظيفة ، قد وقع من د. خيال (لانه يعلم أن أفطاره له مايبرره) مع أنه القناة الشرعية بين رئيس الجامعة واعضاء هيئة التدريس كما يحدد القانون.

لم تظهر الدعوى اية اثار للشكاوى التي قيل انها وردت إلى رئيس الجامعة، ولم يواجه بها المحكوم عليه

قيام إدارة الآمن، وهي المكونة من ضباط وجنود ومخبرين ، وتتبع وزارة الداخلية، ووظيفتها حفظ الأمن والنظام بالجامعة، ورفع التقارير إلى الجهات المعنية بالداخلية... قيامها بما قامت به، مبادرة (أو مرعزا اليها فيما يظهر) ويبدو أن ذلك مقصود لتسخيف الدور الذي قام به الامن المصري في مواجهة قوى التطرف والارهاب، ولجعله غير ذي مضمون.

واذا كان هناك الكثير مما يقوله القانونيون على صعيد بناء الحكم على مخالفة القانون والخطأ في تطبيقه وتأويله والتعسف والغلو في الجزاء (إذا سلمنا جدلا أن د. خيال ارتكب خطأ اداريا) وخروج الحكم عن اداب اصدار الحكم (بوصف د. خيال بانه خائن لله ولنفسه مثلا). وأيضا مخالفة أحكام الفقه في باب العذر الشرعي المبيح للأفطار لدى كل المذاهب، وفي نفي المجاهرة عن الطاعن، ونفي أنه هدم ركنا من أركان الإسلام الخ. فان ثمة قول آخر.

الخريف الساخن

إزاء النظر إلى هذه القضية، ومايحيط بها، فان من الواجب مدنيا وشرعيا، ان يتساءل الانسان: هل تقف اطراف اخوانية وراء مثل دعوى كتلك (وللإخوان امتداد هناك) في معركة لاتتسام بعض الابناط على غرار معركة الحجاب المدرسي أم هل تريد المؤسسة الرسمية اختبار قوتها في مواجهة الدولة والمجتمع المدني، بمثل هذه الدعوى؟

وهل تجيز جامعة الأزهر لنفسها بعدان حاسبت مسلما على افطاره في رمضان ان تحاسب كل عضو في هيئة التدريس على ترك الصلاة أو الزكاة او أي ركن من اركان الدين، فضلا عن أن تحاسب الطلبة والموظفين.. ورجال الامن بالجامعة.. ثم المجتمع كله فيما بعد؟ ولماذا لاتأخذ الجامعة بالمرة بفتاوى من يقولون أن التدخين حرام من اصله، وتطبقها في رمضان وفي غير رمضان، ثم تأخذ بعد ذلك ما يتبع من فتاواهم؟ وهل يكفي في دعوى كتلك أن يلغي القضاء المصري، وله من المواقف المشرفة ماهو معروف، الحكم المطعون عليه؟. ماذا عن الاستاذ ... المعزول.. وعن انتمائه لعمله وجامعته والاطار - الغريب- الذي يحكم مجريات امورنا؟. والى متى تستمر مجالس التأديب ، في الازهر على نحو خاص، في وضع نفسها مواضع لايرضاها لها أحد (من قضية د. حامد أبو حمد إلى قضية د. خيال) ويكفي أن اذكر هنا أن عضوا بمجلس تأديب ازهري كان قد استنكر ان يقول محام موكل عن محال، ان ابن حزم له كتاب اسمه طوق الحمامة(!) وان بالكتاب اوصافا ادبية حرة للعلاقات العاطفية(!) واعتبر ذلك افتئاتا على الاسلام وعلى الحقيقة.

ثم ماذا بعد دمغ المحكوم عليه بانه خائن لله، سوى التصفية الجسدية؟.

ان حالة د. خيال، كأول حالة عزل لموظف عام، لسبب كهذا، قد تقيم الدنيا ولاتقعدها، عندما يلتفت اليها الرأي العام المحلي والدولي، ومعه منظمات الحريات وحقوق الانسان والجماعات الثقافية، والروحية الاجتهادية لدى معاودة المحكمة الادارية العليا نظرالقضية في ١٩٩٤/١٠/٢٦ بعد أن كانت قد نظرتها في جلسة. أولى في ١٩٩٤/٧/١٣لكن السؤال الذي يجب أن نحفر في الصخر لخلق اجابة له تليق بعصرنا هو التالي. متى تستعيد جامعة الأزهر، دور المعلم الروحي، المتسامي والمتسامح، الذي لعبته طوال تاريخها ، حيث كانت مفتوحة للجميع... ومتى تقلع عن طابعها العنصري الحالي (غير مسموح لاصحاب الديانات الاخرى بدخولها او التدريس فيها) على الرغم من أن مصلحة الدعوى نفسها توجب ذلك ودليلنا مافعلته الجامعة اليهودية في يتبشف بالولايا ت المتحدة كمثال ، والتي نشأت في قلب ظاهرة التفرقة العنصرية ، حيث عدلت لائحتها لتسمح لغير اليهود بدخولها، احتراما لدستور البلاد من ناحية، وحرصا على كسب مواقع روحية وثقافية من ناحية أخرى. ويبقى ان من يعرفون د. خيال يقولون أنه من النوع الذي يتزوج عمله ولم يقم طوال تاريخه بفتح عيادة خاصة، أو منح دروس خصوصية ، ولم - ولن- يسع للتعاقد مع شركة أدوية عالمية او مركز ابحاث، وهو صاحب الصيت في الدوائر الالمانية والانجليزية والامريكية، المعنية، حيث درس وبحث هناك وفي الجمعيات المختصة في تلك البلدان أيضا، اضافة إلى أنه سكرتير الجمعية المصرية للأدوية وعضو مؤسس وعضو مجلس ادارة في الجمعية المصرية للعلوم الطبية الاساسية وغيرها من الجمعيات المصرية. وله ابحاث هامة في امراض ضغط الدم والأوعية.

ان المرء ليقبل اقدام مسئولي جامعة الازهر لينهوا تلك القضية. لان البلد ليست ناقصة مثل هذا التوهان. ولأن القضية في النهاية لن تكون الا جملة عابرة في كلام عابر.

الحركة النسائية المصرية بين الواقع والطموح

فريدة النقاش

لاترضى الغالبية العظمى من النساء الواعيات والعاملات في حقل الحركة النسائية المصرية عن واقع هذه الحركة. كما يتساءل الرجال المستنيرون الذين يدركون أن نهوض المجتمع المصرى لن يتحقق دون نهوض المرأة، يتساءلون **أين حركة النساء الناهضة المنظمة؟**.. أى انهم بدورهم غير راضين عن هذا الواقع.. بينما يدرك الجميع أن الطابع المتناقض للحركة السياسية الوطنية التقدمية كلها يلقى بظلاله على حركة النساء.

لقد نشأت في العقدين الماضيين فجوة كبيرة تزداد اتساعا بسرعة بين هذا الواقع- أي واقع الحركة النسائية- وبين طموحات النساء للتحرر من كل اشكال التسلط والاستغلال والهيمنة الابوية والطبقية، أى من أجل التقدم المضطرد، والمشاركة على قدم المساواة مع الرجال فى صياغة القرار السياسى واتخاذه ومباشرة تنفيذه، باعتبار ان السياسة هى التعبير الاشمل عن «وضع اقتصادى- اجتماعى» تقوده طبقة أو مجموعة طبقات متحالفة من أجل مصالحها.

ولكى يتحقق التحرر الشامل للنساء لابد أن يتحرر المجتمع كله لتكون المشاركة السياسية للمرأة تعبيرا عن قاعدة واسعة هى جماهير النساء، وليست قاعدة نخبوية فقط تضم المتعلمات والمحظوظات بحكم الثروة او القرب من السلطة. فهذه القاعدة الاخيرة تعطى للمجتمع نساء لامعات وزيرات واستاذات فى الجامعة وصحفيات مرموقات كاتبات وطبيبات ومحاميات، بينما ترزح الغالبية الساحقة من النساء تحت عبء الفقر والجهل والمرض، عرضة لتزييف الوعى والقهر المركب ماديا ومعنويا، ومنفيات عن كل مشاركة اللهم الا المشاركة فى الاسرة.

وبديهى أن مثل هذا التعريف للتحرر والمشاركة هو نفسه ليس موضوعا للاتفاق بين كل القوى العاملة فى حقل الحركة النسائية ولاحتى بين النساء انفسهن.

بل إن هناك قوى تنشط نشاطا واسعا فى ميدان العمل النسائى هى **قوى الاسلام السياسى** التى تنهض على قاعدة واسعة من نساء البورجوازية الصغيرة، وهى قوى واسعة الانتشار ديناميكية تقدم مفهوما مختلفا كلية عن التحرر والتقدم، بل انها ترفض مفهومى التحرر والتقدم وتضع فى مكانهما صيغة غامضة عن المجتمع الاسلامى.

وتقدم قوى الاسلام السياسى بمختلف منطلقاتها وتوجهاتها منظومة متكاملة من الافكار والقيم من منظور تقول أنه دينى، **وتضع المرأة بيولوجيا وروحيا فى مرتبة ادنى، وتنقض من الجذور فكرة المساواة الانسانية، وتنفى بالتالى ما كان قد استقر فى الوجدان العام من ان العمل حق وواجب على المرأة، مثلما هو حق للرجل وواجب عليه،** وترى هذه الجماعات ان الميدان الخيرى الوحيد الجدير بأن تكرس له المرأة حياتها وجهدها هو ميدان تربية الاطفال. وقد سئل الشيخ **محمد متولى الشعراوى** وهو الداعية الدينى الاكثر انتشارا عن رأيه فى عمل المرأة فرد ردا قاطعا:

- ان عمل المرأة اهانة للرجل وانتقاص من كرامته

ثم اضاف فى حديث آخر.. حين لاحظ رد فعل النساء العاملات الغاضب:

- أن المرأة يمكن أن تعمل اذا لم يكن ابوها أو زوجها قادرين على اعالتها والانفاق عليها اقتصاديا.

بل وترى بعض تيارات الاسلام السياسى وشيوخه ودعاته ان تعليم المرأة لا بد أن يجرى حصره فى ميادين محددة تؤهلها فقط لاقامة الاسرة.

ويقترن هذا النشاط الواسع للجماعات الدينية السياسية بفيض «الحجاب» والنقاب احيانا على النساء، بل ويظهر نجاح نشاطهم ودعوتهم فى اتجاه بعض النساء- من تلقاء انفسهن- لارتداء الحجاب. **وتختار نساء متزايدات أن يختفين تحت الحجاب اختيارا طوعيا بعد أن كن سافرات وقد استقر فى أذهانهن أنهن عورة،** وهى حالة من القهر الطوعى للذات، والخضوع المجانى لصورة قديمة عن النفس كانت قد اخذت تتراجع فى أوساط النساء فى سنوات التنمية المستقلة والتحرر الوطنى فى الخمسينات والستينات وبداية السبعينات. ففى هذه السنوات كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد قننت حق العمل والتعليم المجانى والمشاركة السياسية للمرأة، ولكنها لم تصل الى تتويج تحريرى جذرى لكل هذه الحقوق باجراء تعديل اساسى ينفى قوانين الاسرة من المواد التى تنتهك آدمية المرأة وتضعها فى مرتبة دنيا داخل مؤسسة الزواج.

وهناك ايضا الحركة النسوية FEMI-NIST التى تنطلق من رؤية للصراع الذى تخوضه المرأة لتحرير نفسها باعتباره صراعا ابديا خالدا بين الذكر والانثى. وهى بالتالى ترى أن شرط حرية المرأة هو تخلصها من هيمنة الرجل بداية، وتنفى موضوعيا امكانية التعاون بين جماهير النساء والرجال من أجل التحرر الشامل للمجتمع.

ولايخفى علينا ان كلا هذين التيارين، أى **الاسلام السياسى** والنسوية، وبالرغم من النشاط الواسع للأول والنشاط المحدود للثانى، قد عجزا معا عن احداث تغيير للافضل فى وضعية المرأة، بل على العكس فان حقوق المرأة المكتسبة اصبحت مهددة، بل وجرى التراجع عنها واقعيا، وبالطبع فلا يمكننا أن نحاسب تيارات الاسلام السياسى لأن وضعية المرأة فى المجتمع تتراجع فهو يرى أن هذا هو الوضع النموذجى والمطلوب لكى ينصلح حال المجتمع الذى فسد وانهارت اخلاقه لأن المرأة خرجت الى العمل وشاركت فى الحياة العامة.

وفى تحليل واقع الحركة النسائية الحالى لابد أن ننطلق من رؤية اشمل تنظر لواقع المتغيرات الاقتصادية الاجتماعية السياسية

التى شهدتها مصر منذ هزيمة يونية ١٩٦٧، والتى نستطيع ان نضعها تحت عنوان كبير هو **سياسة الانفتاح الاقتصادى، حيث تسيطر رأسمالية طفيلية تابعة للرأسمالية العالمية تستجيب دون ادنى تردد للشروط التى تفرضها عليها الاخيرة.**

وقد اسفر هذا الوضع عن انقسام حاد فى المجتمع المصرى بين **اقلية غنية مالكة وسفيهة، وأغلبية يدفع بها الافقار المتزايد الى التدهور المستمر** فى مستوى المعيشة والثقافة، وطبقة وسطى مهددة بالانحدار تكافح من أجل الحفاظ على تميزها عن الشعب.

ويدور صراع طبقى شرس تحاصره وتلجمه ترسانة من القوانين المقيدة للحريات، وتدفع به دفعا الى مصارف جانبية، وهناك تنمو الجماعات السياسية المتسترة بالدين وتنشأ أوكار الارهاب التى تتغذى وتنمو على الاحباط واليأس وهى فريسة لثقافتين سائدتين وهما وجهان للعملة: **الثقافة التجارية الاستهلاكية التى تجعل من المرأة سلعة، والثقافة السلفية المتسترة بالدين التى ترى فيها عورة.** وقد ورثت الحركة النسائية التحررية بمعناها الشامل -والتى تمثلها بضع منظمات طليعية صغيرة- ورثت كل العيوب الخلقية (بكسر الخاء) من مرحلة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى، ففى هذه المرحلة جرى قمع الحركة المستقلة للجماهير المنظمة ونفى أى تعدد واعتبار الاجماع الوطنى حقيقة قائمة ومفروغا منها وليس هدفا نكافح من أجله.

وكان الحصاد المر لكل هذا هو ولادة التعددية الحزبية الناقصة وتشوه المجتمع المدنى الذى كان ومازال مربوطا من عنقه بسياسة الدولة وأهدافها، فإن تغيرت هذه الاهداف من مرحلة لاخرى فاما أن تغير مؤسسات المجتمع المدنى جلدها او ان تصبح مهددة بالسحق القانونى والمادى.

خلاصة الامر ولدت التعددية السياسية فى زمن الانفتاح والتبعية، ولما كانت هذه التعددية قد جاءت تلبية لحاجات خارجية وهى متطلبات المؤسسات المالية الدولية والدول مانحة القروض والمعونات فانها عجزت بطبيعة الحال عن الاستجابة للاحتياجات الموضوعية لواقع اجتماعى اقتصادى يتشكل من جديد وفى زمن مختلف.

وقد أثر هذا التشوه تأثيرا مضاعفا على هدف بناء حركة نسائية جماهيرية تحررية، أو حتى حركة نسوية قوية رغم الفروق الكبيرة بين منطلقات واهداف كل منها وكان التأثير مضاعفا لان سياسات الافقار عادة ما تعزل جماهير النساء عن العمل العام.

وكان الرابع الاساسى هو التيار السياسى الذى يرفع الشعارات الدينية، لأنه وبالرغم من عنف الضربات التى تلقاها فى بعض المراحل **كان قد حول كل المساجد والزوايا الى مدارس كادر تبث ايديولوجيته خمس مرات يوميا.** وبسبب ارتباط بعض قادته التاريخيين ببلدان النفط الغنية فقد **توفرت له امكانيات مادية هائلة** نفذ بها عبر الفراغ الى ميدان الخدمات الاجتماعية التى تخلت عنها الدولة فى ظل الخصخصة وتراجع الدور الحكومى فى الخدمات لحد التلاشى.

وهكذا انشأ **تيار الاسلام السياسى عشرات الجمعيات النسائية، وهو يحظى بنصيب الاسد من السبعمائة جمعية نسائية المنتشرة** على امتداد مصر، والتى تقوم الى جانب العمل الخيرى بنشر الايديولوجية التى ترى فى المرأة عورة، وتدعو لعودتها الى البيت، وتلقى على العاملات تبعة البطالة لانهن يعملن فيحرمن الرجال من العمل، بينما أن خروجهن للعمل يؤدى الى انهيار الاسرة وادمان الشباب للمخدرات والتحلل الاخلاقى كما تزعم هذه الجماعات فى ادبياتها الكثيرة التى تغرق الاسواق، **بل وتتدفق عبر وسائل الاتصال الجماهيرى الواسعة الحكومية فى الراديو والتليفزيون.**

أى أن وفرة التنظيمات أو الجمعيات النسائية العاملة بنشاط فى الميدان تؤدى عمليا الى المزيد من تراجع قضية تحرير المرأة، ولاتدفع بها كما هو متصور الى الامام، لان **غالبية هذه التنظيمات تعمل فى الاطار المرسوم سلفا من قبل الرأسمالية الطفيلية التابعة وخاصة جناحها الدينى الذى يضع قيدا آخر مضافا للقيد الطبيعى ويعمل فى اشاعة روح العداء للمرأة فى المجتمع** باسم الدين.

ولعل اقرب المنظمات العاملة فى حقل الحركة النسائية ارتباطا بروح ومقاصد الميثاق العالمى لحقوق الانسان والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والاتفاقية الدولية لالغاء كل اشكال التمييز ضد المرأة، ونصوص الدستور المصرى التى تنص على المساواة بين المواطنين وتقول أن العمل حق وواجب على كل المصريين القادرين عليه.. هى المنظمات التقدمية الصغيرة سواء، تلك التى ترتبط بالاحزاب او تعمل مستقلة عنها مثل **اتحاد النساء التقدمى، ولجان المرأة فى الحزب الناصرى ولجنة النهوض بالمرأة العربية باتحاد المحامين العرب، مركز دراسات المرأة (معا)، وبعض المجموعات الصغيرة التى تصدر مطبوعات مثل «بنت الأرض» «والمرأة الجديدة» ولجنة المرأة العاملة» بالاتحاد العام للعمال، وبعض اللجان الخاصة بالمرأة فى عدد محدود من النقابات المهنية.**

وباستثناء اتحاد النساء التقدمى ولجان المرأة فى الاحزاب التقدمية المشروعة أو المحجوبة عن الشرعية، فان طريق المنظمات الاخرى الى الجماهير النسائية ملغوم. وبينها جميعا سواء الاتحادات أو اللجان وبين الوصول الى تحقيق طموحاتها المعلنة فى برامجها ومن أهمها انشاء حركة نسائية جماهيرية واسعة منظمة وموحدة، عقبات كثيرة، فالطريق شاق وطويل.

هناك ترسانة القوانين المقيدة للحريات التى عزلت الاحزاب السياسية عن الجماهير وحبستها فى مقراتها وصحفها. ومن بين هذه القوانين يبرز قانون الجمعيات رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٤ باعتباره أخطرها جميعا لانه يحد بل

ليلى الشال
اتحاد النساء التقدمى



أمل محمود
أمينة المرأة بالناصرى



تهانى الجبالى
المحامين العرب



يمنع امكانية نشوء جمعيات نسائية مستقلة ذات أهداف واضحة ضمنها اهداف سياسية فهو يمنع الاشتغال بالسياسة، وكما يقول الدكتور **ابراهيم صبرى**

ولقد اشتمل القانون على نصوص تشل حركة الجمعيات ومن بين اثنين وستين مادة فى مواد الباب الاول منه تبدأ اثنتان وعشرون مادة بعبارة:

«لايجوز» أو كلمة «يحظر».

وليس هذا فقط بل أن سبعا وثلاثين مادة تعقد اختصاصا اشرافيا على أعمال الجمعية للجهات الادارية المختصة بينما لم يتجاوز عدد المواد الخاصة بالجمعية العمومية والمفروض انها أعلى سلطة فى الجمعية احدى عشرة مادة ومعظمها -ان لم يكن كلها- يعقد اختصاصا اشرافيا للجهة الادارية على اعمال الجمعية العمومية..» ويضيف: «على أن أخطر ما فى القانون ٣٢ لسنة ١٩٦٤ انه لايهيىء فرصة الاستقرار لمجالس الادارة حيث نص على حتمية تجديد ثلث أعضاء المجلس كل سنة، وهكذا يغرق اعضاء الجمعية فى دوامة الانتخابات المتتالية كل عام وينصرفون عن رسالتهم الاهلية فيما هو اشبه بلعبة الكراسى الموسيقية».. ثم يضيف أيضا: «أما الاشد خطورة من ذلك فهو حق «الجهة الادارية فى حل مجلس ادارة الجمعية».

وبمقتضى قانون الجمعيات هذا تم حل **جمعية تضامن المرأة العربية** التى ترأسها الدكتورة **نوال السعداوى** بقرار ادارى، وقامت جهة الحل وهى وزارة الشئون الاجتماعية ووزيرتها امرأة هى الدكتورة **آمال عثمان** «بتحويل اموال الجمعية لجمعية نساء الاسلام» وهو اجراء كشف فى حينه عن مدى التداخل والتشابه الايديولوجى والمصلحى بين السلطة القائمة وجماعات الاسلام السياسى.

ومن المعوقات الاخرى فى وجه نهوض حركة نسائية قوية ومنظمة اضافة للقوانين والمناخ الثقافى المشبع بتفسيرات دينية جامدة ورجعية والقيم الاستهلاكية التجارية الفجة نجد أن **الأوضاع الاقتصادية قد دفعت بملايين النساء الى الانهماك فى تدبير حياة الاسرة التى تنهك قواها وتستهلكها، وتدفعها بالتالى للعزوف عن كل عمل عام سياسيا كان أو ثقافيا، فما بالنا اذن لو كان العمل السياسى فى بلد محكوم لمدة ثلاثة عشر عاما متواصلة بحالة الطوارئ هو مخاطرة يعزف عنها الرجال.**

وهو الوضع الذى ادى ضمن اسباب اخرى الى وجود هش وهامشى للنساء فى الاحزاب عامة و التقدمية منها خاصة. ففى حزب اليسار الشرعى وهو **حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى** لاتبلغ نسبة النساء فى لجنته المركزية الا ١٢ عضوة من ٢٣٢ أى بنسبة ٥ر٢٪ كذلك لاتوجد فى الامانة العامة للحزب الناصرى سوى امرأة واحدة من ٤٤ عضوا وهو وجود هامشى ورمزى شأن وجود المرأة فى قمة السلطة السياسية.

لاينفى هذه الحقيقة أن عدد الوزيرات فى مصر قد زاد ولكن وجود النساء فى مجلس الشعب تقلص من أربعين عضوة سنة ١٩٨٤ الى عشر عضوات سنة ١٩٩٠، وغنى عن البيان أن النساء محرومات حتى الان من تولى منصب القاضى.

واذا كان وعى المرأة بذاتها وقدراتها هو أول الخطوات الضرورية على طريق انخراطها فى العمل من أجل تحررها ومن أجل التغيير الى الافضل فان الصورة على جبهة الوعى ليست وردية سواء كان الوعى بالذات كقدرة انسانية تحتاج وتستحق ان تتفتح فى شروط صحية مواتية، أو الوعى بضرورة التنظيم والعمل الجماعى من أجل خلق حركة نسائية قوية وقادرة على حشد طاقات النساء للاسهام فى تغيير اوضاعهن للأفضل.

يتبادل التأثير على جبهة الوعى جناحان للثقافة السائدة هما الجناح التجارى الاستهلاكى، والجناح السلفى المحافظ الذى يغطى نفسه بالدين، وهما يصلان لنتيجة واحدة هى **تغريب المرأة عن ذاتها ونفيها عن ساحة الفعالية والوعى الناقد، بعد أن كان الحرمان الاقتصادى قد قام بنفيها عن ساحة الممارسة من أجل التحقق والتحرر.** بل أن الصورة التى يقدمها الاعلام لها هى صورة متدنية غالبا ماتسخر من المرأة العاملة وليس للمرأة التى تنشط فى ميدان العمل العام مكان فيها.

واذ تحتفل مصر هذه الايام بمرور مائة وعشرين عاما على وفاة رائد تعليم البنات فيها «**على مبارك**» فان تعليم البنات مهدد على نطاق واسع باخراج الفقراء منه بعد **الالغاء الواقعى لمجانية التعليم.** والتعليم هو خطوة اساسية نحو الوعى بالذات كقدرة كامنة ومن ثم الوعى بضرورة العمل العام الجماعى من أجل التغيير للافضل.

« - كل البنات تتعلم.. انهن يملأن الشوارع»

هكذا ترد «**زهرة**» بطلة «**ميرامار**» **لنجيب محفوظ** على سؤال للصحفى الوفدى **عامر وجدى.. وكانت زهرة** فتاة ريفية جاءت الى الاسكندرية هربا من زواج مدبر ليس الا صفقة. جاءت لتبحث عن حياة كريمة فيها النظافة والامل..

ان الزمن القادم **زمن الخصخصة. وصندوق النقد الدولى والبنك الدولى والتوجهات الانكماشية لبرنامج التثبيت والتكيف الهيكلى** لن يجعل زهرة الريفية قادرة على ان تتعلم بعد، هكذا تنبئنا الدراسات الميدانية والمشاهدات العينية. وان تعلمت «**زهرة**» سوف يكون ذلك بطولة فردية تثير الاعجاب لكنها لن تغير الواقع.

هذه هى العقبات الموضوعية امام طموح الحركة النسائية للتحول لحركة جماهيرية واسعة الانتشار مسموعة الكلمة بين النساء وفى المجتمع على حد سواء.

ولكن هناك عقبة ذاتية لاتقل اهمية تتمثل فى انشغال القطاع الاعظم من النساء الواعيات بكل هذه الحقائق بالعمل الاسهل، سواء اتخذ هذا العمل شكلا بحثيا وتنظيميا فوقيا فى ساحة الطبقة الوسطى، بينما غبن عن ساحة الحياة الشعبية التى تحتاج النساء فيها الى من يأخذ بأيديهن ويساعدهن على الخروج- بالوعى وصولا للتنظيم القاعدى- من ظلام الواقع الحالك. ونتيجة لهذا الغياب استقطعت حركة النسوية قطاعا من النساء المثقفات والمتعلمات بعيدا عن العمل السياسى من أجل التغيير الاجتماعى الشامل، واستولت جماعات الاسلام السياسى على عقل النساء الشعبيات قليلات الثقافة فوجدنا نساء يذهبن الى المحكمة منقبات ليساندن دعوى التفريق بين استاذ جامعى هو الدكتور «**نصر حامد ابو زيد**» وزوجته بحجة انه مرتد، وعجزت مئات الجمعيات عن التصدى للحملة التى انتهت بالغاء التعديلات الطفيفة على قانون الاحوال الشخصية، بل ان نساء وجمعيات تظاهرن ضد هذه التعديلات فى حينه، بل وحين عصفت الادارة بجمعية تضامن المرأة التى ترأسها الدكتورة **نوال السعداوى** واغلقت مجلتها «**نون**» مر هذا الاجراء مرور الكرام.

الصورة ليست وردية كما قلت ولكن هناك ابواب قليلة مفترحة واخرى لابد أن ندق عليها بقوة حتى تنفتح وهى مهمة النساء الواعيات المنظمات عليهن انجازها بجدية وابداع..

في ذكرى المولد النبوي الشريف

نبي الإسلام.. ثورة اجتماعية

محمد عبد القدوس

أحتفل العالم الإسلامي بمولد نبي الإسلام سيدنا محمد ص، جدير بالدنيا كلها أن تحتفي به، كم تغيرت بعد مجئ رسالته يكفيه شرفا وفخرا أن رسالته ربطت الدين بالدنيا برباط وثيق.. نظرة سريعة قبل بعثة سيدنا محمد ص وبعد مووبعدها تؤكد هذا المعنى الذى ترتب عليه ثورة عظيمة في حياة البشر.. ودعنا من الخرافات التى كانت تسود جزيرة العرب، والأصنام المنتشرة هنا وهناك إنما ما أقصده عقلية التدين ذاتها التى قام الإسلام بتطويرها بطريقة جذرية شاملة.

فصام نكد

كان هناك طلاق بائن بين الدين والدنيا، فصام نكد، ولايمكن الجمع بينهما .من أراد الآخرة، **فعليه الابتعاد عن الدنيا، واعتزال البشر بحجة التقرب إلى الله، ومن سعى الى التمتع بحياته، فلامكان له في ملكوت السموات إذ لايعقل أن يفوز في الدارين..** ويتمتع هنا وهناك وهكذا ترك المتدينون الدنيا طلبا للآخرة، وكان عليهم التجرد من كل شهواتهم لدخول الجنة الموعودة.

آه من حواء

وكانت حواء في نظر المتدينين وراء كل المصائب التى حلت بالبشرية **كانت الأنثى في ذاتها رجسا من عمل الشيطان** ومن طلب الآخرة فعليه الابتعاد عنها.. التطلع إلى السماء يتنافى مع مباشرة النساء ووصلت الأوضاع بالمرأة الى درجة مهينة، فكانت في بعض البلاد تورث ضمن تركة المتوفى.

ولم تكن النظرة الى المال بأحسن حالا من حواء.. إنهما من شهوات الدنيا ويكفى غنى النفس ولايمكن لصاحب المال أن يكون له مكان في الآخرة، مادام قد امتلك الدنيا.

أنت إنسان ولست ملاكا

وجاء خاتم النبين ص ليطيح بكل هذه الأفكار ويربط الدين بالدنيا برباط وثيق محدثا ثورة اجتماعية كبرى، ولم يفترض الإسلام في البشر المثالية، وفي نفس الوقت لم يرض لهم بالواقع الذين يعيشونه وفي هذا يقول **سيدنا محمد** ص«كلكم خطاءون.. وخير الخطائين التوابون».. فالإنسان ليس ملاكا، وعلى هذا الأساس عامله الإسلام وفتح باب التوبه لذنوبه

ومن ملامح ثورة سيدنا محمد ص، أنه راعى فطرة الإنسان فلم تحرم شريعة الإسلام شيئا يحتاج اليه في واقع حياته، كما لم تبح له شيئا يضره في الواقع.. وطلب خاتم النبيين من الناس التمتع بحياتهم باسم الدين، وتجد في كتاب الله قوله تعالى:«يابني آدم **خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا.. إنه لايحب المسرفين»)** سورة الأعراف.. وبعد هذه الآيات مباشرة تجد القرآن يتساءل في صيغة استنكارية **(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)؟** ثم يضيف مؤكدا على حق المؤمنين في التمتع بها: **(قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)** يعنى أن المؤمنين يشاركون غيرهم في التمتع بطيبات الدنيا، ثم يفوزون بالنعيم وحدهم يوم القيامة. وفي نفس السورة- الأعراف- وبعد هذه الآيات بين الله المحظورات: (قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن، والأثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وهكذا تغيرت نظرة الدين للدنيا فلم تعد «سوداوية بل ولأول مرة يطلب دين من اتباعه الأقبال عليها والتمتع بطيباتها وخيراتها في حدود الحلال طبعا.

وسقطت المحرمات

وكانت نتيجة هذا الفكر التقدمي، سقوط العديد من المحرمات التى قيدت فطرة الإنسان. وتبوأت المرأة مكانتها اللائقة بعد أن قضى الإسلام على كل مايحيط بها من مهانة،

فانتفت أسطورة أنها وراء مصائب آدم وسبب خروجه من الجنة بعد أن دفعته إلى عصيان الله والأكل من الشجرة المحرمة، رفض ديننا هذا التفكير وقال القرآن أن آدم وحواء يتحملان هذا الخطأ سويا على قدم المساواة وبعد أن كان هجر النساء ثوابا يتقرب به المتدين الى الله انقلبت الآية وأصبح الزواج سنة مؤكدة من سنن الدين، جاءت في القرآن الكريم سكنا ومودة ورحمة كإحدى آيات الله في كونه مثلها مثل خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار. (راجع سورة الروم) يتقرب بالنكاح الزوجان من الله، ويرتكب الأعزب أثما لمخالفته فطرة الله إذا كان إضرابه عن الزواج دون سبب معقول، ولم يعد مقبولا أبدا في الإسلام الابتعاد عن الزواج لأسباب دينية، بل العكس هو الصحيح تماما.

من أين لك هذا

وبعد الثورة الاجتماعية الكبرى التي فجرها رسولنا الكريم ص، لم يعد المال حراما في حد ذاته أو الغنى ممنوع من رضوان الله فيكفيه جنة الأرض التي فاز بها دون الفقير. ..أنتهى هذا التفكير تماما عند المسلمين فالمهم من أين اكتسب الإنسان المال وكيف ينفقه.. هل يضيع في شهواته؟ أم بمايرضى الله فيكون حلالا طيبا بتوجيهه لخدمة المجتمع، وأداء حقوق الفقراء عليه. **فالمال ليس ماله بل هو مال الله مستخلف فيه ليتصرف فيه بما يعود عليه وعلى غيره بالخير والنفع العام.** فلايجوز مثلا إقامة مشروع ترفي سريع الربح، في الوقت الذي يشكو فيه مجتمعه من نقص الحاجيات الأساسية وهذه العقلية التي تراعي البعد الاجتماعي إحدى السمات الأساسية التي تميز النظام الإسلامي عن الرأسمالية.

انتكاسة خطيرة.

وعاش العالم الإسلامي عصور تخلف -لامجال هنا لذكر أسبابها- اشتدت في العصور الأخيرة وشهدت تراجعا خطيرا في العديد من الأفكار التقدمية التي جاء بها الإسلام. وكانت كافية لدفعه الى الأمام.. **فدور المرأة في المجتمع تدهور بصورة خطيرة في العديد من المجتمعات الإسلامية فاصبحت مهمتها الأساسية الإنجاب وخدمة سيدها الرجل.** بحجة أن الرجال قوامون على النساء، مما يعني أن يتحكم الزوج في رقبة امرأته دون النظر الى أن الزواج شركة متكافئة تقوم على السكن والمودة والرحمة، ولايمكن أن يتحقق ذلك وأحد الأطراف يبطش بالطرف الآخر. بل أرى المرأة على قدم المساواة مع الرجل في الحقوق الواجبات ويكفي سيدنا محمد ص فخرا أن دينه كان أول من أعطى المرأة زمة مالية مستقلة عن الرجل، فلها أموالها الخاصة التي لايجوز حتى لأقرب الرجال إليها التدخل فيها، ولم يجبر الإسلام الزوجة أن تحمل اسم زوجها كما هو الحال حاليا حتى الان في معظم الدول الأوروبية، بل لها شخصيتها الخاصة المستقلة. **فالمرأة على قدم المساواة مع زوجها..** نعم واجبها الأول في المنزل لكن لها مشاركة أساسية في خدمة مجتمعها، والا أصيب هذا المجتمع بالعطب، ووجدناها في عهد الرسول ص تحارب الى جانب الرجل في مختلف الغزوات، بل أن امرأة طلبت من سيدنا محمد ص الذهاب مع الجيش المقاتل للغزو في البحر فلم يستنكر عليها ذلك، أو يقول مالك ومال البحار؟.. قال لها: «أنت منهم».. يعني لم يرفض طلبها، بل أكد أنها ستكون ضمن أفراد هذا الجيش.

أبغض الحلال

والحقيقة إنني اتعجب من هؤلاء الفقهاء، الذين يسمحون للرجل أن يطلق امرأته في أي وقت شاء.. الطلاق أبغض الحلال الى الله.. رحمة بالزوجين عندما تستحكم الخلافات بينهما... شرفا لسيدنا محمد ص أن أوجده، فلايمكن أبدا أن يكون سيفا مسلطا على المرأة فهذا يتعارض مع رسالة نبي الإسلام، والعديد من الفقهاء ذهبوا الى أن طلاق الغضبان باطل، لأن الغضب يحجب العقل، والطلاق يجب أن يكون بمعروف لا في لحظة أنفعال وغضب. (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضررا لتعتدوا) قرآن كريم. وهذه الآية التي جاءت في سورة البقرة تثير قضية أخرى خطيرة منتشرة في أيامنا التعسة وهو «تعليق» الرجل لزوجته فلا هو يعاشرها بالمعروف وفي ذات الوقت يرفض طلاقها لتسترد حريتها وتتخلص من «سجنه».. وكل هذه الأمور تهدد الثورة الاجتماعية التي جاء بها نبي الإسلام عليه السلام.

أمراء المال

وكما تدهور حال المرأة في عصور التأخر حدثت ردة في النظرة الى المال، وشهدت بعض **البلاد الإسلامية مثل الدول البترولية انتكاسة خطيرة تمثلت في أنظمة رأسمالية تضاهي تلك الموجودة في البلاد الغربية، والغريب أنها أرتدت لبوس الدين، مع أن الإسلام منها برئ، والاستغلال الوقح الذي يمارسه العديد من الأمراء** والمليونيرات في عالمنا الإسلامي يطيح تماما بتعاليم ديننا.. والعجيب أنه في هذه البلاد تجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قدم وساق ولا أدري كيف يستقيم هذا الأمر وهؤلاء المتكبرون في الأرض يعيثون بأموالهم فسادا بعيدين عن الإسلام بتصرفاتهم المالية وإن صلوا وصاموا وأدوا فريضة الحج. أرى ذلك من سمات التخلف.. أقصد تجزئة الدين.. الاهتمام بالعبادات وترك فرائض الإسلام الأخرى.. لكن ديننا أيضا أخلاق ومعاملة وشريعة تسير كلها جنبا إلى جنب بغرض الارتقاء بالإنسان ليفوز في الدنيا والآخرة معا..

حلقة جديدة في مسلسل مصادرة الكتب

خليل عبد الكريم

موقفي معروف من الدروشة والانجذاب والتجليات والعرفان والغنوصية والتوسمات والتوهمات إلى آخر هذه المنظومة من المفاهيم اللاعقلانية لإنني مع أبي العلاء المعري أنه لا دليل ولاحاكم إلا العقل في الصبح والمساء.

ولكنني وبذات الدرجة ضد مصادرة الكتب لانها دليل على العجز عن الرد والتفنيد، وتفصمنا عن العصر الذي نعيشه وتنقلنا إلى القرون الوسطى وهيمنة محاكم التفتيش على الفكر وعلى ضمائر الناس.

والدين الذي يهزه كتاب أورواية أو قصة قصيرة أو طويلة أو مسرحية أو قصيدة.. لايستحق أن يسمى دينا. والاسلام في تاريخه الطويل تعرض لمئات الكتب التي ناقضته وبشتى لغات الأرض ومع ذلك ظل كما هو.

أكتب هذا بمناسبة صدور قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية في ١٩ من المحرم ١٤١٥هـ - ١٩٩٤/٦/٢٨ بمصادرة كتاب (شراب الوصل) للشيخ ابراهيم محمد عثمان عبده البرهاني وماتلاه عن غلاسة (في مختار الصحاح للرازي: الغلس ظلمة آخر الليل) مثل حظر أي نشاط للمؤلف ولأتباعه ولجماعته.

والمجلس المبارك مصدر القرار- بداية- هو من حفريات عصور الانكسار والهزيمة والانحسار والتراجع وعندما يرتفع وعي المواطنين وتمحى أميتهم سيحال هذا المجلس وأضرابه إلى متحف التاريخ الإسلامي. وأول أسانيد قرار المصادرة خطاب من مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر من الادارة العامة للتأليف والبحوث والنشر- ومايؤسف له أن جمهرة المثقفين في مصر والعالم العربي في غفلة تامة عن الدور الخطير الذي يلعبه المجمع المذكور فما من كتاب صودر في العقدين الاخيرين إلا ومن ورائه أصابع هذا المجمع العتيق. وثانيها تقرير كتبه أحد الازهريين، تفرنج مؤخرا فخلع العمة والكاكولة واستعاض عنهما بـ البذلة الكاروهات والكارفتة الجنجاه، وتخصصه في (الحديث) ولا علاقة له بـ (التصوف) والمسافة بين الحديث والتصوف أطول مما بين الصين والأندلس. فالتصوف يقوم على الذوق والوجدان والقبض والبسط والشهود والحلول والاتحاد.. وله معجمه الفريد ومصطلحه المتميز أما المعارف الحديثة فقد تجمدت -منذ قرون- على نفسها وانغلقت على ذاتها وغدت تقتات على التقليد والتكرار والاجترار والحفظ والتلقين، والعداء بين المتصوفة وأصحاب الحديث يعرفه من له أدنى إلمام بتاريخ الفكر الإسلامي، واسناد كتابة التقرير إلى ذلك المتفرنج الازهري أو الازهري المتفرنج المتخصص في الحديث جعل النتيجة معروفة سلفا، خاصة وأن، صاحبنا محصوله من المعارف الحديثة ضامر وخزينه منها هزيل وبضاعته منها عجفاء، وطريقته في عرضها والقائها تقيم بينه وبين المتلقي سدا من الانفصام والتباعد والصد والقطيعة تحثه على أن يهرول باحثا عن محطة أخرى- أن استمع اليه عبر المذياع- أو يهرع إلى تبديل القناة إذا شاهده في التلفاز.

ودوافع المجلس الأعلى للطرق الصوفية الميمون- الكامنة وراء قرار المصادرة- لاتخفى على أحد، فتعداد جماعة صاحب كتاب «شراب الوصل» يبلغ أربعة مليون عضو حسبما ذكرته مجلة قومية أسبوعية، في حين أن الطرق الأخرى لايصل عدد المريدين في كل منها بضع مئات. كما إن المجلس المبجل يتزلف بهذا القرار إلى السلطة السياسية لان صاحب الكتاب سوداني، وإذا كان هذا هو مسلك الزهاد الذين من المفترض فيهم أن تقوم حياتهم على التجرد والتقشف والفقر والفرار من الدنيا فلماذا نلوم غيرهم الذين لايرفعون مثل هذه الشعارات ولايلبسون مثل هذه الشارات

وبعد : فان من حسن حظ الشيخ ابراهيم مبدع «شراب الوصل» أن مصر لايطبق بها دستور لاهوتي أو شريعة ثيولوجية إنما تحكمها قوانين مدنية ووقعت على الميثاق العالمي لحقوق الإنسان وإلا كان مصيره على أيدي المجلس الأعلى للطرق الصوفية ومجمع البحوث الاسلامية - المقدسين- كمصير: الحلاج والسهروردي المقتول.

الاشتراكية واليسار

د. خليل حسن خليل

ليس المقصود «باليسار»، المجلة، التى تناضل فى صبر وإصرار فى سبيل الاشتراكية ضد قوى شرسة ولكن المقصود هم اليساريون، أو القوى اليسارية المنظمة فى احزاب أو جماعات سياسية، معترف بها من السلطة، أو غير معترف بها. المصطلح يشمل كذلك فى نظرى، الكادحين من ابناء الشعب، وهم كثرة كثيرة، تعتبر بطبيعتها جزءا من اليسار، وموضوعا لنضاله، لاقامة مجتمع اشتراكى، ينتهى فيه استغلال الانسان للانسان. وسوف نقتصر فى هذا المقال على اليسار المنظم.

على أن العنوان مازال يثير تساؤلا: كيف تكتب عن الاشتراكية واليسار، وهما غير منفصلين. فاليسار هو الاشتراكيون، وهؤلاء يستمدون صفتهم من الاشتراكية. لعل المقال يلقى ضوءا على ذلك التساؤل.

اليسار فى مصر، مجزء إلى ثلاث فصائل أساسية، هم **الشيوعيون والتجمع، والناصريون.** وذلك بغض الطرف عن التجزيئات الفرعية الأخرى، داخل هذه الفرق، ونحن لانود أن نغرق فى هذا التفتت الفرعى. فهذا واجب خاص بالفرقة المفتتة، إذا ارادت أن تنهض وتقوى، على الأقل طبقا لمصلحتها الذاتية، بالمعنى الضيق، كذلك فان متابعة التفتت الفرعى قد تبعدنا عن الموضوع الذى نتصدى له اليوم.

لقد جوبه اليسار بقوى معوقة رهيبة، قامت على مصالح طبقية. فقد تملكت قلة من الرأسماليين وسائل الانتاج، واستخدمتها لاستعباد الناس واستغلالهم. وتحالفت تلك الطبقة مع قوى أخرى رجعية استغلت اسم الله وأديانه فى اتهام حركات التحرر الإنسانى والاشتراكي بالالحاد واستمعت لهم جمهرة فقيرة، استغل الرجعيون ضعف وعيها، وإيمانها بالاديان، فشنوا حربا قذرة ضد الاشتراكية، وإبعاد الناس عنها.

لانزاع أن اليسار بشعبه الثلاث قد عانى من ذلك طويلا، بدءا بالشيوعيين، ثم عبد الناصر، ثم التجمع.

والمشكلة فيما يتعلق بالنضال ضد القوى الرأسمالية الرجعية ليست عضالا. فطالما أن الجشع وامتصاص كدح العامل، وتحويله الى رأسمال يملكونه، هو فلسفة الرأسماليين، فإن **المعركة لن تهدأ الا بانتصار الكثرة العاملة، على القلة الرأسمالية المستغلة، أى بانتصار الاشتراكية.** هذه هى الحال، بالنسبة للرأسمالى الاصلى، فما بالك بالرأسمالى الطفيلى، الذى يجمع ثرواته من نشاط طفيلى، غير منتج، أو من نشاط غير مشروع. وقد تجلى ذلك فى صور الفساد والاثراء، التى اصبحت مألوفة للناس فى الوقت الحاضر.

يتبقى أمر الرجعية الدينية. وقد ثبت من الأحداث الدولية الأخيرة، بما فى ذلك عمليات الارهاب الدينى، ومن زيادة الوعى بالمشكلة الاجتماعية والاقتصادية لدى الجماهير، ومن انكشاف الكذبة الكبرى بتعارض الاشتراكية والدين، التى استخدمها أعداء الشعوب فى الماضى. هذه الاعتبارات وغيرها يمكن استخدامها لتحرير الاشتراكية من كذب الرجعيين ضدها. وبهذا تتحرر من أهم معوق يمكن أن يعترض سبيلها، وبصفة خاصة فى أوساط لم يبلغ فيها الوعى المستوى المرجو.

هذا الاقناع للجماهير، بأن الاشتراكية هى نظامها، وأن اعداء الشعوب، حاولوا تشويهها باستخدام الدين، يتطلب جهودا مشتركة، وجبهة يسارية قوية، تستطيع أن تلتحم بالجماهير وتقودها الى عملية التغيير.

إن مبادئ اليسار، بفرقة المختلفة، قوية. وهى حقا مبادئ الجماهير. فهى تدعوهم الى السيطرة على وسائل الانتاج، والى أن يمثلوا فى المجالس النيابية تمثيلا ديمقراطيا، صادقا وأمينا، أى تمثيلا حقيقيا، للفلاحين والعمال والمثقفين، وغيرهم من الكادحين ولمصالحهم. لكن هذا الصوت يقف عند حدود جريدة أو ندوة أو خطاب. وحتى الخطاب لايمكن أن يلقى فى مكان عام مفتوح تحضره الجماهير من كل لون، فحق التظاهر والخطاب فى جمهور عام ممنوع.

وحتى تصل المبادئ الى الناس، لكى تحولهم وتدفعهم لعمل جماهيرى خلاق- وهو العلاج الحقيقى لامراضنا السياسية والاقتصادية- يجب أن يتصل اليسار، اتصالا مباشرا بالجماهير، لكى يحادثها حديث القلب للقلب، الحديث الفاعل، الذى لابد منه لاحداث التغيير المطلوب.

وبغير ذلك سنظل نصرخ فى واد غير ذى زرع، أو «ننفخ فى قربة مقطوعة» كما يقولون.

هذا الاتصال المباشر بالجماهير ليس عملية سهلة فى ظل الظروف السياسية التى نحياها. ولامراء أن توحد اليسار قد يسهل منها! ولا اقصد الاتحاد الطموح- ولو اننى اتمناه- أى أن تدمج فصائل اليسار فى «سرية» واحدة، اذا استخدمنا تعبيرا عسكريا، ولكن، على الأقل، يمكن الاتفاق **على ميثاق عمل مشترك لليسار.** توقعه، وتلتزم به كل الفصائل. وتكون الفقرة الأولى، التى تتطلب لقاءات أولية لبلورتها، وبحثها للوصول الى الطرق الفاعلة، **هى الاتصال بالجماهير.** وهذا يقودنا الى النقطة الاساسية فى الميثاق، وهى الاشتراكية.

لاجدال فى أنه لايسار من غير اشتراكية. وفكرة اليسار فى أنه ذلك الفريق، الذى يعارض الحكومة ويجلس فى الجهة اليسرى من المجالس النيابية، فكرة لم تعد صالحة فى الحقبة المعاصرة، حيث اليسار هو الاشتراكيون. واذا كان الأمر كذلك، فإن الاشتراكية، يجب أن تكون الفكرة الكبرى، التى تنبثق منها المبادئ التى تحويها مواثيق الاحزاب أو الفرق اليسارية.

وبكل آسف، فإن إحساسى- وأرجو صادقا، أن أكون مخطئا- هو أن الاشتراكية لم تعرض فى مواثيق فرق اليسار، بحيث تكون لحمتها وسداها- ربما يستثنى من ذلك الشيوعيون وقد ذكرت، الى جانب مبادئ أخرى كثيرة، تاهت الاشتراكية بينها.

إننى أقصد بأن الحزب **اليسارى يصبح من غير رسالة، إن لم تكن الاشتراكية رسالته.** وهى الوحى الذى يوجه الحزب نحو الاهداف الأخرى. فهى تتسلل الى التنظيم الاقتصادى والسياسى والاجتماعى. والى علاقة الجماهير بالسلطة، والى تكوين السلطة وتنظيمها فى القطاع الحكومى والقطاع العام، والقطاع الخاص.

والاشتراكية تحدد نظرتنا أيضا ، الى العالم وسياستنا الخارجية ، ومؤازرة الشعوب التى تناضل فى سبيل تحررها السياسى والاقتصادى ، الشعوب التى تقاوم التبعية ، وتتطلع للاستقلال الحقيقى.

وحتى القومية العربية يجب أن يكون للاشتراكيين بصمة عليها. فدور القومية العربية الاجتماعى والاقتصادى أساس هام لتطوير فكر القوى الداعية إليها... وقد بذلت جهود مخلصة وشاقة، فى عهد عبد الناصر، لربط القومية العربية بالاشتراكية. وبذلك تجد فيها الجماهير العربية مخرجا من حالة التخلف والتمزق، والظلم الاجتماعى ، التى يعانون منها. وتسلط الضوء على أن أصحاب الحق والمصلحة فى التجمع العربى ، الاقتصادى والسياسى هم الجماهير العربية.

وليس هناك درجات فى الاشتراكية بين الفرق الثلاث. فتفكك الاتحاد السوفيتى، وبلدان شرق أوربا . والاستيعاب التاريخى لتطور الانسان ماديا ووجدانيا فى علاقته بالملكية الخاصة، وتثقيفه وإعداده لمجتمع اشتراكى كامل، كل ذلك وغيره قد ألغى مايسمى بدرجات الاشتراكية. فهذه مسألة تخضع للظروف التاريخية والمادية والثقافية، التى يمر بها كل مجتمع.

وقد يكون من المفارقات الغريبة، أنه بعد سبعين عاما، فشل الحزب الشيوعى السوفيتى فى تثقيف الانسان السوفيتى - أو عدد كبير منه- وفى تحويله الى انسان اشتراكى، يؤمن حقيقة بالاشتراكية، كنظام اقتصادى وروحى ،أو فلسفى، وانها نظامه الذى لايهزه ، ولاينال منه أى نظام أو ايديولوجية أخرى. ولابد أن تكون هناك عوامل عرقلت هذا العمل التثقيفى. ربما يكون من بينها البيروقراطية التى استغرق فيها الحزب، والتى عزلته عن الجماهير. هذه البيروقراطية تسببت فى اغتراب الجماهير السوفيتية- وكذلك جماهير شرق أوروبا- عن وسائل الانتاج وعن المنتجات. كما هو الحال فى الرأسمالية، حيث عزلت الرأسمالية شعوب تلك الدول عن وسائل الانتاج والمنتجات ، وأصبحت مغتربة عنها. وبذلك لم يعد هناك فارق كبير بين الاغتراب الرأسمالى ، واغتراب احدثته بيروقراطية بعض الاحزاب الشيوعية.

إن هدف الفرق الاشتراكية جميعا، هو اقامة مجتمع اشتراكى، تسيطر فيه الجماهير على وسائل الانتاج، وتوجهها نحو التنمية، وتلغى استغلال الانسان للإنسان. وتتدرج السيطرة من سيطرة غير مباشرة الى سيطرة كاملة مع الزمن، حسب الظروف التاريخية لكل مجتمع. وبهذا فان هناك مجالا لصياغة مشتركة لخصائص النظام الاشتراكى، تؤمن به وتعمل له الفرق اليسارية جميعا للوصول الى الهدف النهائى.

لقد كانت الاشتراكية فى تاريخنا فكرة تتردد فى اذهان فئة مناضلة، كافحت كفاحا فذا ضد القوى المعادية للانسان. وهى قوى رهيبة، استخدمت الاعتقال والتعذيب والقتل، ضد هؤلاء الاحرار، الذين كان **أغلبهم ماركسيين.** ومنعتهم من التواصل مع الجماهير. **وكان لعبد الناصر فضل نقل الافكار الاشتراكية، لتكون أداة فى يد السلطة لتحرير الجماهير . وبهذا** برزت الاشتراكية فى دستور البلاد ، ومواثيقها السياسية، وقطاعاتها الاقتصادية، لأول مرة فى تاريخ مصر.

ولكن يجب أن نعترف (وهذا نقد ذاتى)، أن التجربة أصيبت بمرض عضلى، أصاب أيضا بعض التجارب الاشتراكية الأخرى. وهى أن عبد الناصر، كان يقيم اشتراكية من غير اشتراكيين أى أن الكوادر التى قادت السياسة والاقتصاد ، كانت جذورها البرجوازية عميقة، بحيث لم تسهم فى عملية التثقيف والتحول الاشتراكى. وعلى العكس كانت عقبة أمام الاشتراكية. فما أن مات عبد الناصر، حتى التفت تلك القوى حول خليفته.. **ومسح السادات صفحة الفخار التى خطها عبد الناصر فى تاريخ مصر والعرب. وقلب النظام الى نظام رأسمالى طفيلى انفتاحى وتابع،** ذهب بكل مكاسب الشعب الى جيوب النهابين والهدامين والقافزين على السلطة.

وليس أدل على ذلك من أن المجموعة ، التى أدار بها عبد الناصر نظامه الاقتصادى هى فى أغلبها المجموعة التى أستخدمها السادات للقضاء على الاشتراكية، وزرع رأسمالية خبيثة بدلا منها. وهى المجموعة التى أدارت تأميم المشروعات، ووسعت وقوت القطاع العام فى عهد عبد الناصر ثم ضربته فى عهد الخلفاء ، وباعته اخيرا للأجانب بثمن بخس . أى انها باعت عرق الشعب وكدحه للاجانب. ليعود القهر الاجنبى للمصريين مرة أخرى. درس يجب أن نستوعبه، ونبرزه، ونفيده منه.

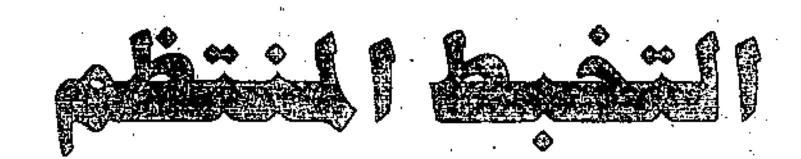
وبهذا فالجهود التثقيفية والتنظيمية للجماهير، **فى هذا الظرف التاريخى ، الذى نجتازه، تتطلب منا توحيد الجهود فى نطاق** اليسار، اذا اردنا حقا أن نحقق نجاحا سياسيا واقتصاديا ، حسب الافكار التى نؤمن بها، وتؤمن بها معنا الجماهير الكادحة. **ولكن الجماهير تود مصداقية من جانبنا، هى التوحد بيننا ،على الأقل، فى العمل الاشتراكى.،** وأن نعطيها قدرة بدعم هذه المصداقية، باننا جادون فى الاصرار على أن.. الاشتراكية هى المنقذ للجماهير، سوا ، فيما يتعلق بالتنمية، أو فيما يتعلق بتوزيع الدخل ، والعدل الاجتماعى.

هذا الاتصال المباشر بالجماهير وقيادتها ، عملية شاقة فى الحقبة المعاصرة. فالحكم القائم يدعى بأنه خليفة ثورة يوليو، وحارس مبادئها العظيمة. وكانت الاشتراكية أعظم مبادئ الثورة. أين هى الآن، والقطاع العام يباع للمغامرين الاجانب. أين هى من الرأسمالية التابعة، المخلصة فى تبعيتها، بدرجة اكبر من اخلاص الرأسمالية الكبرى المتبوعة لنفسها. وهناك قوى ظاهرة وخفية تدعم الحكم، وبذلك فالتصدى له فكريا يتطلب جبهة قوية.

وهناك حزب برجوازى ،يعد نفسه ليكون بديلا للحزب الحاكم . وهو لايختلف عنه كثيرا فى الفلسفة السياسية والاقتصادية ، الا بالقدر الذى يتيح له أن يخلفه، وهو يضم بعض الاعيان ورجال الاعمال، والباشوات القدامى. والفارق بينه وبين الحزب الحاكم، هو أن الأخير يضم الباشوات الجدد.

والجبهة التالية الخطيرة، التى تتطلب نضالا مصرا طويل الأجل، هى الجبهة التى تستغل الاسلام للقفز الى الحكم، وفرض ديكتاتورية ورأسمالية، تستغل اسم الله ودينه، وليكون استعبادها للناس مقدسا، لايستطيع أحد أن يناقشه. هذا الخصم التقليدى لليسار يتطلب جهدا ضاريا لحماية الجماهير منه.

ومن الواضح أن هذه الجبهات، الى جانب القوى الأجنبية التى تساندها، تملك السلطة والمال وأدوات الكذب والتلفيق والاعلام. كل هذا يستوجب توحد اليسار. بل يتطلب تنظيما يساريا صلبا، إن لم يصبح معه الاشتراكيون تنظيما واحدا شاملا فى الحل، فلابد على الأقل من وحدة أو جهة تضم عناصر اليسار جميعا، ولابد لهذه الجبهة من ميثاق ، تكون الاشتراكية عموده الأول، ميثاق يبرز الهدف النهائى للنظام الاجتماعى، وهو الاشتراكية ، ويبين برنامج العمل مع الجماهير. بهذا نعطى الجماهير ايديولوجية تشغل خيالاتهم، وتتصل بحياتهم السياسية والاقتصادية اليومية. وتصور حاضرا يحمل الأمل، ومستقبلا يترجم الأمانى: ديمقراطية وعدلا ورخاء.



التخبط المنتظم

د. سمير حنا

يعرف الاطباء نوعين من عدم الانتظام فى دقات القلب : عدم **الانتظام المنتظم** regular Irregularity **وعدم الانتظام غير المنتظم** Irregular Irregularity.

ولما كان ما نعيشه اليوم يفرض على كل مهتم بشئون بلده واولادة أن يتأمل ويفكر ليستخرج الأسباب والعلل وليصل إلى القواعد والقوانين والتعميمات ، فأنى- بعد التأمل العميق- قد وصلت إلى القاعدة الاساسية التى تسير عليها سياسة حكومتنا السنية، وهى **«التخبط المنتظم».**

أما عن التخبط فهو واضح وضوح الشمس

أنظر إلى **تشريعات الانتخابات:** فهى يوما بالقائمة المطلقة، وهى يوما بالقائمة النسبية وهى يوما بالدوائر الفردية ثم يوما بخليط من هذا وذاك.

ثم انظر إلى **ميدان التعليم:** ففى عصر سابق اقنعتنا حكومتنا بأنه من الواجب اختزال اعوام الدراسة لكى نتفادى حشو ادمغة الطلبة بالمعلومات، وتسبب هذا الإجراء فى ارتباك شديد فى العملية التعليمية تحملناه لتنفيذ هذه الخطة العبقرية لإنقاذ التعليم. ثم اقنعتنا حكومتنا بأن التعليم الجامعى مضيعة للوقت والمال وأن نسبة الجامعيين عندنا تفوق نسبتهم فى البلدان المتقدمة (وهى أكذوبة جريئة) وأن فى التعليم الفنى الذى عقدنا له الاتفاقات مع المانيا خلاصنا. ثم جاء وزير التعليم الحالى فانقلبت الامور فإذا التعليم الجامعى قاصر كما ونوعا، وإذا التعليم الفنى فى غياب تنمية يؤدى إلى بطالة ويؤدى إلى إرهاب، وإذا اختزال سنة من سنين الدراسة خطأ فادح ينبغى التخلص منه.

ثم انظر فى نفس الميدان إلى التخبط **الذى يتردد مرة كل اربع سنوات بين تطبيق نظام الفترات والفائة وبين تعيين العميد** أو انتخابه. وكل هذا علاوة على فشل الخطط المختلفة للتخلص من الأمية أو حتى خفض نسبتها أو رفع مستوى الدارسين الذين حصلوا على الإعدادية ولايستطيعون «فك الخط». هل هناك عجب **إذن أن تصفنا تقارير الأمم المتحدة عن التنمية البشرية نتيجة لهذا التخبط فى قاع المتخلفين؟** وهل هناك عجب أن تتفوق علينا فى هذا المجال كل الدول العربية ما عدا السودان واليمن والصومال وأن تمتاز عنا كثير من الدول الافريقية مثل ناميبيا وليسوتو؟

وانظر إلى التخبط فى ميادين **الثقافة والاعلام** فبينما تنادى الدولة بالتنوير وبالقراءة وبالمكتبة تنشر أهم أجهزة الإعلام فى الدولة الخرافات والدجل بالحديث عن **«سبعمائة امرأة صباحا ومثلها مساء»** وبالنصيحة لعلاج الحسد **«بالاغتسال فى مياه وضوء الحاسد»** **ومثل الاستعانة فى علاج الامراض المختلفة** باستشارة العطارين.. ولماذا التعجب إذا كانت مديرة البرامج الثقافية فى إحدى قنوات الإعلام الحكومية تبدو بجوارها اتفه المذيعات فى ذكاء **البرت اينشتين** . وهل تريد المزيد؟ لقد اقنعنا التلفزيون منذسنوات بأنه يجب على المواطن المصرى أن يذهب إلى فراشه مبكرا ولذا فقد قرر الانتهاء من برامجه قبل منتصف الليل. وسررنا لهذا القرار من التلفزيون ايما سرور، فنوم الظالم عبادة، ولكن لم تدم سعادتنا طويلا.. فقد عاد الظالم إلى البث حتى الرابعة صباحا بقرار من نفس قيادته السابقة.

ثم انظر إلى الحديث المستمر عن الطفولة: **«شام الطفل» و «عقد الطفل» و«اسبوع الطفل» و«جمعيات الطفل» و«شارع الطفل»**..إلى آخر هذه الأحاديث والاحتفالات التى يظهر فيها وزراء الاعلام والتعليم والمحافظون فى الوقت الذى **يسقط فيه الأطفال فى البالوعات وتنفغ فيه اسماء الاطفال الذين يعملون فى اسوأ ظروف العمل** وفى غياب تنفيذ ابسط التشريعات الانسانية التى تحميهم، ويصاب فيه الاطفال بنسبة كبيرة من الامراض لعل افضحها **فقر الدم الناتج عن سوء التغذية الناتج عن الفقر المدقع** الذى اصبح مستشريا فى مصر والذى يؤدى **إلى التخلف العقلى.**

***

ولاينبغى أن يغرك هذا التخبط، فداخل هذه الفوضى هناك خط واضح لاحيدة عنه ولاانحراف:

- فاسعار **السلع ترتفع وسيزداد ارتفاعها يوما بعد يوم والقوة الشرائية لدخل الفقراء والطبقة المتوسطة تضمحل وستضمحل شهرا بعد شهر.**

- **والتعليم والصحة يقل وسيقل نسبة الصرف عليهم ميزانية بعد** ميزانية.

-والدجل **والجهل ستزداد مساهمتهم فى البرامج الاعلامية والتعتيم على الاحزاب وقتل الديمقراطية والمن على المعارضة الشرعية بعشرين دقيقة كل انتخابات استمر وسيستمر برنامجا بعد برنامج.**

- **وبيع القطاع العام وسحق الطبقة المتوسطة وازدياد الثراء الفاحش للطبقات الطفيلية وللقادة وظهور اعداد اكبر من المرسيدس والشبح والبودرة سيستمر إلى أن يقضى الله أمرا كان مكتوبا.**

وتبدو الأمور وكأنما هناك قوة مغنطيسية هائلة، ثقب أسود، تنجذب إليه القرارات والسياسات . قوة تحدد المسارات والاتجاهات، قوة تخلق طبقة طفيلية تستورد وتستهلك من الغرب وتوقف وتعطل قوة الانتاج الداخلى.. هل هى البنك الدولى؟ هل هى صندوق النقد؟ هل هى سلطات توجه البنك الدولى وصندوق النقد؟

الله اعلم

العرب

مابين مطرقة إسرائيل وسندان "حماس"



رسالة حيفا

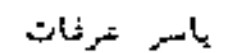
كثيرة هي الاحلاف العربية العجيبة في تاريخ الانسانية والدبلوماسية، وكثيرة منها الاحلاف التي تجعل من السياسة سوق نخاسة. اكثر ماهي فن ودهاء. أحلاف قد تنتهي بالحليفين الى قاتل ومقتول. كما حصل في تحالف المرحوم انور السادات مع **الحركات الاسلامية المصرية**. وأحلاف قد تنتهي بالحليفين الى غالب ومغلوب. كما حصل في تحالف **بوش وجورباتشوف** . وأحلاف على طريقة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية الاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا وامريكا ضد المانيا) وعلى طريقة «المجاهدين» في أفغانستان (الذين يذبحون بعضهم بعضا بشكل جنوني)... الخ.

ومن الاحلاف الغريبة التي نعيشها نحن في أرضنا الجريحة ذلك الحلف القائم بين حكومة اسرائيل من جهة وبين حركة حماس (حركة المقاومة الاسلامية) في فلسطين وأمثالها من المعارضة الفلسطينية من جهة وبين حكومة اسرائيل من جهة ثانية.

بالطبع، قد يحسب القارئ اننا نمزح أو نتجنى. خصوصا وأن ساحة قطاع غزة المحرر قد شهدت فقط في مطلع شهر أغسطس/ آب ١٩٩٤ عمليتين عسكريتين نفذتهما عناصر «حماس» ضد اسرائيل .في احداهما قتل مستوطن اسرائيلي وجرح آخر وفي الثانية جرح شخص جرحا خفيفة.

لكن من يتمتع بذاكرة متوسطة الجودة، يعرف أن اسرائيل شجعت، في مرحلة معينة، نشاط حركة «حماس» (وهي تعلم انها حركة تدعو الى إبادة اسرائيل وإقامة الدولة الاسلامية الكبرى في فلسطين) ومثيلاتها.

نفضت الطرف عن انتظام قواها في المناطق الفلسطينية المحتلة. **وسلطات الاحتلال التي كانت تسجن المواطن الفلسطيني لمجرد «ضبطه» حاملا نسخة من صحيفة «الاتحاد» الحيفاوية وتحكم عليه بالسجن ستة أشهر ، فتحت باب الحرية لنشاط**



ياسر عرفات



حماس ولصحفها ولاجتماعاتها **ولتدفق الاموال عليها من الخارج.** لذلك ليس غريبا أن يقوم بينها حلف.

غير أن الحلف هذه المرة، هو أشبه مايكون بالحلف الذي يقوم مابين المطرقة والسندان.. وهما الجسمان اللذان يقدمان فيمابينهما طرفا ثالثا دائما.. ويطحنانه.

والجهة الواقعة بين مطرقة اسرائيل وسندان حماس اليوم ، **هي السلطة الوطنية الفلسطينية**، ورئيسها عرفات. كلاهما، وكل واحد من جهته، يحاول الضغط عليها واحراجها وابتزازها لمصلحة أهدافه الذاتية. كل واحد منهما يسعى للمساس بهيبتها واضعاف دورها.

«**حماس**» ، عندما نفذت هجومين عسكريين ضد مستوطنين وجنود اسرائيليين داخل منطقة الحكم الذاتي الفلسطينية استهدفت التمرد على السلطة الوطنية الفلسطينية وتحديها واختبار رد فعلها. وعندما قامت قوات الامن الفلسطينية باجراء التحقيقات والاعتقالات في صفوف «**حماس**» **اتهمتها هذه بأنها تفعل ذلك لارضاء اسرائيل** كما جاء في بيان رسمي لها وفي تصريحات لقادتها.

وبالمقابل، اتهمت اسرائيل السلطة الوطنية الفلسطينية بعدم الجدية في ملاحقة الارهاب. واعتبرت اجراءاتها ضد «حماس» مجرد ذر للرماد في العيون. كما صرح بذلك وزير الخارجية **شمعون بيرس** في الاسكندرية (١٩٩٤/٨/١٧). وراح يوجه تهديدات مبطنه بأن المفاوضات الاسرائيلية- الفلسطينية حول توسيع رقعة



أحمد ياسين

المناطق المحررة (الحكم الذاتي) ستواجه عقبات جدية وتبعه في ذلك عدد من المسؤولين، مثل رئيس الحكومة، اسحاق رابين، الذي زعم أن السلطة الوطنية قادرة على تصفية الارهاب من حماس وغيرها لكنها لاتفعل كل ما في وسعها. وفي ذات الوقت، كانت قوات الجيش الاسرائيلي تطلق الرصاص على فتى فلسطيني حاول اجتياز الحدود ما بين رفح الفلسطينية ورفح المصرية «بشكل غير شرعي» فأردته قتيلا.

.. وهكذا، الحليفان في الحلف غير الرسمي، حكومة اسرائيل وحماس، يجدان نفسيهما وبشكل مخطط متعمد، في خندق واحد.. للمساس بهيبة السلطة الوطنية واظهارها ضعيفة وعاجزة.

أهداف حماس

لم تخف حركة «حماس» مسؤوليتها عن الهجومين العسكريين المذكورين، بل اعلنت مسؤليتها بشئ من التباهي. وكان مفهوما من إعلانها هذا أنها أطلقت الشرارة الأولى في حربها ضد السلطة الوطنية الفلسطينية، بكل ما يعنيه من كلمة. نهاتين العمليتين هما جزء من مقاومة الاحتلال.

فالمعروف أن معظم اراضي قطاع غزة باتت تحت ظل الحكم الفلسطيني وكل وجود اسرائيلي فوق هذه الاراضي هو بموجب اتفاق رسمي بين ممثلي الشعبين، حكومة اسرائيل من جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة ثانية. فإذا كان هذا الوجود مخالفا للاتفاق او متعارضا مع قانون السلطة الوطنية، فمن حق هذه السلطة فقط أن تحاسبه. وهي تحاول بسط سيطرتها فعلا، مدركة بأن نجاحها في ذلك، هو الطريق لتحويل الحكم الذاتي الحالي إلى دولة مستقلة في المستقبل.

لكن حماس لاتريد كل هذا.

لاتريد، أولا أن تعترف بالسلطة الوطنية. ولا تريد أن يقتنع الشعب بهذه السلطة ويمتثل لقوانينها. ولا تريد له أن يثق بأن هذه السلطة تقود نحو دولة فلسطينية فاذا اقتنع الناس بهذا، ماذا يبقى لحركة «حماس» في الشارع؟

****

لقد كنا فرحنا للأفضل بتصرف «حماس» مع بداية تسلم السلطة الوطنية زمام الحكم في غزة، اذ رحبت بالعائدين وبرجال الشرطة الفلسطينية. ووعدت بعدم تشويش عملها. وشارك عدد من رجالاتها في مختلف الاعمال التطوعية وفي المساجد التي يسيطرون عليها، دعا الائمة الى الوحدة وعدم اراقة الدماء الفلسطينية لأي سبب كان. ووافقت على أن يوقع سجناؤها على التعهد الذي اشترطته اسرائيل لاطلاق سراحهم. وفيه اكدوا مناهضتهم للارهاب وادراكهم بأنهم يتحررون بموجب اتفاق المبادئ الاسرائيلي- الفلسطيني.

فمن الخطل الظن بأن وطنيا فلسطينيا، أيا كان انتماؤه السياسي، يرضى بالتوتر بين السلطة الوطنية الفلسطينية وبين «حماس» أو غيرها من قوى المعارضة الفلسطينية. فمثل هذا التوتر، كيفما يكون حجمه ونطاقه، وحتى لو كان في اطار تمرد على سلطة وطنية واجراءات رد قانونية، هو توتر مضر، لذلك فرحنا وارتحنا في حينه.

لكن، على مايبدو، فان حماس لم تشعر بذلك الارتياح. فالتعايش السلمي بينها وبين السلطة الفلسطينية، لا يكسبها، مثلما لايكسبها التعايش السلمي بين الشعبين الفلسطيني والاسرائيلي.

إن الرصيد الشعبي الاساسي لهذه الحركة وامثالها يقوم على اليأس والتيئيس من كل الحلول السلمية ومن كل تعاون مشترك. بوارق الأمل تعتبر بمثابة عدو لها ينبغي قتله، أن كان ذلك أمل بالسلام أو بالامان أو بحل المشاكل الاقتصادية فالامر عندها سيان. وقد انتظرت حماس وحليفاتها فترة حتى تجس النبض الجماهيري. ورأت كيف انقلب اتجاه الناس لمصلحة العملية السلمية والتفوا حول السلطة الوطنية والرئيس عرفات بحماس جارف. ولمست كيف ينتظر الناس بقناعة ويأمل امكانية تغيير الوضع الاقتصادي للأفضل. وشعرت أن الكثيرين من مؤيديها باتوا ينفضون من حولها. وحتى المظاهر الاجتماعية التي روجت لها «حماس» وغيرها من الحركات الاسلامية الحزبية بدأت تتساقط لدرجة أن هناك من الشبان الملتحين حلقوا ذقونهم ومن النساء المحجبات من خلعن الحجاب واكتفين بملابس معقولة الاحتشام.

لذلك، بحثت حماس عن طريق لتغيير الوضع.

فماذا تفعل؟ هل تدخل في صدام مباشر مع السلطة الوطنية؟ هذا ليس في صالحها. لذلك لجأت الى العمل العسكري ضد اسرائيل. فهكذا تكسب الناس، الذين مازالوا يشعرون بالعداء لاسرائيل جراء سنوات الاحتلال والقمع والعذاب المريرة والطويلة. واذا اعترضت السلطة الوطنية، فتكون التهمة ضدها جاهزة: «سلطة فلسطينين تدافع عن اسرائيل وترضي اسرائيل.. الخ».. واذا نجحت في استفزاز اسرائيل، فان ضباطها سيخترقون منطقة الحكم الذاتي لمطاردة الفاعلين من حماس، وبهذا تتورط إسرائيل في الاساءة للسلطة الوطنية وقادتها. وهذا هو المطلوب.

ومن يتابع منشورات وتصريحات حماس بعد العمليتين ورد الفعل الفلسطيني عليهما (التحقيق مع عشرات نشطاء، وقادة حماس واعتقال بعضهم) يلاحظ انها جاءت متطابقة مع هذا السيناريو.

والسلطة الوطنية، رغم حرصها على تجنب الصدام مع حماس ومع بقية قوى المعارضة، صداما جسديا او ناريا، وجدت نفسها تنفذ اعتقالات جماعية فور المطالبة الاسرائيلية بمعاقبة الفاعلين (توقيت سيئ، وربما غير مدروس وبشكل كاف، او انه مقصود).

***

ولكن، اذا كان تصرف حماس «مفهوما»، باعتبار انها معادية لاتفاق السلام

الاسرائيلي- الفلسطيني من أساسه، ومعنية بافشاله بكل الوسائل. فان تصرفات حكومة اسرائيل الشريكة الاساسية في هذه العملية السلمية لايمكن أن تكون مفهومة لنا.

ولنبدأ بتصريحات السيد شمعون بيرس، بالذات في الاسكندرية.

السيد بيرس معروف بأنه الأب الروحي والجسدي لعملية السلام الاسرائيلي - العربي وهو أكثر المعنيين بنجاحها، لأن رصيده السياسي كله مربوط بنجاحها. واختياره بالذات لالقاء هذا التصريح، مع التهديد المبطن بعرقلة المفاوضات، ومع اللجوء الى مصر لتجنيدها (مثلما حاول عرفات تجنيدها قبل فترة عندما «عصلجت» اسرائيل في المفاوضات حول المعابر واطلاق سراح السجناء وادخال بند ادارة الاماكن المقدسة في القدس الى الاتفاق مع الاردن..)، كل هذا جاء ليشكل ضغطا على الرئيس الفلسطيني حتى «يشدد قبضته» على حماس.. وعلى المعارضة عموما ويقدم التنازلات على طاولة المفاوضات.

قد تكون هذه التصريحات «مربحة» لحكومة اسرائيل في الشارع الاسرائيلي، لتواجه بها المعارضة اليمينية الواقفة لها بالمرصاد. فتظهر متشددة مثل اليمين، وليس رابين فقط بل بيرس المعتدل ايضا.

ولكن، للأسف، هذه حسابات قصيرة النظر للغاية.

فالمواطنون الاسرائيليون الذين يبحثون عن «تشدد»، يفضلون أن يروا هذا التشدد في اليمين واليمين المتطرف. فهكذا يكون أصليا أكثر. وأن رضوا به الآن، فانهم لن يكتفوا به غدا.. عندما تقوم حماس وغيرها بعمليات أخرى.

والساذجون فقط هم الذين يعتقدون بأن عمليات كهذه ستتوقف لا بل أن التطورات التي حصلت بعد هاتين العمليتين تشجع حماس على تكرار الفعلة نفسها وبأشكال مختلفة وربما أخطر. فما الذي سيقوله بيرس عندها، وبماذا سيهدد؟ وهل سيترك شيئا لرابين يهدده، وهو المعروف بتفوقه على بيرس في هذا المجال؟

***

أن حكومة رابين، الشريك الأساسي في عملية السلام الاسرائيلي- الفلسطيني، تبدو في ممارساتها هذه مثل اعدى اعداء السلام. تحكمها المصلحة الانانية قصيرة النظر والتي تعود باضرار اولا وقبل كل شئ على عملية السلام واصحابها. ويندرج تصرفها ضمن سلسلة اجراءات وممارسات تستهدف المساس بمكانة منظمة التحرير، منذ توقيع اتفاق اوسلو قبل سنة (في واشنطن - ١٣ ايلول/ سبتمبر ١٩٩٣)

وأبرزها:

- مواصلة القمع الاحتلالي في المناطق المحتلة. ومع أن هذاالقمع خف نسبيا، لكنه ظل قائما وتسبب في الكثير من الضحايا، قتل، جرح، هدم بيوت، اعتقالات، مداهمات .. الخ.

- الاستمرار في سياسة الاستيطان ومسايرة المستوطنين، والمثل الصارخ على ذلك مجزرة الحرم الابراهيمي الشريف في الخليل (٢٥ شباط/ فبراير ١٩٩٤)، التي ارتكبها مستوطن، واكملتها قوات الاحتلال وزاد الطين بلة قرار لجنة التحقيق الرسمية الذي حصر مسؤولية المجزرة في المستوطن باروخ غولد شتاين بينما برأت قيادات الجيش الميدانية والقيادة السياسية التي ترسم السياسات وتضع القوانين والمفروض انها تتحمل المسؤولية الأساسية عن المذبحة.

شمعون بيرز



- المماطلة في تطبيق بنود اتفاق اوسلو أولا ثم اتفاق القاهرة. فالانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة واريحا لم يتم في موعده، بل تأخر عدة اسابيع، وتسليم بقية المناطق الذي كان مفروضا انهاؤه خلال بضعة اسابيع.. لايزال موضوعا للتفاوض... ويسمح رابين لنفسه بأن يوقف التفاوض في جانب ويؤجل التفاوض في جانب آخر.

- حتى رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، ياسر عرفات، يجد امامه قيودا في التحرك الحر ما بين غزة واريحا. فلم يؤمن له، بعد، ممر آمن حر، لا جوا ولا برا، ومازال المواطنون العائدون من ممرى الحدود، في رفح او اريحا، يعانون من ساعات الانتظار الطويلة.. والكثيرون يمنعون من دخول الوطن، لمختلف الحجج.

- الموقف الاسرائيلي المتعنت في موضوع القدس والاصرار على تثبيت احتلالها. وقد زاد الطين بلة اعطاء مكانة مميزة وأفضلية عليها للمملكة الاردنية في ادارة الاماكن المقدسة فيها، عند الحل النهائي. ان وضع هذه الفقرة في الاتفاق الاردني- الاسرائيلي، اعتبرت استفزازا للجانب الفلسطيني، المفروض أنه صاحب القدس واعتبرت محاولة لدق الاسافين مابين الشقيقين العربيين، الأردن وفلسطين.

ان هذه المواقف والتصرفات المتلاحقة وغيرها.. تمس بمكانة منظمة التحرير. ويستغلها خصومها من المعارضة للطعن في مصداقيتها وهيبتها.

بالطبع، منظمة التحرير من جانبها لاتسلم بالامر الواقع، وتقوم بالتصدى لهذه الممارسات على ارض الواقع وبتجنيد مصر وباطلاع الرأى العام العالمي وحكومات الغرب على كل التطورات. ولكن الجهود التي تصرفها في هذا المجال تستنزف قواها وتشغلها عن مهماتها الاساسيةفي استثمار الجوانب الايجابية في اتفاق اوسلو وتوقعها في زحمة وضغط يتسببان في اخطاء عديدة واجراءات متسرعة.. هي في غنى عنها.

لقد وصلت الأمور في هذا المجال الى مرحلة تستدعي وقفة مجددة لدى كل الاطراف، اسرائيل ومنظمة التحرير والمعارضة والقوى الداعمة لعملية السلام عربية واجنبية، لازالة العقبات التي تعترض طريق عملية السلام. فالقطار انطلق ولامجال لعودته الى الوراء. وليس هناك من مفر سوى تسهيل الطريق وتوضيح الهدف لمصلحة جميع الاطراف.

سلام إسرائيل تمزيق العرب

مدحت الزاهد

فى ٢٥ يوليو ٩٤. وفى حديقة الورود بالبيت الأبيض وقع العاهل الاردنى «**الملك حسين**» ورئيس الوزراء الاسرائيلى «**اسحاق رابين**» على اتفاق لانهاء حالة الحرب وبدء عهد من السلام والتعاون بين الاردن واسرائيل.

وقد أثار الاتفاق الاردنى- الاسرائيلى ولايزال، وردود افعال واسعة فى العالم العربى فالاتفاق- مع التطورات فى المسارات الأخرى- كشف حقيقة التسوية السلمية للصراع العربى- الاسرائيلى عارية، بلارتوش. أو اوراق ترت تسترها التسويات المرحلية والمنفردة رغم كل الصفحة التى احاطت بافتتاحية مؤتمر مدريد.

والتطورات الأخيرة منذ هذه الافتتاحية كشفت عن أن هدف المؤتمر هو فتح الطريق لشرق اوسط جديد تنهض فيه علاقات اسرائيل مع الاطراف العربية المختلفة، وتنسج فيه الرابطة الشرق اوسطية وعلاقات التعاون الاقليمى على حساب الرابطة العربية والتضامن والتنسيق العربى.

اختراقات

وقد ناور المفاوض الاسرائيلى بذكاء لتأكيد هذا التوجه، فى اللعب بالمسارات الثنائية المختلفة. لاستخدام الاختراق فى هذا المسار او ذاك لتطويع المسارات الأخرى وتليينها. واستخدام أى انجاز فى احد المسارات. لاضعاف الشرط التفاوضى للمسار الأخر، وتجميد المسار المتقدم لتنشيط مسار اخر يبدو منافسا وبديلا، حتى بدا المفاوض الاسرائيلى وكأنه **قد نظم مسابقة بين الاطراف العربية فى لعبة الكراسى الموسيقية، والتى يقل عدد مقاعدها بمقعد عن عدد المتسابقين..**

وفى مثل هذه اللعبة تبدو طبيعة مشاهد الشد والجذب ومحاولة دفع الاطراف الاخرى خارج الساحة، مادام هناك طرف ماسوف يخرج فى النهاية بلامقعد.. واحيانا مايحدث أن يتزاحم طرفان فى مقعد واحد.

وقد لخص اسحاق رابين منطق المفاوض الاسرائيلي والعابة البهلوانية فى كل المسارات بقوله :**إن اسرائيل تؤمن بالسلام الشامل ولكنها لاتؤمن بالمفاوضات**

الملك حسين



الشاملة او المتزامنة لان أى طرف متمرد يمكن أن يعيق حركة الاطراف الأخرى.

ولم يحدد رابين معنى التمرد.. التمرد على ماذا؟ ولكنه كشف مع ذلك أن التسوية الشاملة هى مجموعة التسويات المرحلية والمنفردة التى تتحقق تباعا فى الزمن بعد أن يدفع كل طرف مقدما فاتورة حسابها.

الشكل والمضمون

وهكذا يبدو الآن- وقد كان الوضع كذلك من الأصل- أن **الخلاف الذى دار منذ الاعلان عن مؤتمر جنيف عام ٧٣ حول لجان المؤتمر.. هل هى لجان موضوعات (الامن.. الحدود.. السلام.. الخ) تشارك فيها الوفود العربية مجتمعه مع الوفد الاسرائيلى، أم لجان ثنائية على اساس جغرافى.. لم يكن خلافا حول الشكل- بل المضمون**..فطوال مراحل المفاوضات فإن وحدة الشكل والمضمون كانت واضحة فى استراتيجية المفاوض الاسرائيلى رغم كل الضجيج الاعلامى العربى حول التسوية العادلة، والشاملة والثابتة والدائمة إلى آخر تلك النعوت التى اطلقها كل طرف وهو مندفع فى طريق تسوياته المرحلية والمنفردة.

اتفاقات مرحلية

وللإنصاف فإن هذا التاريخ لايبدأ بوقائع الاحتفال فى حديقة الورود بانهاء حالة الحرب بين الاردن واسرائيل فى ٢٥ يوليو الماضى. **بل يمتد إلى اتفاقية فصل القوات الأولى عام ٧٤ إلى اتفاقية سيناء، عام ٧٥ إلى كامب ديفيد ثم التطبيع، وصولا إلى اعلان المبادئ الاسرائيلى الفلسطينى (اتفاق اوسلو) فى ١٣ سبتمبر ٩٣ ثم أتفاق القاهرة (التنفيذى) فى ٤ مايو ٩٤ ، إلى الاتفاقات المحتملة اللاحقه فى المسار الفلسطينى والأردنى ثم السورى واللبنانى.**

عادت بنا التطورات الاخيرة اذن بعد مدريد إلى التسوية الحقيقية: بشحمها ولحمها وصفاتها الحقيقية (**الخطوة.. خطوة) (قطعة من الارض مقابل قطعة من السلام**) والصراعات التى تثيرها الاتفاقات

المنفردة بين الاطراف العربية فيما بينها.

ذكر النحل

ومن هذه الزاوية يمكن القول أن اهم مايثيره الاتفاق الاردني الاسرائيلي أنه قد تم في فترة يجري فيها تجميد عمدي للمسار الفلسطيني، الذي تحقق فيه أول اختراق، وتعطيل بعض البنود التي تم الاتفاق حولها، والتحايل على بنود أخرى، وتعطيل المفاوضات حول ماينبغي اتخاذه من خطوات لاحقة لتنفيذ اعلان المبادئ المبرم في ١٣ سبتمبر.

والنقطة المثيرة للانتباه أن المفاوض الاسرائيلي استخدم المسار الاردني لضرب المسار الفلسطيني وجدد المخاوف التي اطلقها الكاتب الصحفي **محمد حسنين هيكل** حو الدور المطلوب من عرفات في التسوية، كذكر النحل يلقح الملكة: ثم يموت.

ترويض

والسؤال هو: هل أرادت اسرائيل، أن **تستخدم المنظمة في تلقيح التربة الفلسطينية للدور الاردني** باعتبار أنه لم يكن بوسع أي طرف أخر أن يقوم بعملية التلقيح غير عرفات ومنظمة التحرير؟

أم أن اسرائيل تستخدم المسار الاردني لتطويع المسار الفلسطيني، كتوجه استراتيجي، يلعب فيه المنافس دور المروض، وتتكامل نسبة الأدوار **في اتجاه** الكونفدرالية الاسرائيلية: الاردنية- **الفلسطينية، تحت الهيمنة** الاسرائيلية؟

كما أن المفاوض الاسرائيلي استخدم المسار الاردني في محاولة الحسم المبكر لتصفية خلافية كانت مؤجلة لمرحلة أخرى من المفاوضات، وفقا لإعلان المبادئ الفلسطيني- الاسرائيلي وهي قضية القدس.

أي أن المفاوض الاسرائيلي يستخدم المسار الاردني في تعديل الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي.

بدأت القصة بأن وجه رابين الدعوة للملك حسين للصلاة في القدس، وذكر أن للاردن حق الولاية الروحية على الاماكن المقدسة في المدينة (القدس الشرقية) التي تعتبرها منظمة التحرير الفلسطينية عاصمة الدولة الفلسطينية، بينما تعتبرها اسرائيل عاصمة أبدية للدولة الصهيونية، على مر الاجيال.

ولكن اعلان المبادئ الفلسطيني قد أرجأ كل هذه القضايا الشائكة إلى مرحلة لاحقة في المفاوضات.. القدس واللاجئين والسيادة والمصير، ولكن الاتفاق الاسرائيلي الاردني نزع هذه القضية وحاول إغلاق ملفها، وقصر حقوق الولاية عليها، في الاماكن الروحية.

المنافس والشريك

خلفية هذا التوجه أن الأردن يبدو بالنسبة لاسرائيل في القدس، وربما في كل الارض المحتلة، كشريك، بينما تبدو منظمة التحرير كمنافس، ومن هنا تبرز أهمية الدور الاردني في تحويل المنظمة من علاقة المنافسة إلى علاقة الشراكة.

أكثر من ذلك تبدو اسرائيل، وكأنها تتصرف مع منظمة التحرير الفلسطينية بحساب بل كثيرا ماتتعمد إهانة عرفات، كما صرح هو بنفسه للصحافة الاسرائيلية، وكأنها لاتريده أن يدخل الارض المحتلة مختالا يمتطي صهوة جواد.

اجلت اسرائيل الانسحاب من غزة والذي كان مقررا له ١٣ ديسمبر الماضي. لعدة شهور، واجرت تخفيضا غير مشروع على مساحة اريحا، واكد رابين أن مايجري الحديث عنه ليس الانسحاب ولاحتى إعادة نشر القوات الاسرائيلية، بل خروجها من المناطق السكانية الكثيفة، واصرت اسرائيل على السيادة على المعابر واجلت انتخابات سلطة الحكم الذاتي التي كان مقررا لها ١٣ يوليو الماضي، **إلى موعد لم يحدد بعد.**

وبين اتفاقين، أي اتفاق اوسلو، واتفاق القاهرة التنفيذي، جرت مذبحتان **مذبحة الخليل** في ٢٥ فبراير الماضي **ومذبحة في غزة** في ١٦ يونيو الماضي

الأولى عندما تم فتح النار على جموع المصلين في ساحة الحرم الابراهيمي، والثانية عندما مزق جنود الاحتلال بطاقات عمل العمال الفلسطينيين عند حائط ارينز، وصاحوا في وجوههم ساخرين

قدموا شكوى لعرفات.

ليس هذا كل مافي الامر، بل يثير الانتباه ايضا تعطيل المساعدات الدولية التي كانت مقررة لمنظمة التحرير لمساعدة سلطة الحكم الذاتي وإعادة بناء البنية الأساسية التي دمرتها سلطات الاحتلال واضعاف البيئة التي تترعرع فيها الاصولية، حسبما اثير وقتها، وتدعيم سلطة عرفات في مواجهة منافسيه.

رسائل الغزل

ليس أهم ما في الاتفاق الاردني الاسرائيلي أذن اتفاق الربط الهاتفي المباشر، أو التعاون السياحي أو انشاء معابر اتصال، او حتى فتح الاسواق وحرية التجارة، الاهم منه من وجهة نظر عرفات محاولة استخدام المسار الفلسطيني في ضرب المسار الاردني، واعلان ولاية الأردن الروحية على مساجد القدس الشرقية.. **والاهم أن الدور الاردني سوف يستخدم في خنق محاولة انتزاع جنين دولة من مشروع الحكم الذاتي الانتقالي.**

لم تكتف اسرائيل في المسار الفلسطيني باتفاق مرحلي (الحكم الذاتي الانتقالي ٥ سوات) لأزمه أتفاق مرحلي أخر (غزة واريحا أولا) واتفاق تنفيذي للاتفاق المرحلي، بل بدا وكأنها تحاصر وتحاول خنق المسار الفلسطيني

وفي حقيقة الامر فان نجاح المفاوض الاسرائيلي لايعود إلى عبقرية فريدة للعقلية الصهيونية المدعومة امريكيا، **بل يتصل بانهيار شامل في مواقف وارادة المقاومة لدى الانظمة العربية التي كانت مسيرة التصوية بالنسبة لها هي مسيرة الاندماج في علاقات التبعية والانشطار كشظايا متناثرة ومتنافرة..**

في هذا السياق كان بوسع رسائل الغزل الاسرائيلي أن تصل إلى عمان، وهي رسائل مرجعية عن عمد لاحداث شقاق فلسطيني- اردني

من ذلك مقال بيريز: (نعترف بشرعية الاردن خلافا لليكود الذي يعتبر الاردن فلسطين)

(قلنا لهم الاردن بالنسبة لنا هو الاردن)

فاسرائيل غازلت الاردن برسالة واضحة أن في قوة المنظمة ضعف الاردن ذي الاغلبية الفلسطينية، وأن العمل ليس مخلدا في الحكم وقد يأتي الليكود غدا ويقدم للفلسطينيين هدية بسيطة عبارة عن دولة فلسطين في الاردن بدلا من النزاع حول الارض المحتلة من قبل إسرائيل.

والامير الحسن، ولي عهد الاردن كان واضحا في التقاط الرسالة إذ قال: «**إن عدم مبادرة الاردن للتحرك في مساره المستقل قد يؤدي إلى تهميش دوره في المنطقة وإلى صعود التطرف باشكاله العرقية والمذهبية والطائفية**».

كما تحدث **الملك حسين** أمام كبار الضباط عن ضغوط يتعرض لها الاردن تهدد بانهياره وانقسامه.

فالتوجه الاردني نحو السلام اذن توجه استراتيجي حاول الملك حسين أن يعوض به ضعف الاوراق المتاحة له، باستخدام دوره كمنافس، وبالاندفاع الشديد في علاقات التعاون والتكامل مع اسرائيل، وأن يكتسب من خلال هذه العلاقة عناصر قوة.

خلاف سوري- أردني

والاتفاق الاردني الاسرائيلي لم يسفر عن احتمالات خصام اردني- فلسطيني فقط، بل ايضا أثار امكانية خصام أردني - سوري

وأزمة التسوية السورية، أن خطوط البحث في ملفهما مفتوحة، ولكن احتمالات حسمه مؤجله، وهي تتهم جميع الاطراف **أنها خانت سوريا.. السادات في اتفاقية سيناء وكامب ديفيد، وعرفات في اتفاقية اوسلو والمفاوضات السرية التي سبقتها، وحسين في اعلان واشنطون في حديقة الورود.** فمن بقي اذن من الاطراف العربية لم يخن سوريا سوى لبنان؟.

هذه الاجواء بدت واضحة في التصريحات التي أدلى بها **الرئيس الاسد** في اعقاب الاتفاق الاردني الاسرائيلي وذكر فيها أن البعض قد خرج على التنسيق ووحدة الصف ويتحمل المسئولية امام شعبه والجماهير العربية كافة.

والاحساس السائد في دمشق أن كل طرف يسبق يضعف من المركز التفاوضي للمفاوض السوري وكأن الطرف الذي يلتهم حصة من كعكة التسوية لايترك لغيره الا القليل ، والمشكلة أن الكعكة لاتكفي الجميع.

من هذه الزاوية يبدو مفهوما تحفظات دمشق على شهر العسل الاسرائيلي -الاردني وعلى الاعلان الاردني الخاص بانهاء حالة الحرب مع اسرائيل بينما لاتزال اراض سورية واردنية وفلسطينية ولبنانية محتلة.

ويثار السؤال في دمشق: ألم تشارك الاردن في الحملة ضد السادات عندما اعلن أن حرب اكتوبر آخر الحروب بينما لاتزال الارض العربية محتلة.. فماذا جرى الآن؟

فاتورة الحساب

ودمشق تدرك بالطبع ماجرى، مثلما تدرك أن الاردن لم يرفع السلاح في أكتوبر وليس من المحتمل أن يرفعه هو، او أي طرف آخر في المدى القريب،، ولكن السؤال يظل مشروعا **لماذا العجلة والتنازل المجاني الذي يضعف حتى القاعدة القانونية للتفاوض والاجواء النفسية، وربما ايضا ماء الوجه...؟**

باختصار تشعر دمشق أن ملفها مؤجل عن عمد لذيل جدول الاعمال حتى تسدد غدا ماترفضه اليوم.. ولهذا تحرص دمشق على مابقى معها من اوراق الضغط.. **علاقاتها بالمعارضة الفلسطينية للاتفاق.. وعلاقاتها بفصائل المقاومة في لبنان.. وعلاقاتها بايران،** وذلك بعدان ادركت صعوبة «التوازن الاستراتيجي» في اجواء الصراع العربي- العربي، وطرحت بدلا من ذلك شعار «**الكل مقابل الكل**»

أوراق الضغط

ودمشق لازالت تملك اوراقا للضغط دفعت **فاروق الشرع** وزير خارجيتها إلى التصريح (ليس صحيحا على الاطلاق أن عملية السلام أضعفت سوريا، بل أن الذي حدث هو عكس ذلك، **من دون سوريا لن يكون هناك سلام في الشرق الاوسط،** وإذا لم يتحقق السلام الشامل بماقي ذلك تقدم في المسارين السوري واللبناني سيكون من الصعب المحافظة على الوضع على صعيد مسيرة السلام كلها.

معنى ذلك أن دمشق تناور بمالديها من اوراق تندرج تحت خانة «**المعارضات**» في تهديد ماتم انجازه في المسارات الأخرى..

ولكن عمان تشجعت هذه المرة على دمشق ولم تبلع النقد السوري وأعلن مسئول كبير «**أن دمشق تريد أن تأخذ دون أن تعطي وأن تقاوم الضغوط، ولاتفعل شيئا لمساعدتنا باستخدام علاقاتها الطيبة مع دول الخليج لانهاء عزلة الاردن ومقاطعته بعد حرب الخليج**»

ومن المفارقات المثيرة في مسيرة التسوية أن اسرائيل هي التي كسرت عزلة الاردن بتعويضه بالوسط الاقليمي، وبعلاقات حسن الجوار الاسرائيلي الاردنية، وبالتوصية لدى واشنطون لإسقاط الديون المستحقة على الأردن،،

فنفس المسئول يصرح «لقد اكتشفنا **أن الدولة اليهودية هي مدخل الاردن إلى واشنطون وليس العكس).** والامير الحسن يضيف لماذا تغضب سوريا وهي تسير في اتجاه الدبلوماسية الدولية والامريكية لحل مشكلة الجولان.

جدول المراقبة

ودمشق تغضب لان الجدول الزمني للانسحاب الذي أقترحته اسرائيل يمتد على ثماني سنوات، وهو يتضمن مثله مثل الاتفاق المصري والفلسطيني اتفاقات مرحليه يجري فيها التطبيع وفتح الشعارات وأقامة علاقات السلام قبل استكمال المراحل النهائية للانسحاب.

أنه نفس الجدول: **جدول المراقبة والتطويع** وقد يمكن، بل ومن المرجح اختصار المدة، غير أن العملية التحويلية المطلوبة في علاقات سوريا العربية والدولية وبنية الوضع الداخلي السوري. هذه المهمات غير قابلة للاختصار.. وسوريا وان ناورت بذكاء بمالديها من أوراق إلا أن المياه الجديدة في الشرق الأوسط تفرض عليها ألا ترفع صوتها عاليا سواء في معارضة الاتفاق الفلسطيني -الاسرائيلي، أو الاردني -الاسرائيلي، وهي تستوعب جيدا المثل الشهير «**لاتبصق في بئر قد تضطر للشرب منه**»

لهذا السبب تبدو المعارضة الان للاتفاقات المرحلية والجزئية والمنفردة، أكثر هدوءا، وكأنه كتب على السادات أن يكون رائدا في كل شئ بما في ذلك حجم المعارضة ضد كامب ديفيد المصرية.

وحتى نصل إلى نهاية مسيرة التسوية يكون مطلوبا تحويل لافتة المنطقة إلى **(الشرق الأوسط العالم العربي سابقا)..**

إرادة المقاومة

والمفارقة الغريبة أنه رغم كل ماأثير عن علاقات القوى والنظام الدولي الجديد والقطب الواحد فإن **عناصر القوة في الوضع العربي كانت بسيطة للغاية..** انتفاضة الحجارة **في ارض فلسطين المحتلة.. والمقاومة الباسلة للشعب اللبناني في الجنوب،، ونضال الشعب المصري ضد التطبيع،** ولكنها عناصر لاتنتمي إلى علاقات قوى ونظم دولية أو جيوش حكومات بل تنتمي ببساطة إلى إرادة المقاومة.. ولهذه الارادة، مثل مسارات التسوية . مسار، وصراع الارادات سوف يحدد في النهاية نتيجة الصراع.

اليمن: مأزق الاندماج ومفارقات الانفصال والوحدة

هل خطر ببال أكثر المتشائمين حول مستقبل اليمن السياسي أو ذهن أكثر خصوم اليمن حقدا أن ينتهي ذلك المحفل الجليل للوحدة اليمنية التي تمت في ٢٢-٥-١٩٩٠- بمذابح ومحارق فاجعه لاتقع عادة بين أكثر الأعداء غلظة وضراوة ناهيك عن الاحباب الاشقاء ؟إذ بعد كل مانقلته قنوات الارسال الفضائية نذرا يسيرا من واقع ماحدث في طول البلاد وعرضها التي تحولت بمشيئة اليمنيين وارادتهم الحرة الى ميدان واسع للتنابذ والملاعنة والتناحر تكنولوجيا الهدم والموت.

يبدو إن المفاجأة غير الساره لذلك الفشل الكامل للوحدة اليمنية التي لم تدم طويلا مردها مفارقة أنه قد جرت سنه اليمنيين أيام التشطير القديمة أن يقتتلوا اولا ثم يختمون قتالهم باتفاق جامع يدعو الى وحدة فورية كما حدث في حرب ٧٢- و١٩٧٩. أما هذه الكرة فان اليمنيين أجمعوا اولا على **وثيقة العهد والاتفاق بعد جهد** وعمل متواصل طويل ووقعت كل الاطراف على ذلك في محفل اقليمي كبير ثم انتقلوا مباشرة من الاتفاق الى حرب ضروس أذهلت الجميع واغرقت المراقبين والمحللين في اضطراب وتضارب وفوضى في التصورات والتفسير والاستنتاج، إذ ذهب بعض المعلقين إن حرب اليمن التي توقعوا لها زمنا طويلا وجاءت قصيرة وحاسمه تعد ملحقا شفويا لحرب الخليج قامت فيه المملكه العربية السعودية ودول الخليج بدور الممتحن الخارجي وكل ذلك لعقاب اليمن واليمنيين لموقفهم الذي صب في نهاية المطاف في مجرى **صدام حسين**، وسار العقل التشبيهي الى نهايته المنطقية في تفصيل الملابس وتوزيع الادوار على اطراف النزاع في اليمن لتتطابق مع سيناريو حرب الخليج.

عبد السلام نور الدين

رسالة عدن

ولكن وقائع ويوميات ونتائج حرب السبعين يوما اليمنيه ابانت بجلاء، أن حرب الخليج بكل اطرافها وملابساتها كانت بداية النهاية للحرب البارده التي ذهبت **ببوش وشامير** مع الانتخابات الاسرائيلية والامريكية. **أما الحرب اليمنيه** فقد خطت أولى القسمات البارزه في طريق النظام العالمي الجديد في العالم العربي حيث تتقاطع فيه المصالح والطموحات والنزاعات الجديدة (بعد غياب السوفيت) بين القوى الاقليمية، ودول الاتحاد الاوربي، والولايات المتحدة واليابان، وأن هذه المصالح وتنازعها لم تعد في طي الكتمان، وقد استطاع الرئيس **علي عبد الله صالح** أن ينفذ الى حيث يريد ويشاء من ثغرة التنازع بين الولايات المتحدة والقوى الاقليمية من جهة، وبين كل هؤلاء ودول الاتحاد الاوربي حيث وقفت اليابان في مفارق الطرق موزعه الاهواء والمشاعر، ورقص **علي سالم البيض** كالريشه المعلقة في الهواء اذ **«تخلى عن كل قواعده وتحالفاته آملا في المستحيل في وقت حافظت فيه كل الاطراف المتنازعة الأخرى على** ترابطها وتحالفاتها وفقا لطبائع الاشياء».

مفارقات وعجائب التحالفات والمواقف في الحرب اليمنية

أضحى مدخلا تقليديا مألوفا أن يعتذر الكتاب عن اليمن في مقدماتهم عن نقص المعلومات المتوفرة عن حقيقة الأوضاع الاقتصادية وتعقد البنيات العشائرية وخفاء جوهر اتجاهات النزاع أما اليمنيون انفسهم فيستطرفون كل ذلك، فاذا كان الآخرون لايعرفونهم حقا فذاك يستخفهم طربا، ويمنحهم قدرا من الحرية في التصرف والسلوك السياسي وغموضا لايخلو من جاذبية يحلو لكل انسان أن يحيط به نفسه. يروى عن **الأمام أحمد بن يحيى حميد الدين** أن قد اصابه الملل يوما، فاستدعى الى مجلسه تركيا اشتعل رأسه شيبا في اليمن، ولم تفارق العجمي لسانه بعد، وله خطرات معروفة عن غرائب اليمنيين وعجائبهم، فاذا الامام أحمد يستطرف وينتشي بمفارقات التركي عن شوارد اليمن وتجاربه فيها. فطلب منه أن يوجز بصراحة مارأى في اليمن وله الامان فيما يقول فاجاب: «ياخارجا عن بلاد اليمن لاترجعن، ياداخلا لاتعجبن. قانونها **لايكتبن، لايقرأن لايفهمن».**

يبدو أن مفاجآت الحرب اليمنيه الاخيرة قد أضفت قدرا من المصداقية على عجائب اليمن كما قد وردت على لسان التركي أمام الامام أحمد لو صحت الرواية اصلا. فقد انهارت الوحدة اليمنيه بالضبط في ذات الشهر مايو الذي تحققت فيه. وقد وافق الانفصال يوم اعلان الوحدة بعد اربع سنين على وجه التحديد، وقد توقع كل المراقبين والذين يديرون الحرب أن يطول امدها فكانت قصيرة نقيضا لكل التوقعات. وقد اطلق عليها الجميع الحرب الاهليه ولكنها كانت نظاميه محكمة التخطيط والاداء والتنفيذ. حزب **التجمع اليمني للإصلاح الاسلامي الذي وقف بصرامة ضد الوحدة والدستور ووصمها بالكفر وبالإلحاد حارب من أجل الوحدة تحت رايات الشرعيه الدستورية وألحق بالخارجين عليها لعنه الكفر والالحاد مرة أخرى**، الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني أكثر المتحمسين للوحدة الفوريه

الاندماجية والعصر التقليدي المتطرف والمتبقي في الجبهة القومية التي رأت في الوحدة اليمنية- هوية للجبهة ثم للتنظيم السياسي الموحد ثم الحزب الاشتراكي والذي ابرم اتفاقية الوحدة مع نظيره الرئيس **علي عبد الله صالح** ثم دفع مكتبه السياسي واللجنة المركزية لتأييد خطواته الوحدوية الفورية الاندماجية قد اعلن **الانفصال أولا ثم طلب التأييد من حزبه الاشتراكي** فنال بحق جلباب وشارة **درويش الوحدة وبطل الانفصال.**

قد حارب إلى جانب جيش **الاشتراكي** التي يقودها العميد العطاس وبن حسينون والبيض نفسه **جيش الانقاذ الذي عبر الحدود قادما من المملكة السعودية لنجدة البيض والمشكل من شيوخ محميات الجنوب العربي وسلاطينها،** والذين جندوا وتلقوا الرعايه والدعم الادبي والتمويل من **المملكة العربية السعودية** قديما لانقاذ اليمن الجنوبي من براثن الحزب الاشتراكي. ضد الجيش الذي يقوده **علي عبد الله صالح** والذي ظل يحظى لزمان ليس بالقصير بعواطف المملكة وتأييدها. توجه أمين عام الحزب الاشتراكي اثناء الحرب الى حضرموت ليخاطب قبائل **الصيعر** وعبيدة ومراد لاستنهاضها لتوطيد مشروعه الحضاري في الدولة الجديدة التي تتوزعها قيادات عشائرية ومناطقية في شبوه وابين. ومنحت عدن لجبهه التحرير التي لم يعد لها وجود كتنظيم في اليمن ، وتطابق تشكيل مجلس رئاسة جمهورية اليمن الديمقراطية مع التوزيع المناطقي للجنوب. ثم اضاف مجلس رئاسة البيض الجديد فقرة بتبني دستور الجمهورية اليمنية ووثيقة العهد والاتفاق في دوله انفصالية لاعلاقة لها بالجمهورية اليمنية وفي موقع المواجهة العسكرية معها ، ومضى البيض في مفارقاته فاصدر امرا جمهوريا باغلاق مصنع البيره في عدن، ثم الحقه بامر آخر يحرم فيه شرب الخمر في عموم الجمهورية الجديدة الامر الذي لم يصدره مجلس النواب الذي يضم غلاة الأصوليين.

وتلاحقت عجائب الحرب والانفصال بأن تبنى أمين عام الحزب الاشتراكي رأسمالية اقتصاديات السوق في بلاد اتفقت كل الاطراف فيه على تنشيط كل القطاعات الاقتصادية الدولة، والمختلط، والتعاوني، والخاص.

حافظ الرئيس صالح قبيل الحرب وأثناءها على تحالفاته وقواعده القبليه والحزبيه القديمة واضاف اليها قوى وطنية جديدة ظلت تقف بنأى عن سياساته متوجسة أو متحفظه أو في المعارضة ولكنها ترى في الوحدة اليمنية- صيغة محورية تدور حولها كل قضايا اليمن الأخرى. أما أمين الحزب الاشتراكي فقد أجرى مقايضه أشبه بالمغامرة على موائد المقامرة إذ **استبدل تحالفات الحزب الاشتراكي التاريخية في الجنوب والشمال بالاعداء التاريخيين لذات الحزب من رابطة ابناء الجنوب، وجبهة التحرير، والذين دمغوا في عشيه الاستقلال بالخيانة والغدر والتخابر مع الاجانب، ولحق بهؤلاء اصحاب الجمعية العدنية، .. واللوبى الحضرمي الذي لم يخالجه الاحساس يوما بانتماء اقليم حضر موت الى اليمن الكبير. وتخلى امين الحزب الاشتراكي البيض صراحة عن كل القوى الوطنية في الشمال وعن تلك الجماهير في مأرب والمنطقة الوسطى والبيضاء والحجرية وتعز وتهامه وصعدا التي وقفت معه وأدلت بأصواتها لحزبه وقبل ذلك لم يابه أمين الحزب الاشتراكي بالمصير** الغامض الذي سيواجه اعضاء الاشتراكي في الشمال الذين سيواجهون موقفا وعليهم ان يدافعوا ويبرروا قرارا لايعرفون عنه شيئا في فوضى الحرب، وجنون العداء، وغياب العقل إذ كيف يستقيم لهم أن تستجير قيادة الحزب الاشتراكي بخصومها من السلاطين وقادة جبهة التحرير ورابطة ابناء الجنوب وعدن للعدنيين في جيش الانقاذ القادم من خارج الحدود، وتتحالف معهم وتعلق مستقبلها ومصيرها على قرارات مجلس التعاون الخليجي، والامم المتحدة، وتتعلق بوهم انزال مظلي من الغرب سريع لانقاذ عدن وفي ذات الوقت تتخلى عن هويتها الوحدوية، وتعلن **الانفصال وهي محاصرة بالماء المالح وجيوش علي عبد الله صالح وعلي ناصر محمد والتجمع اليمني للإصلاح** ؟ تنتظر الاعتراف والنصر والتناصر وكل القوى الوطنية واليسارية من حولها قد سقطت في جب الحيره والارتباك والاغتراب والعزلة؟.



علي عبد الله صالح



صدام حسين

علي سالم البيض

إذن ماذا جرى؟ ولم حدث كل ذلك، ماطبيعة المجرى الذي اقلعت منه كل تلك التناقضات والنقائص والمفارقات وتبدلات المواقف وتغييرات المواقف؟ لم هرب البيض سياسيا من حلفائه ولجأ الى خصومه؟ لم وقفت دول الجزيرة والخليج مع استمرار الحرب عمليا ولم تمد يد العون للبيض وتخلت عنه؟ لم تقاطعت مصالح الغرب والخليج في حرب اليمن اذ وقف الغرب عمليا مع الوحدة ودول الجزيره والخليج مع الانفصال واشتركا في قاسم مشترك واحد أن تترك الحرب ووقائعها لتقرر على الارض مصيرها؟

عبقرية المكان وصراعات الزمان

ظلت اليمن بركنها الجنوبي الغربي ملتقى لطرق اسيا البحرية وافريقيا وشبه القارة الهندية وعلى مدخل البحر الابيض ويمكن الابحار منها مباشرة الى استراليا، ومحورا لمصالح وصراعات الدول الكبرى والقوى الاقليمية الممتزجه بالتطلعات المحليه منذ تاريخ موغل في القدم. قاد نزاع الحضارتين الفارسيه والرومانية في القرن السادس والسابع الميلادي الى احتلال اليمن من قبل الاثيوبيين وانفجار بركان الخلافات الدينية بين الوثنيه والمسيحية واليهودية وانقلاب توازنات القوى المحليه الفاعله مما أدى إلى اضطراب طرق الملاحه الدولية وانتقالها من البحر الى القوافل البرية وتحول مركزها من مدن الجنوب الى تجار مكة القرشيين في الشمال الذين ابتدعوا تجارة الايلاف متخذين موقفا وسطا في التقاتل بين فارس وروما ليتسهل عليهم رحلات الشتاء والصيف والانتقال من الغرب الى الشرق آمنين برؤوس اموال القبائل العربية التي اضطرت الى حماية طرق تجارة الايلاف لتجني ارباح رؤوس اموالها التي بيد التجار من قريش، فانتعشت الاسواق في جزيرة العرب واضحت لها مواسم ومواقيت معروفة طبقا لدورات الفصول والمحاصيل والسلع

الوارده من وراء البحار والخلجان فانتعشت الثقافة وحدت القبائل من حروبها ، ودخلت في اتحادات وتحالفات واسعه انبثق في وعيها نزوع بتميزها وتراها اذا تجمعت وضعفها اذا تفرقت . وجاء الاسلام ليصوغ ذلك النهوض التجاري والوعي بالدور والحضور الفاعل . لجزيرة العرب واطرافها والتمايز الثقافي والديني في انتقال حضاري تجاوز فارس وروما والمسيحية واليهودية والوثنية. استطاعت مصر في العصر المملوكي الأول أن تزدهر تجاريا بفضل تأمينها لطرق الملاحه في جنوب جزيرة العرب التي تمر عبر البحر الاحمر ثم تنتقل البضائع الى نهر النيل لتصعد قدما الى مدن البحر المتوسط وشهد النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي ازدهارا تجاريا في المدن المصرية والشاميه - بيروت وطرابلس وعكا ودمشق واللاذقية-وارتبطت بحركة المدن الايطالية في بدايات عصر النهضة الاوروبية وسددت الدولة المملوكية ضربه ساحقة للاسطول البرتغالي في المحيط الهندي ١٤٥٢ الذي سعى لكشف طريق جديد للتوابل واللبان والحرير القادم من اقصى الشرق والهند والخليج واليمن يمر برأس الرجاء الصالح مما يكلف تجار المدن الايطالية رهقا ماليا لطول الطريق الذي يدور حول افريقيا بدلا من الممر التقليدي الذي يمر من عدن ثم الى نهر النيل عبر البحر الاحمر فالقاهرة الى الاسكندرية فالشام فالمدن اليونانية والايطالية. ولكن تقدم الجيوش العثمانية الغازية الى الشرق العربي قد عجل بسقوط الدويلات العربية المتهالكه في الاندلس وانطلاق حركة الكشوف الاسبانية ١٤٩٢ التي دارت حول افريقيا ثم جزر الهند الغربية الى الاراضي الجديدة الشئ الذي عزز الوجود البرتغالي في المحيط الهندي وجنوب الجزيرة العربية وقد عمد اجتياح قوات السلطان سليم الاول ١٥١٥ محوريا فلسطين ولبنان ومصر دخول كل العالم العربي الاسلامي في جب عصور الظلام والانحطاط التي خرجت منها أوربا. **وهكذا اغلق العثمانيون البوابة الجنوبية الغربية للجزيرة فكانت اشاره للعزلة والسقوط العربي تحت سنابك خيول الخلافة العثمانية قرابة ثلاثة / قرون ١٥١٥- ١٧٩٨)** حينما تكشف سيدة البحار بريطانيا العظمى ان فرنسا نابليون بونابرت **قفزت على مصر لتقطع عليها الطريق التجارى الدولي بوضع يدها على منفذى البحرين الابيض والاحمر خفت بريطانيا سراعا واحتلت جزر بريم اليمنية قرب باب المندب** ثم تخلت عنهما بجلاء فرنسا عن مصر ١٨٠١ ثم عادت بريطانيا مرة أخرى لتضم عدن الى درة التاج البريطاني ولتجعل منها واسطة عقد الامبراطورية التي لاتغرب عنها الشمس في الشرق الأقصى وشبه القارة الهندية والخليج العربي ومستعمراتها في شرق افريقيا.

عجزت بريطانيا رغم دهائها البارد أن تستخرج لمدينة عدن مع باب المندب هويه بريطانيه بالميلاد او أن تشتريها نقدا بتنازل أئمة الشمال عن يمنيتها ولكنها بذلت كل ماتستطيعه لتبقى بعدن حتى أشهرت حركات الاستقلال السلاح في وجهها بقيادة الجبهة القوميه لتجلو وتعود أدراجها من حيث جاءت.

حينما مخرت الاساطيل السوفيتية مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي واشرفت على مضيق باب المندب بعد الاستقلال ١٩٦٧. قد كان جليا أن اليمن قد دخلت اتون الحرب البارده من اوسع بحارها فانتقل كل الغرب واصدقائه في الشرق الاوسط وحلفائه في آسيا الصناعيه الى تأييد صنعاء في الشمال ودعمها بالمال والتكنولوجيا والسياسه وحصار الجنوب لاعادة شئ من التوازن الذي اختل بدوران عدن في الفلك السوفيتي. عادت عدن بخليجها وبابها الى سابق اهميتها وموقعها الذي تحتله في استراتيجيات الدول الغربية واقاليم النزاع في الشرق الاوسط ولكن في مرحله جد مختلفة يتشكل فيها نظام عالمي جديد بعد نهاية الحرب البارده.

واذا كانت عدن بموقعها الاستراتيجي والمواهب الطبيعة التي يتمتع بها ميناؤها وقدرتها أن تتفوق على كثير من المناطق الحره اذا توفرت لها الارادة والادارة والتمويل هي الثروة الحقيقة لليمن قبل البترول، والغاز الطبيعي والثروات المعدنية التي تبشر بآفاق واعدة، فإن الوحدة اليمنية التي تمت في ٢٢-٥-٩٠ كمصالحه وطنية وتاريخية بين نظامين يختلفان في البنيه الادارية والرؤية السياسية والتوجهات الاجتماعية قد بنت الديمقراطية القائمة على التعددية والتداول السلمي للسلطة وفتحت افاقا رحبة لمجتمع ودوله حديثة ومؤسسات وتنظيمات مدنية الشئ الذي أثار رعبا لدى بعض دول الجوار وحذرا وتحفظا لدى البعض الآخر لما تتمتع به اليمن من ثروة بترولية ومعدنية واعدة ورقعه جغرافية واسعة متنوعة المناخات قياسا بدول الخليج الصحراوية، **وأكثر من ذلك كثافة سكانيه تصل الى ١٤ مليون ذات تجربة حضارية عميقة خبرت الوثنية واليهودية والمسيحية والاسلام وتعرفت على الرأسمالية والاشتراكية حديثا. ويتمايز اليمنيون كافراد بتجارب ثره تم استقاؤها من كل بلاد العالم. وهكذا اضحى** اليمن الموحد بتجاربة السابقة مصدر قوة وتهديد متوهم وحقيقي اضافة للتسمات العسكرية الصارمه التي تطبع الشخصية اليمنية وجعلت منه شعبا محاربا من الطراز الأول سيما وقد اسهمت مناخات الحرب الباردة والمواجهات العسكرية الدائمة بين الشطرين الى توفر وتكدس كل انواع الاسلحه لدى الدولة والقبائل والمواطنين. **وهكذا أضحت الوحدة اليمنية والديمقراطية التعددية والمنعه العسكرية مصدر قوة لليمن ومصدرا يمكن أن يأتي منه الخطر (وهما وحقيقة) لاقليم** الجزيرة والخليج. وقد زاد موقف اليمن الخاطئ من حرب الخليج الطين بله واضافت حده التوترات ذات العلاقة بنزاعات الحدود الى كل ذلك **موقفا كاد ان يكون موحدا لاقليم الجزيرة والخليج من الوحدة اليمنية بأن لاتبقى اما باعادتها الى سابق تمزقها وتشطيرها أو بدفعها الى هاويه الحرب لتدمير آلياتها الحربيه وقاعدتها الاقتصادية وقوتها البشرية وافلاسها ماليا ومن ثم تندفع تلقائيا إلى** احضان التبعية والاذعان لذات الدول التي تهددها الوحده اليمنية.

لذلك فقد كان قرار الحرب اليمنية يصب في مجرى ماتسعى اليه دول الجزيرة والخليج مع تباين في الدرجة بين موقف كل دولة على حده لاسباب تبدو متباينه. اختلفت مصالح الدول الصناعية الكبرى من الوحدة اليمنية طبقا لضخامة أوضاله استثماراتها ومواقعها في سوق اليمن التجارى ونفوذها الصاعد والنازل ولكن الولايات المتحدة تمثل الموقع الأول في الاستثمارت البترولية والنفوذ السياسي ومع ذلك فإن موقف الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوربي واليابان يسير للمفارقة في اتجاه مضاد لدول اعلان دمشق اذ تتطلع الى استقرار اليمن السياسي واستمرار الوحده اليمنيه على أن يصبح الشريك الاشتراكي فاعلا وعلى قدم المساواة في الحكم مع المؤتمر وكل ذلك **حتى لايضطرب الممر المائي الدولي فتختل موازين**

القوى وتهتز اعصاب الصناعة الغربية وتحكم الفوضى فينتقل النفوذ الايراني من مضيق هرمز الى باب المندب الى الصومال والسودان ومصر وشرق السويس. وبالعكس لتجتاح عمق الجزيرة والخليج. صحيح أن الغرب قد دعم الوحده اليمنية لضمان الاستقرار في المنطقة بدون تكلفة الشرطي الغربي ولكن حينما اندلعت الحرب عثر فيها **الغرب على ضالته بتدمير آلة الحرب السوفيتية واستبدالها بآله تحي موات سوق السلاح الغربي وسانحه ايضا بالتخلص من مدرسة المشاغبين** القدامى وعلى رأسهم البيض. واذا كان اليمنيون يفعلون كل ذلك بايديهم فان الصيغة التي تناسبهم هي العبارة السوريالية التي اضحت متناسياسيا - أن الولايات المتحدة لاتزيد وحده أو انفصالا بالقوة.

لماذا فشلت الوحده اليمنية؟

الوحدة التي تحققت بالرضا والاختيار عبرت عن العجز في مواصله غاياتها وبقائها في المقام الأول باندلاع الحرب الكامله التي اشتركت فيها كل الاسلحه والقوات من الجانبين وغرق الجنوب في مستنقعها ولم يسلم الشمال من غاراتها الجوهرية وصواريخها والدمار الكبير الذي لحق بالبشر والاقتصاد والبيئة والتكنولوجيا العسكرية. ولكن السؤال الحارق لم فشلت الوحدة رغم الزخم الاحتفالي والحماس الجماهيري لها في الجنوب والشمال؟.

يبدو أن صيغة الوحدة الاندماجية لم تك تلائم خصائص مجتمعي الشمال والجنوب والتباين بين مستوى السكان في بنية الدولتين السابقتين وقد قفزت الوحدة فوق حقائق التباين والتمايز المناطقي في الجنوب والعشائري والمذهبي والتراتب الاجتماعي التقليدي في الشمال فاذا كانت **همدان حاشد وبكيل فاعله** في الشمال كقوة عسكرية وعشائرية فإن ردفان ويافع والضالع فاعلة في الجنوب كقوة عسكرية وقبليه وحزبية بعد استبعاد ابين وشبوه في معارك يناير ١٩٨٦.

إذا كانت الوحده في أمس الحاجة الى نظام إداري ومالي وتعليمي وسياسي يراعي خصائص البنية الاثنية والمذهبية والمناطقية والتباين بين السهل والجبل والساحل والتراتب الاجتماعي التقليدي الذي ظل فاعلا منذ قبل الاسلام وحتى اليوم دون أن تكون غاية المراعاة تكريس البنية أو تفجيرها بالقوة بل بفتح المجتمع الراكد المغلق وتحويل المجتمع الابوي بالتدريج والاصلاح والثورة الى مجتمع مدني يقوم على التمايز القائم على العمل والانتاج وليس على رابطة العشيرة أو المذهب أو المنطقة- وأن تكون التنمية المحلية ومشاركه السكان في التخطيط والادارة وفصل الثروه عن السلطة وفصل الثقافة والدين والمؤسسات والجمعيات التعاونية والعلمية عن الدولة ووصلها بالمجتمع. لحمه النظام الاداري والمالي والسياسي وليس بالضرورة أن تكون صيغة الوحدة كنفدرالية أوفيدرالية أو إقليمية ولكن لاأن تقوم على قاعده فصل المال عن السياسة ومراعاة الخصائص البنيوية التي تسمح في المستقبل بفتح المجتمع المغلق ونقله من العشائرية العسكرية- والمناطقية الى مجتمع مدني معاصر.

إن وفد التفاوض على صيغة الوحده القادم من الشمال قد طرح الصيغة الفيدرالية والكنفدرالية ولكن البيض رفض كل ذلك مفضلا صيغة الوحدة الاندماجية ذات الطابع المركزي والواحديه المالية والادارية الثقافية مما دفع بمشاعر القادمين من الاطراف البعيدة لحل قضاياهم الصغيرة في المركز الثاني أن تتحول تدريجيا إلى الاحساس بالغبن **والتبعية والالحاق وهكذا لعبت صيغة الوحدة الاندماجية دور المعهد الذي يقوم بتدريب اكثر المواطنين بعدا من مركز الادارة والمال على العزلة والانفصال.**

اما تهافت قيادة الحزب الاشتراكي التي لم تطرح الوحدة والاشكال المتعددة لانظمتها لتنظيمات الحزب الاشتراكي القيادية والقاعدية ولم تطرحها من ثم لمؤسسات المجتمع وتنظيماته لمناقشتها بوضوح وعلى نطاق واسع فقد كانت عجلى وفضلت المزايدة على الاندماج بدلا من مناقشة كل البدائل الأخرى لصيغ الوحده فقد كانت تعاني من وطأة الاحساس بالعزلة والانهيار بعد معارك ١٣ يناير الداميه واشتراك بعض القيادات التي بيدها قرار الوحده في تصفية مؤسسي الحزب الاشتراكي بيدهم. وقد اضاف تضعضع الاتحاد السوفيتي وقراره بتصفية وجوده إلى تهافت القيادات الجنوبية على صيغة الوحده الاندماجية. ويبدو أن تصفيات ١٣ يناير والانهيار السوفيتي قد اقنعت بعض قيادات الحزب الاشتراكي وهي تفضل الوحده الاندماجية ان تلك ايضا صيغة مناسبه للخلاص من النظام الاشتراكي الذي اضحى يرمز للماضي وشخصيات بغيضة لديهم على الاقل. كل تلك الحوارات التي جسرت داخل الذات قد عجلت في نهاية المطاف ومن نفس الشخصيات بنهاية الوحده على فوهات المدافع.

صحيح أن الوحده اليمنية قد قامت على التعدديه والتبني النظري للتداول السلمي للسلطة ومع ذلك فقد كانت هنالك ثنائية في المرجعيات التي بيدها القرار رغم الاتفاق على مجلس النواب كمرجعيه مركزية- **فقد حافظ كل من الجيش الشمالي والجنوبي على وجودهما المستقل كمرجعيات حقيقية اذا طرأ تنازع حول السلطة اضافة الى القبائل المسلحة والمليشيات التابعة للاحزاب-** ولهذا قفزت المرجعية العسكرية في الشمال والجنوب لتدفع بالاطراف السياسية المتنازعة لتفضيل خيار الحسم العسكري ولم يك مجلس النواب او الجمعية الوطنية التي لم تنعقد سوى شكل مهمش وتابع.

وكان لحداثة تجربة الديمقراطية والثقافة الشمولية للاحزاب التي استقتها من الفكر الاسلامي او الماركسي او الفكر غير المكتوب للتصورات العسكرية ، أن احزاب الائتلاف قد دخلت في خلافات حقيقية حول الدولة والثقافة والتعليم وتوزيع الثروة وليس في اجندة أي حزب او برامجه أن يتحول من الحكم الى المعارضة ومن ثم كان لابد لاى خلاف أن يؤدي الى الصدام المسلح.

وقد اضاعت قياده الحزب الاشتراكي تلك اللحظة التاريخية التي تجمعت حولها كل القوى الوطنية ووقعت وثيقة العهد والاتفاق في عمان وبدلا من البدء فورا بعوده الحكومة الى صنعاء لتطبيق الوثيقة بالتدريج طبقا للتنازلات التي تقدمها الاطراف المعنية ومراهب الحركة الوطنية في **السير قدما الى اعلى خطوة خطوة ابتسر السيد علي سالم البيض كل ذلك بالتعسف والتراجع والتخلي عن الوثيقة والحركة الوطنية التي اغتربت وضاعت ومن ثم فتحت الابواب لتدخل منها الخيارات والحوارات التقليدية التي تقوم على اشهار السلاح والتفاني.**



السؤال فى أمريكا: تتدخل أو لاتتدخل؟ يعادل: تكون أو لاتكون..





فى بداية عـام ١٩٩١ . استـغـرقت مناقشات مجلس الشيوخ الأمريكى بشأن قرار خـوض الحـرب ضـد العـراق من أجل «تحـرير الكويت» يوما ونصف يوم.

كانت «الأمة الأمـريكيـة» كلهافى حالة أشبـه بتلك التى سيطرت عليـهـا قـبل قـرار إعـلان الحـرب على ألمانيـا واليـابان على إثر الهـجـوم الجوى اليـابانى المباغت على «**بيرل هاديور**» الذى دمـر الاسطول الأمـريكى فى المحـيط الهادى. وقـد ظلت الولايات المتحدة وقـتـهـا ممتنعـة عن خـوض هذه «الحـرب الأوروربية» ضد النازية.



القرصان الأمريكى جاهز دائما للتدخل.. البندقية فى يد.. وزهرة فى اليد الأخرى

بريشة روبرت جيل

عن مجلة «بروجرسيف» الأمريكية

فى عام ١٩٩١ كانت حسابات وتقديرات الخـبـراء الاسـتـراتيـجـيين والعـسكريين الأمريكيين تشير إلى حرب مع العراق تطول لعشرين شهر أو أكثر . أن يستخدم العراق فيها ترسانته الضخمة من الأسلحة الكيماوية والبـيـولوجـيـة.. أن يصل عـدد القـتلى من القوات الأمريكية إلى ٣٠ ألف قـتـيل.. ربما أقل، لكن ربما أكثر أيضا.

مع ذلك لم يستـغـرق مـجلس الشـيـوخ الأمـريكى، صاحب القرار النهائى فى شأن دخول الحرب- سوى ساعات **من المناقشات امتدت على مدى يوم ونصف.**

وكان ماكان.. وباقى القصة معروف.

بعد ذلك بعامين فى عام ١٩٩٣ استغرق مجلس الشيوخ الأمـريكى **ثلاثة أيام** فى مناقشة مشروع قرار بأضخم مـيزانية اتحادية فى تاريخ الولايات المتحدة، وكانت فى الوقت نفـسـه تتـضـمن أضـخم خطة فى التـاريخ الأمريكى لخفض العجز فى الميزانية.. وبالطبع تضـمن الخطة فـرض ضـرائب جـديدة على الأمـريكيين وإعادة تشكيل التوزيع النهائى للأعباء الضريبية على «الشرائح الاقتصادية والاجتماعية المختلفة».

مع ذلك لم يجد مجلس الشـيوخ صعوبة هائلة فى الموافـقـة على المـيزانيـة والضـرائب الجـديدة.. وان كـان القـرار قـد صـدر بفـارق صـوت واحد بين المؤيدين والمعارضين مع أن الحـزب الديمقـراطى- حـزب الرئيس كلنتـون- يملك أغلبـيـة فى مـجلس الشـيـوخ بفـارق ١٢ صوتا.

هذا العـام يناقش مـجلس الشـيـوخ الأمـريكى مـشـروعـا جديدا للرئيس كلنتون بشـأن التـأمين الصـحى يهدف فى النهـاية.. وبعد تفصيلات وتعقيدات مذهلة.. إلى أن **تشمل مظلة التأمين الصحى كل الأمريكيين .. لأن هناك نحو أربعين مليون أمريكى لايتمتعون بأى تأمين صحى وهى كارثة فى بلد تبلغ فيه نفقات العلاج أرقاما فلكية.**

ويقول الرئيس الأمريكى دفاعا عن مشروعه أنه من العيب أن يكو نظام التأمين الصحى الشامل مطبقا فى كافة الدول الصناعية

المتقدمة الاخرى- حلفاء الولايات المتحدة ومنافسيها الرئيسيين، مثل ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وكندا- وأن تعجز الولايات المتحدة عن توفير هذا التأمين لمواطنيها.

مع ذلك فإن معارضة مجلس الشيوخ ومجلس النواب وكافة قطاعات الأعمال والمؤسسات الكبرى والصغرى للمشروع تعرقل اصداره والمناقشات مستمرة منذ نحو ١٥ شهرا.. خلالها تكونت جماعات ضاغطة لحمل الكونجرس بمجلسيه على رفض مشروع التأمين الصحي.. والحجج كثيرة: أنه يحمل رجال الأعمال والشركات فوق ماتطيق. معنى هذا أن الشركات ستضطر لفصل مزيد من العمال لتضمن أرباحها. الحكومة تلعب دورا أكبر مما يحتمل النظام الأمريكي للاشراف على تنفيذ هذا المشروع. نفقات المشروع ضخمة ومعنى هذا أنها ستتطلب فى السنوات التالية فرض مزيد من الضرائب.

وعندما لاح أنه لا أمل لكلنتون فى التغلب على هذه الاعتراضات بدأ يقبل تنفيذ المشروع على فترة زمنية أطول. كان يريد أن **يشمل التأمين الصحى كل أمريكى قبل حلول عام ١٩٩٨.. والأن يقبل أن يمتد هذا الاجل إلى عام ٢٠٠٣.** النواب والشيوخ الديمقراطيون يعارضون المشروع بالحماس نفسه الذى يعارضه به نواب وشيوخ «المعارضة» الجمهوريون. **فعندما يتعلق الأمر بمكاسب ، الشرائح الدنيا من المجتمع الأمريكى يكشر المحافظون عن أنيابهم. تزول الانتماءات الحزبية والأنتخابية..** وتظهر قوة أولئك الذين يدفعون لتمويل الحملات الانتخابية . أى المؤسسات الاقتصادية والشركات وأصحاب المصانع الخاصة والمناقشات مرشحة للاستمرار والاستمرار...

* هذا العام شهد تدهور «شعبية» الرئيس كلنتون كما تعكسها نتائج استطلاعات الرأى العام. **فالرئيس يتعرض لحملة هجوم ضارية من خصومه لأنه ينتهج سياسة خارجية مترددة غير فعالة.. أنه حتى الآن لم يرغم ليبيا- مثلا على تسليم المتهمين فى قضية لوكيربى. لم يشن غارات على المفاعلات والمنشآت النووية ، المشتبه فيها فى كوريا الشمالية. لم يغز هايتى لتخليصها من الحكومة** العسكرية.. ولتخليص أمريكا **(وهو السبب الحقيقى) من أمواج المهاجرين من الجزيرة إلى الشواطئ الأمريكية لم يفعل ماينبغى لاسقاط صدام حسين. سحب القوات الأمريكية من الصومال حتى بعد المهانه التى تعرضت لها هذه القوات فى مقديشيو. لم يستطع أن يروع ايران. تأخر فى التدخل فى رواندا..فقطفت فرنسا ثمار دور المنقذ (...)**

وهناك من يعتقد أنه لو كان **بوش** قد فاز بفترة رئاسة ثانية فى انتخابات ١٩٩٢ ولم يأت **بيل كلنتون إلى** الرئاسة لكان قد ضرب ليبيا بالقنابل وغزا هايتى بصرف النظر عن أية نتائج مادية أو بشرية. لكان خاض حربا ضد ايران على غرار «عاصفة الصحراء» ضد العراق..

الفترات السابقة تدلنا بتعاقبها على مدى السهولة التى ينظر بها صناع القرار فى الولايات المتحدة إلى أمور الحرب.. والصعوبة التى تعرقل خطواتهم كلما كان الأمر متعلقا بالاصلاحات الاجتماعية الداخلية . وقد نستطيع أن نستنتج أن الأمريكيين انتخبوا فى عام ١٩٩٢ رئيسا أكثر حذرا فى تناول أمور الحرب ، بصورة لاتتفق مع التيار العام لباقى مكونات النظام. لكن هذا الاستنتاج يبقى مشروطا بقدرة كلنتون على مقاومة **هذا التيار التقليدى الذى اعتاد أن يرى فى الحرب والتدخل المسلح أفضل السبل- مهما كانت التكاليف المادية والبشرية «لحماية مصالح الولايات المتحدة» أو «لحماية الأمن القومى الأمريكى» أو حتى لحماية هيبة الولايات المتحدة وهو تعبير أقل تحديدابكثير من تعبير المصالح» و«من تعبير الأمن».**

وفى هذا الجو العام من غياب قرارات حاسمة من البيت الأبيض بشن حرب هنا أو التدخل عسكريا هناك لم تستطع إدارة كلنتون أن تكسب نقاطافى معركتها اليومية مع «استطلاعات الرأى» نتيجة لما تعتبره هذه الادارة نفسها «انجازات» فى مجالات السياسة الخارجية. الاتفاق الذى وقع فى واشنطن فى سبتمبر ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل عبر سريعا وكأنه مجرد واحد من احتفالات البيت الابيض فى مناسبة دبلوماسية مما يتكرر كثيرا.. مع أنه كان - بكل مقاييس المعلقين الأمريكيين من نوع

رئيس النظام العسكرى فى هايتى الجنرال راؤول سيدارس الشيطان وهالة ملائكية بريشة مايكل والكريرو عن مجلة «ذى نيشن»

الأحداث التي كان من المستحيل تخيل وقوعها في هذا القرن وربما أبعد. وبالمثل إعلان انهاء حالة الحرب بين الأردن واسرائيل في يوليو الماضي.

عندما بدأت إدارة كلنتون مفاوضات مع كوريا الشمالية بشأن برنامجها النووي عوملت هذه السياسة باعتبارها خيانة للتقاليد الأمريكية السياسة. وحتى عندما أسفرت هذه المحادثات عن اتفاق مبدئي في الأسبوع الثاني من أغسطس الماضي على أن تقدم الولايات المتحدة مساعدات تقنية ومالية لكوريا الشمالية مقابل فض برنامجها النووي لم يكد يسمع صوت في العاصمة الأمريكية يمتدح الدبلوماسية الأمريكية التي تجنبت صداما مسلحا في منطقة ذاقت قبل أكثر من أربعين عاما أهوال حرب كان الأمريكيون فيها أول الخاسرين.

كأن أركان النظام الأمريكي يشعرون بالاحباط لأن كلنتون لم يصدر أوامره بشن غارات جوية «جراحية» لاستئصال المنشآت النووية لكوريا الشمالية.. على الرغم من أن كوريا الجنوبية حليفة الولايات المتحدة مالت طوال الوقت إلى التنبيه الى أن سياسة التصعيد والتهديد باستخدام القوة العسكرية يمكن أن تؤدي إلى كارثة لها قبل غيرها .. أي كارثة لكوريا الجنوبية نفسها.

حجة المعترضين على اتفاق مبدئي مع كوريا الشمالية على اقامة علاقات دبلوماسية معها وتقديم المساعدات لها مقابل تصفية أي برنامج لانتاج سلاح نووي هي أنه لن يكون من الصعب بعد هذا على أي دولة في العالم الثالث أن «تبتز» الولايات المتحدة بهذه الطريقة(..) لكن حتى حينما بدأت ادارة كلنتون تعطي مؤشرات واضحة إلى أنها ستلقي عبء مساعدة كوريا الشمالية على عاتق كوريا الجنوبية واليابان، باعتبار أنهما المستفيدان الأساسيان من نزع فتيل الحرب في تلك المنطقة، لم يبد أن هذا الاجراء قد خفف من حدة اعتراض الراغبين في تدخل عسكري ضد كوريا الشمالية.. لامجرد تدخل دبلوماسي.

إن متابعة المناقشات الدائرة في أمريكا هذه الايام حول قضية التدخل العسكري تؤكد بوضوح أن نحو **مائتي سنة من ممارسة التدخل العسكري في الخارج كأداة أساسية لها الأولوية بين أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية قد تغلغلت في «ثقافة» الرأي العام الأمريكي**. وأن البرامج التي منيت بها هذه السياسة (في حرب كوريا في الخمسينات ثم في حرب فيتنام في الستينات وأوائل السبعينات، وفي غزو «خليج الخنازير» في كوبا في بداية الستينات، وفي لبنان في أوائل الثمانينات لم تستطع أن تزيل هذه «الرغبة» في رؤية الأساطيل الأمريكية تتحرك نحو بحار أجنبية.. والطائرات الأمريكية تمارس القاء القنابل على المدن او القرى في القارات البعيدة أو في الجزر القريبة.

أن السؤال المطروح بالحاح هذه الأيام: نتدخل أولا نتدخل يبدو معادلا للسؤال: نكون أو لانكون بالنسبة للرأي العام الامريكي.

وهذا هو بالتحديد المعنى الذي قصد اليه كثير من المحللين السياسيين الأمريكيين حين أشاروا إلى أنه **سيتعين على الولايات المتحدة أن تبحث عن عدو- أو أكثر- ليكون بديلا عن الاتحاد السوفيتي بعد تفكك هذا العدو على غير انتظار**. ولابد هنا من ملاحظة .. هي أن وجود الاتحاد السوفيتي طوال أكثر من سبعين عاما لم يحل في كل الأحوال دون ممارسة أمريكا عقيدة التدخل العسكري باعتبارها ديانة السياسة الخارجية الأمريكية. بل الأحرى أن نقول أنه اتخذ مبررا للتدخل في معظم الأحوال.

***

ولقد ظل السؤال: نتدخل أولا نتدخل؟ جزءا أساسيا من كل مناقشة قومية أمريكية حول قضايا السياسة الخارجية منذ بدايات الولايات المتحدة كدولة مستقلة .. أي منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. ولايعني هذا أن المناقشة الراهنة تخلو من عناصر جديدة لم تكن ضمن مركب المناقشات السابقة.

فما الجديد في المناقشة الحالية؟

من الناحية العملية أصبحت مسألة التدخل (أو عدم التدخل) في **جزيرة هاييتي** هي المحور الأساسي للمناقشة منذ شهور.. وبالأخص منذ أن بدأ يتضح أن الأساليب البديلة عن «غزو هاييتي» - ومنها فرض العقوبات الاقتصادية بأشكالها المختلفة ومواصلة الضغط السياسي على المجموعة العسكرية الحاكمة- لم تؤد إلى النتيجة المطلوبة وهي تخلي القادة العسكريين عن السلطة لاتاحة الفرصة لرئيس هاييتي المنتخب برتران أرستيد ليغادر منفاه في الولايات المتحدة لتسلم السلطة في بلاده.

لقد شكلت أزمة هاييتي وضعا جديدا غير الوضع المعتاد للتدخل العسكري الأمريكي.

كانت «العادة» **أن تتدخل القوات الأمريكية لمساندة حكومة عسكرية لا لاسقاط حكومة عسكرية**. هكذا حدث عشرات المرات في أمريكا اللاتينية من **هاييتي نفسها إلى المكسيك إلى الدومنيكان إلى كوادور**.. كما حدث عشرات المرات خارج أمريكا اللاتينية .أما الآن فتجد الولايات المتحدة نفسها أمام هدف مختلف.. **لكن قطاعا لايستهان به من الرأي العام الأمريكي لايزال يجد من الصعب عليه أن يهضم فكرة التدخل بالقوة العسكرية ضد مجموعة من الحكام العسكريين الذين كانوا إلى وقت قريب أصدقاء لواشنطن،فضلا عن أنهم تلقوا علومهم (المدنية والعسكرية) في الولايات المتحدة.. وخدموا أهداف السياسة الأمريكية في بلادهم متعاونين مع المخابرات الأمريكية أو مع المؤسسة العسكرية الأمريكية..الخ .**

هذا بالطبع قطاع المحافظين الأمريكيين.. الذين يفكرون بالطريقة التقليدية نفسها التي أدخلت أمريكا في حروب قصيرة أو طويلة وفرضت الاحتلال الأمريكي العسكري على بلدان كثيرة- خاصة في نصف الكرة الغربي الذي تعتبره الولايات المتحدة بأكمله مجالها الحيوي، أو السوق المغلقة على سلعها التجارية والسياسية والثقافية.

وبينما اعتاد **اليسار الأمريكي** (بالمعنى الدقيق للكلمة.. وأيضا بمعناها العريض الذي يشمل القوى الليبرالية وذات التوجه الانساني والتحرري العام،) أن يقف ضد التدخل العسكري الأمريكي.. وخاض معارك يمكن وصف بعضها بأنه «تاريخي» ضد سياسة الغزو واستخدام القوة ضد الشعوب الأخرى، كما حدث في سنوات الحرب الأمريكية في فيتنام.. فأنه - أي اليسار- **يجد نفسه الآن في المناقشة الحامية الجارية بشأن هاييتي يقف في صف التدخل**. معتبرا أن مسؤولية الولايات المتحدة في الوقت الحاضر تملي عليها الوقوف إلى جانب الديمقراطية. إلى جانب الانتخابات وضد الحكام العسكريين ، خاصة وأن سجلهم حافل بالانتهاكات في مجال حقوق الانسان والحقوق المدنية.

هكذا حدث نوع من «تبادل المواقع بين» التيار المحافظ والتيار المتحرر.



فيدبل كاسترو

لكن هذا لايعني أن القوى المحافظة- سواء في مؤسسات صنع السياسة وصنع القرار أو في صفوف الرأي العام- تخلت عن عقيدة التدخل العسكري كأداة أساسية لتنفيذ السياسة الخارجية. كل مافي الأمر أنها لاتريد أن يحدث التدخل الأمريكي في هاييتي لمصلحة اعادة اريستيد إلى الرئاسة. فهو في رأيها «يساري».. وعلى أي الاحوال فإن المجموعة العسكرية في الحكم الآن لم تلحق أي ضرر بالمصالح الأمريكية.

بل أن القوى المحافظة. خاصة في الكونغرس وفي الاعلام الأمريكي - حريصة كل الحرص على أن لاتترك انطباعا بأنها أصبحت أقل حماسا في ظروف الأوضاع العالمية الجديدة للتدخل العسكري ولهذا ألقى عنصرها قنبلة مدوية في المناقشة..

فجأة ظهر شعار يقول: **إذا كان النقاش حول تدخل عسكري فليكن هذا التدخل في كوبا.. لا في هاييتي.**

وعلى أي الاحوال فإن البلدين: **كوبا وهاييتي** في منطقة واحدة هي منطقة البحر الكاريبي. كلاهما جزيرة. وكلاهما قريبة من الولايات المتحدة. **لكن التدخل لإسقاط نظام كاسترو يشكل اغراء شديدا للقوى المحافظة الأمريكية** التي تنظر اليه الآن على أنه ثمرة توشك على السقوط، لاتحتاج لأكثر من هز الشجرة لتسقط.

في مقال بصحيفة «**واشنطن تايمز**» - التي تعد من أكثر الصحف الأمريكية تعبيرا عن افكار اليمين الأمريكي المحافظ في أكثر صورها فجاجة واستفزازا- كتب المعلق اليميني **صمويل فرانسيس** يقول بلامبالاة: إذا كان ماتريدون حربا في الكاريبي فينبغي أن لا يكون الجنرال راؤول سيدرأس حاكم هاييتي، بل ينبغي أن يكون **فيديل كاسترو** حاكم كوبا هو هدفكم.

وذهب فرانسيس إلى حد وصف ماهدد به كاسترو أخيرا من فتح باب الهجرة أمام الكوبيين، كما حدث من قبل في أواخر السبعينات لاغراق المدن الأمريكية بهم لذا استمرت الولايات المتحدة في إثارة المتاعب لكوبا، بأنه بمثابة «اعلان حرب» من جانب كاسترو ضد الولايات المتحدة. ووصفها بأنها «حرب ديموجرافية» (أي سكانية) «تستخدم المهاجرين واللاجئين» سلاحا بشريا للتأثير على البلدان الأجنبية أو تخريبها».

ولم يذكر فرانسيس- بالطبع- **شيئا عن حرب الحصار الاقتصادي والسياسي التي تشنها الولايات المتحدة بلا انقطاع ضد كوبا منذ عام ١٩٦٣.**

وعلى الجانب الآخر وقف اليسار الأمريكي مؤكدا أن **الولايات المتحدة مسؤولة تاريخيا عن الأوضاع المتردية التي وصلت اليها هاييتي في السنوات الأخيرة، وذلك من خلال سنوات غزو عسكري واحتلال طويل أيدت فيها أمريكا أنظمة عسكرية (أو مدنية) غير ديمقراطية.. وأيدت فيها سيطرة للشركات الأمريكية أورثت الشعب الهاييتي فقرا لايكاد يكون له مثيل في نصف الكرة الأرضية.**

ويذكر المفكر اليساري الأمريكي «ناعوم **تشومسكي**» بأن هاييتي كانت طوال القرن الثامن عشر أغنى المستعمرات الغربية.. وأن التدخل العسكري الأمريكي لعب دور حامي أشد النظم طغيانا في الجزيرة، خاصة حكم الدكتاتور دوفالييه (الذي كان يلقب «بابا دوك») حتى استمر ثلاثين عاما كاملة.. والآن تحولت هاييتي إلى جزيرة من الطين والقاذورات يشاهد الناس فيها في أسمال بالية والنساء يصارعن الحياة بالسير في الطرقات الموحلة وعلى رؤوسهن أحمال ثقيلة لاتساوي شيئا.. والأطفال يحاولون أن يبيعوا أي شئ وأسراب الذباب تجتاحهم وهم يمسكون بحزمة يمكن تجاوزا اعتبارها خضروات.

ويضيف تشومسكي أنه «**في اعماق فقر العالم الثالث كله يندر أن يجد المرء مشهدا مقززا ومثيرا للاكتئاب إلى هذا الحد**».

ويتحدث تشومسكي - بعد ذلك- في مقال نشره في مجلة «**بروغريسيف**» بعد زيارة كان قد قام بها لهاييتي في العام الماضي- عن عيون رجال الأمن المنتشرة في كل ركن وزاوية تبث الخوف في الناس في ظروف تعد أفضل كثيرا من الظروف السائدة اليوم.. فبعد مجئ كلنتون إلى الرئاسة الأمريكية ساءت الأوضاع كثيرا بالنسبة لشعب هاييتي. زادت ضغوط الحكام العسكريين وأعمال الاغتيال الدموية ضد خصومهم السياسيين.. بينما تراخت **قبضة «العقوبات الاقتصادية» ضد هذا النظام تحت ضغوط الشركات الأمريكية التي وجدت أنها تخسر اموالا كثيرة نتيجة لهذه العقوبات.**

وبينما تستجيب الادارة لضغوط رجال الأعمال بشأن غض الطرف عن مراقبة العقوبات ضد النظام العسكري الدموي في هاييتي.. فإنها لم تظهر أي قدر من الاستجابة لضغوط مماثلة

من جانب رجال الأعمال الأمريكيين أيضاً بشأن الخسائر التي يتكبدونها نتيجة لسياسة الحصار الاقتصادي ضد كوبا. لماذا؟ لأن هناك **دائرة انتخابية كبيرة في أمريكا، اسمها «الكوبيون في المنفى»** - معارضوا نظام كاسترو الذين انتقلوا إلى الولايات المتحدة وأصبحوا يشكلون كتلة سياسية كبيرة لها وزنها في تحديد اتجاه أصوات الكوبيين الأمريكيين- بل وأصوات الأمريكيين من أصول لاتينية بشكل عام. سواء في انتخابات الكونجرس أو انتخابات حكام الولايات... أو انتخابات الرئاسة الأمريكية.

أما الشعب الهايتي والمنظمات الشعبية المطالبة بالديمقراطية وبعودة الرئيس الذين انتخبه هذا الشعب وأقصاه العسكريون لأنه يهدد مصالح الأقلية الضئيلة من أغنياء هايتي فلا صوت لها في الانتخابات الأمريكية.

مع ذلك لايمكن القول بأن اليسار الأمريكي بكافة ألوانه وظلاله يؤيد التدخل العسكري الأمريكي في هايتي أو يدعو اليه. لقد أصدرت لجنة **«الحملة من أجل السلام والديمقراطية»**- وهي تعد واحدة من أنشط منظمات اليسار الأمريكي في ميدان السياسة الخارجية في الوقت الحاضر- بيانا طالبت فيه بتغيير سياسات إدارة كلنتون بشأن الأوضاع في هايتي بحيث تتخذ من الاجراءات مايكفي لدعم الرئيس **ارستيد** التي تشير إلى أنه باعتراف الجميع انتخب شعبيا في انتخابات حرة عادلة عام ١٩٩١.. لكنها في الوقت نفسه أعلنت **«أننا نود أيضا أن نوضح معارضتنا التامة للتدخل العسكري الأمريكي ،سواء بطريقة مباشرة أو تحت أشراف مجلس الأمن الدولي من أجل دعم الديمقراطيةفي هايتي. لقد كان التدخل العسكري الأمريكي في الماضي مناقضا للمصالح الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الهايتي.. أن الحكومة الأمريكية في الحقيقة ليست أكثر دعما للديمقراطيةأو للتغيرات الاجتماعية - الاقتصادية التي يطالب بها اولئك الذين يريدون استعادة الحقوق الديمقراطية في هايتي، فما كانت في الماضي على الرغم من اعلاناتها الكلامية بعكس ذلك.**

وأضاف بيان «الحملة من أجل السلام والديمقراطية» (التي يقع مقرها في نيويورك) قائلا: «اذا أخذنا التاريخ والمواقف الراهنة في الاعتبار فانه يكون من قبيل التفكير الطوباوي (الخيالي) أن نعتقد أن التدخل العسكري من جانب الولايات المتحدة- إذا ماتم- سيكون دفاعا عن المصالح الشعبية في هايتي. أما العكس هو المتوقع ولهذا فأننا **نعتقد أن التضامن مع شعب هايتي يتطلب منا أن نعارض التدخل العسكري الأمريكي في ذلك البلد».**

بل أن «الحملة» المذكورة ذهبت إلى حد مطالبة الرئيس كلنتون - في خطاب مفتوح وقع عليه عشرات من الشخصيات التقدمية- بأن يجري تحقيقا مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في الاتهامات والانتقادات التي وجهتها إلى الرئيس الهايتي الشرعي أرستيد بأنه ليس ديمقراطيا حقيقيا وبالتالي لايستحق وقوف الولايات المتحدة وراءه. وبأنه «مريض عقليا». كما طالب الخطاب المفتوح الرئيس كلنتون بوقف ضغوط ادارته ضد ارستيد ليوافق على توسيع نطاق حكومته لتشمل عناصر وثيقة الصلة بالعسكريين الذين أخرجوه من السلطة.

وقد اتخذت هذه المنظمة الموقف نفسه فيما يتعلق بالمطالبة بالتدخل في البوسنة لمساعدة المسلمين على استعادة مافقدوه من مناطقهم للقوات الصربية. بينما يؤيد مثل هذا التدخل عدد كبير من المنظمات المحافظة و«مصانع الأفكار» (مراكز الابحاث) ذات الاتجاهات الفكرية والسياسية اليمينية.

وبينما يلاحظ بوضوح أن اليمينيين الذين يؤيدون التدخل العسكري في هايتي (والبوسنة- كوبا.. وكل مكان إن أمكن) وأولئك الذين يعارضون هذا التدخل من اليمينيين يتحدثون بلغة واحدة، أو بالأحرى **يتحدثون عن معيار واحد يقاس به التدخل او عدم التدخل. وهذا المعيار هو مايقتضيه مصالح الولايات المتحدة. وهم لايكترثون بأي حال من خطوط مصالح الشعوب**



كلينتون

التي يدعون إلى التدخل عسكريا فيها أو الابتعاد عن التدخل فيها. بعضهم لأنه يرى أن ماهو خير لامريكا لابد تلقائيا أن يكون خيرا للآخرين.. وبعضهم لأنه لايرى أي موجب للتطلع إلى ما وراء الخطوط التي تمثل حدود «المصالح الأمريكية» كما يتصورها ويحسبها.

وعلى النقيض من ذلك نجد أن القوى اليسارية الأمريكية- سواء تلك التي تطالب بالتدخل في هايتي أو التي تعارضه- تطرح للمناقشة ماإذا كان التدخل العسكري يحقق مصالح الشعب في البلد الذي يستهدفه هذا التدخل؟. ولعل أفضل تعبير عن مضمون هذه النقطة في المناقشة ماقاله ستيفن **شالوم**- وهو يساري معروف وأستاذ للعلوم السياسية في كلية باتر سون الجامعية- من أن «التدخل العسكري من جانب الدول الغربية كثيرا ماينطوي على السيطرة على الصراع بهدف ابعاده عن الشعب المعني.. أن التدخل من جانب الدول الغنية والقوية لايكون بهدف «دعم الايثار وخير العالم» انما يكون بهدف تحقيق مصالحها الخاصة.

ويضيف شالوم «إن المدافعين عن التدخل العسكري يكتبون أحيانا وكأنهم يعتقدون أن الولايات المتحدة مجرد مواطن لاغرض له، يمر بمشاجرة ويجد أن عليه أن يقرر إذا كان يتعين عليه أن يتدخل أم لاينقذ الضحية. والتشبيه الصحيح هو أن هذا المواطن هنا أقرب لأن يكون بلطجيا قاتلا يطلب إليه أن يتدخل للمساعدة بينما هو مستمر في ضرب ولكم عشرات من الابرياء. فهل يمكن أن يساعد بلطجي ضحية بلطجي آخر؟ ربما، لأنه يحدث أو يتصادف في حالة .. معينة أن تتفق مصلحته مع مصلحة الضحية. ولكن هذاأمر ممكن ولكنه غير مرجح الحدوث.. وفي هذه الحالة لابد من أن تحسب بدقة حسابات الفوائد والخسائر .إذ لا يستطيع المرء أن يتجاهل كل التكاليف الباهظة التي تنجم عن الاستعانة ببلطجي(...)

اليمين الأمريكي لايعنيه أين يقف شعب هايتي من المشكلة.

اليسار الأمريكي- حتى في اختلافه الراهن حول التدخل- يتفق على أنه لاسبيل إلى الديمقراطية والعدالة الاجتماعية مالم يلعب الشعب الهايتي نفسه الدور المركزي. ولايعني هذا أن اليسار الأمريكي غير معني بالمرة بالمصالح الأمريكية. ان أكثر التحذيرات جدية من جانب اليساريين الأمريكيين بشأن احتمالات التدخل العسكري في هايتي تتعلق بالمخاوف الناشئة عن تجارب التدخل العسكري الأمريكي السابقة في هايتي كلها أدت إلى فترات احتلال طويلة، وتعميق للكراهية في نفوس الوطنيين ضد الولايات المتحدة.

والجميع- محافظون ومتحررون، أو يمينيون ويساريون- يعرفون أن **مخاوف شعب هايتي من الغزو عميقة وحقيقية**، لأنها تستند إلى تاريخ ومعرفة مباشرة بمعنى الغزو والاحتلال الأمريكي. فلايزال «عواجيز» هايتي يحكون لابنائهم وأحفادهم عن **الاحتلال الأمريكي الذي أعقب آخر غزو سابق للجزيرة. وقد استمر من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٣٤.** وينقل فيليب سماكر مراسل صحيفة «واشنطن تايمز»:(اليمينية المناهضة لكلنتون والتي تطالب بغزو كوبا بدلا من هايتي) عن رجل من بلدة في هايتي اسمها «مون دي ليزانفان بيردو» (وهي بالفرنسية وترجمتها «جبل الأطفال الضائعين») اسمه جاك ويبلغ من العمر ٤٥ سنة قوله «يحكون لي أنه (أي الاحتلال الامريكي خلال تلك الفترة) كان مثل العبودية .. الرجال البيض كانوا يهدمون البيوت ويتركونها خرابا، تماما كما فعلوا عندما غزت الولايات المتحدة «بنما».

ولايمكن أن ندع هذه الاشارة إلى فترة الاحتلال الأمريكي لهايتي هذه تمر دون أن نذكر أن الولايات المتحدة تذرعت في ذلك الوقت (١٩١٥) بـ«الاعتبارات الانسانية» لكي تتدخل عسكريا، وقبل أن نذكر - طبعا- «**مبدأ مونرو**» الذي أعطاها وحدها حق التدخل العسكري في أي من دول نصف الكرة الغربي. وتقول دائرة المعارف البريطانية (حتى لاننقل عن مصدر يمكن الطعن فيه أنه يساري او معاد للولايات المتحدة)- في طبعتها الصادرة عام ١٩٨١ (المجلد الثامن - ص ٥٥١) أن **سكان هايتي** «**كانوا مقتنعين** بأن المارينز انما جاءوا في **الحقيقة لحماية الاستثمارات الأمريكية في البلاد ولإقامة قاعدة تحمي المداخل إلى قناة بنما**» وقد وقعت هايتي معاهدة مع الولايات المتحدة- كانت في الاصل لمدة عشر سنوات ولكنها استمرت حتى عام ١٩٣٤- وطدت السيطرة المالية والسياسية الأمريكية.وفي عام ١٩١٨أجريت انتخابات باشراف المارينز ووضع دستور جديد سمح فيه للأجانب لاول مرة بأن يمتلكوا الأرض في هايتي».

وتضيف دائرة المعارف البريطانية: «**وكان أحد أثار احتلال المارينز اعادة توطيد نخبة المولاتو وسيطرتها على الحكم. ولقد احتقر كثيرون من الهايتيين الاحتلال الذي آمنوا بانه أبعدهم عن المناصب العامة وأخضع حياتهم يوميا للمهانات العنصرية** على أيدي المارينز.

والحقيقة أن الرأي السائد في المناقشات بشأن التدخل العسكري في هايتي في الظروف الراهنة يذهب إلى أن السبب الحقيقي لتردد الرئيس كلنتون في اتخاذ قرار الغزو هو أنه يعرف أن «الدخول سهل أما الخروج فسيكون صعبا للغاية..» ان كلنتون يخشى من عواقب ونفقات فترة احتلال طويلة قد تفرضها الظروف على قوات التدخل العسكري الأمريكية.

على أي الاحوال فان الغزو العسكري يبدو وشيك الوقوع.. وقد لاتجد هذه الصفحات طريقها إلى القارئ إلا ويكون التدخل العسكري قد وقع بالفعل... على الرغم من أن كل تجارب التدخل العسكري الأمريكي في الماضي البعيد والقريب، في البلاد البعيدة والقريبة على السواء، لم تقدم حلولا لأي من الأزمات الداخلية التي اتخذت ذريعة للتدخل.

فقد كان الإقدام على التدخل العسكري عادة استجابة لاعتبارات أمريكية داخلية اكثر مما هو استجابة لأسباب خارجية. وينطبق هذا على هايتي بشكل خاص. فالرئيس كلنتون يجد نفسه محاصرا بالانتقادات والضغوط من جوانب كثيرة.. وقد لايجد سبيلا لرأب الصدع بينه وبين المؤسسة العسكرية، بينه وبين الكونجرس، بينه وبين المحافظين في حزبه سوى الاستجابة لدعوة استخدام القوة.

... خاصة وأن تيارا معاديا **للمهاجرين**- من أي من بلاد العالم الثالث الفقيرة- يجتاح الرأي العام الامريكي، يكاد يلقى مسؤولية كل المتاعب التي يعاني منها المجتمع الامريكي على عاتق هؤلاء المهاجرين.. سواء البطالة أو الجريمة أو انتشار المخدرات، وحتى ارتفاع معدلات الإصابة بالايدز . وهم يعتقدون أن غزو المهاجرين مبرر كاف لغزو أمريكي.

والسؤال الآن: هل إذا تدخلت أمريكا عسكريا في هايتي، سيتأخر بعد ذلك التدخل عسكريا في كوبا»

وهذا موضوع آخر.

فرنسا وشبح الجزائر الإسلامي

د. مجدي عبد الحافظ

رسالة باريس

لاينكر أحد طبيعة العلاقات الخاصة الفرنسية الجزائرية، حتى بعد الإستقلال، فهى علاقات شديدة الارتباط ومتميزة . وهى تمتد لتشمل مجالات عديدة، وعلى كل المستويات، فعلاقة الجزائر الثقافية بفرنسا، وبرغم سياسة التعريب ظلت كما هى، حيث **يوجد بالجزائر قاعدة ضخمة للمتحدثين بالفرنسية، وللذين يكتبون بها، ويمثلون قوة لا يستهان بها**، حيث أغلبهم يتصدر إدارات وأجهزة ومؤسسات الدولة، دون الحديث عن الأطباء والمهندسين والمحامين وهم فى أغلبهم كوادر تربت ودرست على المناهج الفرنسية ، والبعض منهم تكون فعليا بفرنسا . أن الكتاب الفرنسى و الجريدة الفرنسية (سواء المكتوبين بالجزائر او بفرنسا) مازالا بلاقيان رواجا لاحد له فى الجزائر.

ولاننسى ارتباط عديد من الفرنسيين وأبنائهم ممن ولدوا فى الجزائر قبل الاستقلال، ومازال هذا البلد يشكل فى ذاكرتهم الجماعيه أرضا ولدوا عليها، ويتوقون شوقا لمعرفة كل مايتعلق بها، ويلحقهم بنفس الشعور «الحركيون» وهم جزائريون مسلمون رفضوا استقلال الجزائر، وحاربوا إلى جانب فرنسا ضد مواطنيهم. وعند الاستقلال فضلوا الخروج مع الفرنسيين واستقروا بفرنسا. إلى جانب الجزائريين من المهاجرين والذي يعيشون منذ سنوات طويلة على الأرض الفرنسية، ومازال يربطهم ببلادهم روابط كبيرة منها وجود أسرهم هناك، وهم يقومون بالانفاق عليها وإرسال مدخراتهم، بالإضافة إلى إرتباطهم الاكيد بكل مايدور على أرض الجزائر ويجد صدى بينهم، لذا نجد فى أوساطهم من يتعاطف مع جبهة الإنقاذ FIS ، أو من يقف ضدها.

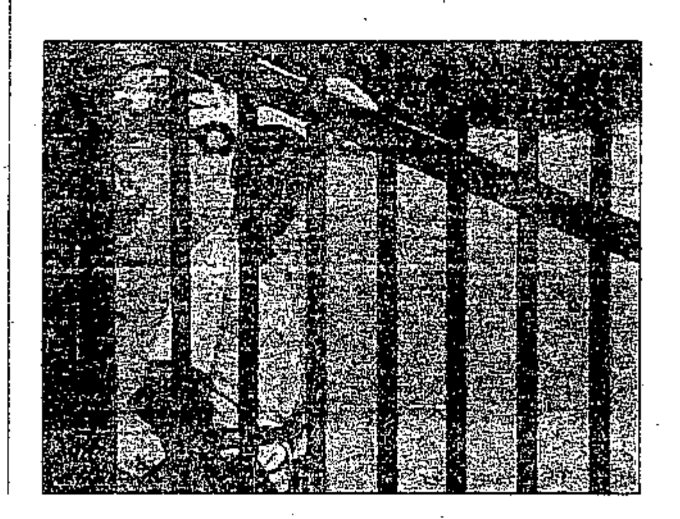
وترتبط الجزائر بعلاقات اقتصادية متميزة تشمل مجالات متعددة على رأسها البترول والغاز والصناعات المختلفة ، ولا يغيب السوق الجزائرى الواسع وإمكانات تطوره فى ظل خصوبة سكانية عالية، عن خطط الإنتاج الفرنسية.

لذا فعلى مدى الاستقرار فى الجزائر يتوقف التعاون والاستثمار المتبادل، وحتى الاستقرار داخل فرنسا التى تخشى من تفشى الظاهرة الاسلامية فى ضواحى المدن الكبرى بها . وهى الضواحى ذات الحساسية والتى تحمل لها الحكومة الفرنسية ألف حساب ، خاصة فى ظل العنف المحتدم بين شباب هذه المناطق ورجال الأمن ، حيث تتركز أعلى نسبة بطالة، وتنتشر المخدرات، ويكثر العنف والسرقة .. الخ. وتخشى الحكومة الفرنسية من أن يركب الاسلاميون هذه الموجة، ووقتها ستصبح أكثر راديكالية ، وسوف يصبح من الصعب السيطرة عليها. خاصة وأن **الإسلام يشكل الدين الثانى بفرنسا**، وفى ظل وجود نسبة كبيرة من المساجد التى أخذت تنتشر فى الأحياء، والجمعيات الكثيرة ذات التسميات المختلفة. وقد تبدى هذا أكثر من مرة فى ظواهر خاصة بالحجاب فى الأوساط المدرسية، وتم إحتواؤها.

إلا أنه ومنذ ١٩٨٠ كانت هناك أحداث ساهمت فى تثبيت أقدام دعاة الإسلام السياسي بفرنسا مثل موضوع الحجاب- كما أوضحنا- وموضوع سلمان رشدى، ثم حرب الخليج، وصعود أسهم جبهة الانقاذ فى الجزائر، وكلها أحداث جنى من ورائها التيار الإسلامى بعض النجاحات.

حاول الإشتراكيون بمبادرة من **بيير جوكس** وزير الداخلية والأديان فى ١٩٩٠ خلق تنظيم يجمع المسلمين فى فرنسا ويعبر عنهم تحت اسم «**لجنة التفكير فى مستقبل الاسلام فى فرنسا**» CO-RIF ، وتكونت اللجنة من خمس عشرة شخصية إسلامية، واستطاعت تحقيق بعض النتائج فى حينه إلا أنه قد أنفرط عقدها بسبب الخلافات الداخلية بين أعضائها. هذه الخلافات يبدو أنها أدت إلى تخلى الحكومة الفرنسية عن حرصها القديم على تشجيع التمثيل الرسمى للمؤسسات والجمعيات الدينية الاسلامية.

ومنذ عشر سنوات احتدت المنافسة الشديدة بين المؤسسات القديمة للمسلمين بفرنسا مثل «**المسجد الكبير بباريس**» والذى تربطه علاقات طيبة بوزارة الداخلية، وبعمدية مدينة باريس، وبين الجمعيات والفيدراليات المختلفة مثل «**الفيدرالية الوطنية لمسلمى فرنسا**» FNMF، و«**اتحاد المنظمات الاسلامية بفرنسا**» UOIF والتى ترى السلطات الفرنسية بأنه يبحث عن مساندات إيديولوجية ومالية من خارج فرنسا. وهناك منظمات أخرى قد تشكلت حديثا مثل **جمعية «الاخوة الجزائرية بفرنسا»** FAF، ولم يكن لها علاقة مؤسسية بجبهة الانقاذ الجزائرية إلا أنه بعد ذلك بدت وكأنها لسان حال المتعاطفين مع



السفارة الفرنسية فى الجزائر

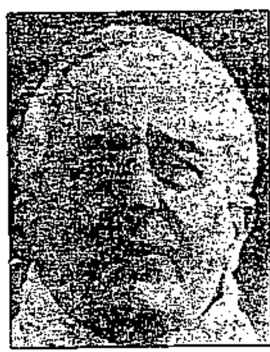
جبهة الإنقاذ بفرنسا، مما دفع السلطات الفرنسية لوقف نشرتها التي كانت تخرج تحت عنوان LE QITERE (المعيار أو القسطاس) وذلك في ابريل ١٩٩٣ ، وظهرت بعد ذلك تحت تسميات أخرى متعددة، وكانت تحرص دائما على كتابة يوميات تحت عناوين مثل: **الدكتاتورية والقمع بالجزائر، والتواطؤ الفرنسي، أحكام الاعدام بخصوص العملاء والعلمانيين أو الشيوعيين** (أي العمليات الارهابية التي تنفذها جبهة الإنقاذ بالجزائر ضد الآمنين).

وكانت هذه الجمعية الأكثر نشاطا على الارض حيث أستطاع مؤسسها **محمد كراوش** وهو جزائري مولود بالجزائر ووصل لفرنسا في سن العشرين ويحمل شهادة عليا في المعلوماتية من **الجامعات** الفرنسية، وقد عمل بعمودية مدينة أرجنتي القريبة من باريس، وأشتهر بالخدمات التي يؤديها مثل تنظيم المجموعات الدراسية للطلاب، كما أستطاع أن ينفذ إلى جمعيات أخرى معروفة بنشاطها الاسلامي مثل **«التبليغ»** ، أو **«التجمع الاسلامي بفرنسا GIF»** أو **«اتحاد الشباب المسلم»** في مدينة ليون UJM ، وحاول أن ينهج في الضواحي نفس نهج جبهة الإنقاذ في الجزائر، وفي مناطق أخرى من العالم العربي مثل التصدي للمخدرات والسرقة، وتشكيل المجموعات للتلاميذ، ومساعدة الأسر التي تعترضها مشاكل، وفوق ذلك شكلوا حلقة خاصة بهم لتكوين الكوادر مثل **«الجامعة الاسلامية»** في منطقة النيفير بمبادرة من **«إتحاد المنظمات الاسلامية بفرنسا»** مع تنظيم سمنارات، ومعسكرات للأجازة الصيفية ، واتسعت دعواتهم الأخلاقية للشباب في الدعوة للصلاة، ولصيام رمضان ومطالبة الفتيات بارتداء الحجاب .. الخ

ونتيجة هذا الاحتكاك المباشر على الأرض أقاموا علاقات بالمنتخبين المحليين، وفي الضواحي، حيث وجد هؤلاء، أن هذا النشاط من شأنه أن يجلب سلاما في الضواحي، وفي نفس الوقت أصواتا انتخابية جديدة لهم، ومن ثم تقوية شعبيتهم. وعلى الرغم من أن هذا المسلك مازال محصورا، ولم تحاربه السلطات الفرنسية، إلا أنه عقب الأحداث الأخيرة أكتشفت السلطات خطورته التي يشكلها على مبادئ الجمهورية والحريات العامة والخاصة، وأكثر من ذلك وبعد متابعة عديد من هذه العناصر النشطة والقبض على بعضها، في الفترة الأخيرة، **وجد في حوزتها أسلحة ومعدات عسكرية وأموال في طريقها للجزائر**، مما يثبت خطورة الموقف في تقدير السلطات الفرنسية، حيث أنها تخشى دائما من استخدام الأراضي الفرنسية كقاعدة خلفية تستخدم في تمويل جبهة الإنقاذ بالعتاد والمال.

ولعل مارفع حرارة الأحداث ، وأدى إلى تشدد السلطات الفرنسية فيما يتصل بهذه الحركات هو حادث قتل الفرنسيين الخمسة في العاصمة الجزائرية في الثالث من اغسطس على يد الجماعة الإسلامية ، الجناح العسكري المتشدد لجبهة الإنقاذ، وما أعقبه من إعلان الجماعة تهديدا للمصالح الفرنسية في الأراضي الفرنسية ذاتها. **لقد وصل عدد القتلى الفرنسيين منذ بدء الأحداث والتهديد بأغتيال الأجانب في سبتمبر ١٩٩٣ إلى ١٥ شخصا من عدد القتلى الأجانب الذي بلغ تسعة وخمسين قتيلا حتى الآن.** بدأت أول عملية ضد الفرنسيين في ٢١ سبتمبر عام١٩٩٣ وأختطف فيها مهندسان ، وجدا بعد ذلك مذبوحين بالقرب من سيدي بلعباس ، والعملية الثانية راح ضحيتها مسن في الخامسة والستين من عمره وجد أيضا مقتولا بالرصاص في جنوب العاصمة ، وفي ١٥ يناير الماضي قتلت موظفة بالقنصلية الفرنسية لحظة خروجها من عملها. وفي الأول من فبراير قتل مصور كان يقوم بعمل روبرتاج بمنطقة القصبة في العاصمة وفي ٢١ فبراير أطلق الرصاص على أحد الفرنسيين من ولدوا وظلوا في الجزائر ولم يغادروها بعد الاستقلال، وكان يمتلك مكتبة في وسط العاصمة وسقط قتيلا. وفي ٢٢ مارس ذبح أب وأبنه في منطقة بيرخادم في شرق العاصمة، وفي ٨ مايو أغتيل قس وراهبة في منطقة القصبة، وهي المرة الأولى منذ بداية الأحداث يقتل فيها المتطرفون رجال دين.

ولعل حادثة مقتل الفرنسيين الخمسة أخير ذات دلالات كبيرة ، حيث أن ثلاثة منهم رجال شرطة، والأثنين الآخرين موظفين بالقنصلية الفرنسية وتلك هي المرة الأولى التي يسقط فيها هذا العدد من القتلى كما أنهم يمثلون الدولة الفرنسية ذاتها باعتبارهم جزءا من أجهزة السلطة الفرنسية (فهم يمثلون وزارتي الداخلية والخارجية)، مما أزعج السلطات الفرنسية معتبرة أن هذا العمل- وهو الأول من نوعه- يستهدف في الحقيقة معاقبة الحكومة الفرنسية على مساندتها اللامحدودة أقتصاديا للنظام في الجزائر ومن هنا تحميل فرنسا مسئولية القمع الذي تمارسه الحكومة الجزائرية ضد المتطرفين ، وذلك بإحداث مواجهة مباشرة بين المتطرفين والسلطات الفرنسية التي رأت في هذا العمل تحد خطير لها وثالثا كان هذا العمل متبوعا بهجوم أخطر للمرة الأولى بسيارة مفخخة على مباني السفارة الفرنسية ، ولولا أن رجال الشرطة الفرنسيين قد تبادلوا إطلاق النار مع المجموعة المسلحة، وأستطاعوا فيما بعد إبطال مفعول السيارة في الوقت المناسب وبعد أن فقدوا ثلاثة من بينهم، لكانت النتائج كارثة حقيقية في الأرواح والمباني. وهذا مايفسر إهتمام وقلق الحكومة الفرنسية الشديد، وقيام وزيري الدفاع **فرانسوا ليوتار** والخارجية **الآن جوبيه** (بزيارة العاصمة الجزائرية بعد ساعات قليلة من الحادث.



ادوار بلادير رئيس وزراء فرنسا

وعقب الحادث اتخذت الحكومة الفرنسية على الفور إجراءات أمنية مشددة في كل المدن الفرنسية. **ووضعت كل المعروفين بتأييدهم لجبهة الأنقاذ قيد الإقامة الجبرية في معسكر فلومبري**، تمهيدا لترحيلهم خارج الأراضي الفرنسية، وحتى يجدون دولا أخرى تقبل بإقامتهم على أراضيها. وأقيمت حملات تفتيش على السيارات في مداخل ومخارج المدن، والتحقق من الهويات الشخصية بحيث **تم التحقيق في الأسبوع الأول فقط من بداية الإجراءات من حوالي ٢٣ ألف هوية وتم تفتيش ثمانية آلاف سيارة، ووصل عدد المتحفظ عليهم بمعسكر** فلومبري ٢٥ شخصا، وهي أرقام قابلة للزيادة في كل يوم، حيث ستواصل السلطات الفرنسية هذه الاجراءات يوميا حتى إشعار آخر.

وقد لاقت إجراءات الحكومة الفرنسية والتي أمر بها وزير الداخلية شارل باسكوا آراءا متضاربة بين ارتياح واعتراض القوى السياسية المختلفة. فقد صرح **إدوار بلادير** رئيس الوزراء، فإن الاجراءات التي أتخذها وزير الداخلية تمت بناء على موافقته وتأييده

الكامل. وربط عملية القبض على الإرهابي الدولي كارلوس بتصميم الحكومة الفرنسية على محاربة الارهاب والإرهابيين. ومن ناحية أخرى لم يعترض روبير إي سكرتير عام الحزب الشيوعي على الإجراءات مطالبا التعامل بجدية مع التهديدات بالعنف على الأراضي الفرنسية، وطالب بأن تتم الاجراءات في ظل احترام القانون وحقوق الإنسان. وصرح كلود شيون وزير الخارجية الاشتراكي الأسبق بأنه يقر إجراءات وزير الداخلية «لأن المتطرفين قد أعلنوا علينا الحرب وينبغي علينا محاربتهم، وعلينا أن نظهر حدة في هذا الموضوع، ولايمكن الحوار في مثل هذه الظروف»، وأعلن جان لوي دوبريه السكرتير العام المساعد للحزب الديجولي بأنه يؤيد هذه الإجراءات الواقعية التي تعبر عن المصالح الفرنسية. بينما وقفت منظمات متعددة ضد الاجراءات حيث طالبت النقابة العامة لرجال الشرطة FASP (القريبة من اليسار) باحترام حرية المواطن. ورأت أن هذه الاجراءات عديمة الجدوى، وتركز على الناحية الاعلامية كما أنها حشدت عددا كبير من رجال الشرطة في ظروف عمل لم يعتادوها. وعبرت جمعيات أخرى مثل SOS-RACISME ضد العنصرية، ومثل FASTI,MRAP وجمعية حقوق الإنسان عن تلقهم في الخلط بين تنفيذ هذه الإجراءات وبين التعامل مع المواطنين الأجانب الذين يعيشون في سلام، وطالبت جمعية حقوق الأنسان بوقف هذه العمليات ذات الصبغة الإعلامية، والتي لم تسفر عن القبض على أي عنصر له علاقة بالإرهاب المفترض. ولم تؤيد الإجراءات سوى منظمة واحدة هي FRANCE PLUS، وصاحبت تأييدها بمطالبتها أن تتم الاجراءات في ظل احترام القوانين.

السياسة الفرنسية في الجزائر

على عكس شركائها الأوروبيين والأمريكيين الذين يقفون موقفا مختلفا من النظام الجزائري ويقيمون بالفعل حوارات مع الاسلاميين، والبعض منهم وجه إنتقادات حادة للحكومة الجزائرية، تتسم سياسة فرنسا الجزائرية بالازدواجية. فالمسئولون الفرنسيون خارج الأحاديث الصحفية، والتصريحات الرسمية يرون في النظام الجزائري ونظاما يتخلله الفساد، ومعزول وغير قادر على الإصلاح ويقرون أيضا بأنهم ليسوا مخدوعين، وأنهم في مساندتهم للنظام يختارون ماهو أقل ضررا، على الرغم من معرفتهم أن هذه مساندتهم للنظام يختارون ماهو أقل ضررا، على الرغم من معرفتهم أن هذه المساندة تعطي الانطباع بأنهم مشاركون فوق العادة لنظام قمعي وغير شرعي»، وهذا ما أعلنه بالحرف سفير فرنسي رفض ذكر أسمه لجريدة الليبراسيون. رغم هذه الرؤية.فقد حثت السلطات الفرنسية شركاءها الأوروبيين والأمريكيين واليابانيين على مساعدة الجزائر اقتصاديا وبصورة مكثفة.

من المعروف أيضا أن أجهزة الدولة، والسياسيين هنا غير متفقين فيما بينهم على سياسة فرنسية ثابته تجاه الجزائر. إذ يرى البعض أن سياسة مساندة النظام الجزائري تجعل من فرنسا هدفا، بالرغم من أن فرنسا ليست لديها أوهام حول مقدرة هذه النظام في تأمين الحد الأدنى للاستقرار، أو خلق حشد شعبي ضد الأرهاب.

لكن لماذا هذه الأزدواجية في الموقف الفرنسي؟

جزء منها بالضرورة يعود للخلاف بين السياسيين، والجزء الثاني سنكشف عنه بعد قليل، إذ في الحقيقة إذا تتبعنا الموقف الفرنسي منذ إلغاء الإنتخابات في ديسمبر ١٩٩١ سوف نجد أن الرئيس ميتران شخصيا ندد بوقف الإنتخابات، وطالب بعودة سريعة للعملية الديمقراطية، إلا أن هذا الموقف الفرنسي لم يستمر طويلا بسبب الإنتقادات العنيفة والضغوط التي مارستها الجزائر. وفي صيف ١٩٩٣ وعقب تصاعد العنف المسلح أعلن آلان جوبيه وزير الخارجية أن سياسة القمع قد أخفقت وطلب من السلطات الجزائرية تنظيم حوار حقيقي بين كل الاطراف التي تنبذ العنف، وأوضح أن الحال لايمكن أن يستمر طويلا على ماهو عليه، مما آثار غضب السلطات الجزائرية متهمة الفرنسيين بالتدخل في شئونها الداخلية. وفي مطلع هذا الصيف تحددت الأمور وأصبحت أكثر وضوحا، حيث استقرت السلطات الفرنسية أخيرا على سياستها المعروفة الآن في مساندة النظام الجزائري إقتصاديا مطالبة شركائها بمساندته. لكن لماذا هذا الاختيار؟

الأرجح أن فرنسا أختارت مصالحها الحيوية في المنطقة، وأيقنت أن وصول الإسلاميين للحكم سيعرض للخطر تلك المصالح. وأكثر من ذلك سوف ينعكس سلبا على منطقة المغرب العربي بأكملها المركز الدائم للنفوذ الفرنسي، وسيكون من شأنه إدخال المنطقة في دائرة مفرغة من عدم الاستقرار. وانتكاسات هذا الموقف ستكون أكبر على الجالية الجزائرية بفرنسا. هذه الجالية التي في مجملها- حتى اليوم- لم تأخذ مواقف متطرفة، والخوف أن تصبح رهينة في يد جبهة الإنقاذ. كما أن هذا الوضع سيجر على السلطات الفرنسية مشكلات تفوق قدراتها، مثل الهجرة الكثيفة للمثقفين والمعارضين لجبهة الإنقاذ إلى الأراضي الفرنسية- والتي بدأت فعلا بشائرها ولو باعداد قليلة- فرنسا ضمها الاقتصادي الحالي لاتستطيع إستيعاب هجرات جديدة. أضف إلى أن الاسلاميين الجزائريين يحملون عداوات لاحد لها لفرنسا، وذلك لأسباب تاريخية طويلة، ويودون لو تطعموا معها حتى يقضون على فرنسة الجزائر، ويحققون حلمهم في التعريب. علاوة على أن فرنسا تستعد لانتخابات رئاسة خلال ثمانية أشهر، وأي تغيير في موازين القوى في الجزائر يمكن أن يربك الاستعداد للحملات الإنتخابية الفرنسية، إن لم يؤثر بالفعل على نتائجها. هذه الأسباب مجتمعة- من وجهة نظرنا- هي التي ساهمت في تغيير السياسة الفرنسية تجاه الجزائر، بالرغم من أنه عقب مقتل الفرنسيين الخمسة، وبداية الإجراءات الأمنية خففت السلطات الفرنسية من حدة خطابها عندما ألحت على أن مساعدتها الاقتصادية تذهب للشعب الجزائري وليس للنظام، وألح وزير الخارجية الان جوبيه إلى مطالبة السلطات الجزائرية بالإستخدام العاقل للمساعدات، بالاضافة إلى حثه على توسيع قاعدتها.

هل ستنجح السياسة الفرنسية الجديدة في تفادي الخطر الإسلامي، وفي نفس الوقت مساندة السلطات الجزائرية- على الرغم منها- معتبرة أن تقدم الاقتصاد الجزائري من الممكن أن يساهم في حل الأزمة؟

هل ستستطيع تحييد الجالية الاسلامية المقيمة على أراضيها بنزع فتيل التطرف من بين صفوفها؟

هل ستتغير هذه السياسة ذاتها تبعا لتغير الظروف في المنطقة أو عقب الإنتخابات الرئاسية القادمة؟

اسئلة كثيرة، وملحة ولها وجاهتها، وكلها تعكس قلق الحكومة الفرنسية تجاه شبح الجزائر الإسلامي الذي على مايبدو لن يتلاشى في القريب العاجل.



للفنان فارس عن مجلة «الوسط»

اليســـار الروســى يــراجــع التــجــربــة (٢)

في العدد الماضي من اليسار بدأ «أحمد الخميسي» في مناقشة أوضاع ومستقبل اليسار الروسي بعد حوالي عشرة أعوام على بدء «البيرسترويكا» وفي ضوء العديد من الاسئلة المطروحه حول مصير الاشتراكية، وتكون حوالي ١٥ حزبا شيوعيا في روسيا، وقد عرض في رسالته الاولى حول هذا الموضوع البيان البرنامجي للحزب الشيوعي الروسي، أكبر هذه الاحزاب، ويضم حوالي نصف مليون عضو، وهو الحزب الثاني في البرلمان الحالي بعد حزب جيرنوفسكي.

ويواصل «الخميسي» في هذه الرسالة عرض برنامج هذا الحزب..

ثلاث مــراحل..
لاســتعادة روســيا للاشــتراكية



أحمد الخميسي

رسالة موسكو

يطرح الحزب الشيوعي الروسي ضمن وثيقة «المبادئ البرنامجية» تصوره لمشكلة الوضع الحالي في روسيا فيقول: «يتحدد الوضع الراهن في روسيا بالأزمة الشاملة التي تعم مجالات الحياة الاجتماعية الأساسية: الدولة والاقتصاد، السياسة والثقافة، المعيشة والاخلاق. وقد أدت السوق الحرة الى عملية تمايز اجتماعي بحيث، أصبحت **الأقلية الضئيلة تجني الثروات الطائلة عن طريق نهب الثروة القومية، بينما يعم إفقار الأغلبية الساحقة التي صنعت هذه الثروة بجهدها**، ويولد التمايز المتسارع الخصومة الاجتماعية والتنافر، بينما تجري عملية استغلال قاسية للكادحين ونهب الموارد الطبيعية لروسيا والطاقات الانتاجية والدفاعية والذهنية. ويتم تقويض نظام التعليم والثقافة والعلم مما يفضي الى **الانحطاط المعنوي للمجتمع خاصة بين الشباب**. وفي نفس الوقت حرم الشعب الروسي من حقوقه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الأساسية. وأمست **الجريمة الاقتصادية** أساسا لكافة أنواع الجرائم الأخرى. وتتشكل شيئا فشيئا طبقة البرجوازية الجديدة وعلى رأسها البرجوازية الكمبرادورية.

كما أقيم في روسيا - بعد تدمير مجالس السوفيت في سبتمبر وأكتوبر ١٩٩٣ - نظام السلطة الرئاسية الفردية، ورسخت ديكتاتورية رأس المال المندمج مع عالم الجريمة أقدامها في الواقع بحيث أصبح جهاز الدولة الفاسد يخدم مصالح مجموعات المافيا التي تسيطر على القسم الأكبر من اقتصاد البلاد. بينما تتم تنحية الشعب عن إدارة الدولة والرقابة على سلطتها.

وتتعمق يوما بعد يوم المواجهة بين النظام الحاكم والأغلبية الساحقة من السكان، وينضج وسط الجماهير إدراك أن **الأزمة الشاملة التي عمت روسيا هي نتيجة لتحطيم النظام الاشتراكي، والتدمير المقصود للدولة السوفيتية الاشتراكية الموحدة**. وقد وقع الاتحاد السوفيتي ضحية لخيانة القمة الحاكمة التي استولت على المواقع القيادية داخل الحزب الشيوعي السوفيتي، وضحية لنشاط القوميين الانعزاليين الذين تحالفوا مع أكثر قوى رأس المال الدولي عدوانية في سعيها لتقسيم العالم بشكل جديد.

إن البيريسترويكا التي أعلنتها النخبة البيروقراطية للحزب الشيوعي السوفيتي، تكشفت عن **مغامرة وتسلط على الوعي الجماهيري لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل**. وأدى ماسمي بـ «العقلية الجديدة» والاحاديث الديماجوجية بشأن «القيم الانسانية العامة» الى تمييع التصورات الخاصة بالمصالح الحقيقية للكادحين والمصالح الوطنية للبلاد. وقد ساعد على ذلك «الديمقراطيون الراديكاليون» الذين عملوا على أن تعلن روسيا والجمهوريات الأخرى «بيانات السيادة»، ودفعوا للمصادقة على اتفاقيات محمية «بيلافوجسكايا» (التي حل بموجبها الاتحاد السوفيتي في ديسمبر ٩١ - المترجم) **مهملين خلال ذلك نتائج الاستفتاء العام الذي صوتت فيه غالبية شعوب الاتحاد السوفيتي مع استمرار الدولة الاتحادية**. وقد أدى تفكيك الاتحاد السوفيتي الى نشوء خطر تفكك روسيا ذاتها، ومضاعفة حدة العلاقات القومية في كل مكان، وظهور الحروب القومية واقتتال الأخوة. ونحيت الدولة العظمى شيئا فشيئا عن الطريق العالمية للتأثير في السياسة الدولية، وأمست تتحول أكثر فأكثر الى ملحق لتصدير الخامات وسوق لتصريف السلع المتدنية الجودة. ولاتنفصل الأزمة التي تنشب في روسيا عن الأزمة العالمية العامة التي يحاول الغرب التغلب عليها على حساب بلادنا، ذلك **أن اضعاف روسيا عملية مربحة في استراتيجية النظام العالمي الجديد**. ويطبق خطر الاستعباد الاقتصادي والسياسي والرحى على العلاقة الوثيقة بين الشعوب المتعددة القوميات التي تربطها وحدة المصير التاريخي برباط واحد.

لقد أدى تفاقم التناقضات بين الدول الامبريالية في أوائل القرن العشرين الى توريط بلادنا في الحرب العالمية الأولى خلافا لمصالحها القومية والوطنية، لكن ثورة أكتوبر الاشتراكية أخرجت روسيا من تلك الحرب. وقد شكلت تلك الثورة وثبة نحو المستقبل، نحو الاشتراكية، وأثبت التاريخ أن الانتقال الى طريق التطور الاشتراكي مثل ضمانة لسلطة الشعب، وتجديد الدولة الروسية كيفيا، وانقاذ روسيا كدولة عظمى.

وبعد الضحايا الجسيمة التي أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية، وضع الحزب برنامجا للتطور المستمر ومضى في

طريق «السياسة الاقتصادية الجديدة» التي استبعدت بوادر حرب أهلية أخرى ووفرت الشروط اللازمة للمراحل التالية من بناء الدولة مثل كهربة وتصنيع الاقتصاد الوطني والتعميم الواسع لوسائل الانتاج في المدن والأرياف، وانجاز الثورة الثقافية. لكن تلك السياسة تعرضت لتغييرات جادة نظرا للخطر الخارجي الذي كان يحدق بالاتحاد السوفيتي. **وتمكن الشعب السوفيتي من الانتصار في الحرب ضد الفاشية بفضل الاقتصاد المخطط التعبوي، والتنمية العاصفة في مجالات العلوم والتكنولوجيا والعلوم وحماسة الروح الوطنية الشاملة والمآثر البطولية للشعب. وأعيد بناء الاقتصاد الذي دمر خلال الحرب خلال أقصر مدة ممكنة. وعلى الرغم من بعض التشويهات وانتهاك الديمقراطية والشرعية، فإن الجماهير حافظت على ثقتها في الاشتراكية** وعززتها. وقامت البلاد بقفزتها الى الفضاء الكوني وخرجت الى المواقع الامامية في العالم في عدد من قطاعات الاقتصاد الوطني. ولكن الاقتصاد التعبوي أخذ في نفس الوقت يتخلف عن متطلبات الثورة العلمية التكنولوجية التي شرعت تعم العالم، وصار يتحول شيئا فشيئا الى عائق في سبيل تنمية العديد من

مجالات الحياة الاجتماعية. ولم يتم تجسيد القدرات الاقتصادية للاشتراكية في ظروف الثورة التكنولوجية والمعلوماتية. **كما لم تحظ الظواهر السلبية بتقدير كاف لخطورتها مثل الوصولية والسعي للاثراء بكل الطرق وانعدام المسئولية وغياب المعارف. وبرزت التوجهات الرأسمالية الخاصة داخل المجتمع الاشتراكي.** وشرع القسم الأكبر الذي يتعرض للاستغلال داخل المجتمع يفقد ثقته في عدالة النظام القائم، كما أضعف قيمة المثل الاشتراكية والشيوعية في نظر الملايين.

وقد ارتبطت **الأزمة التي عمت المجتمع السوفيتي الى حد كبير بالأزمة داخل الحزب الشيوعي السوفيتي** الذي ظل حزبا **حاكما على مدى عقود طويلة**، وكانت أنشطة الحزب النظرية وأساليب ادارة الاقتصاد والدولة بحاجة خاصة للتجديد، **لكن الغطرسة الشيوعية للزعماء، الذين آمنوا بثبات مواقعهم زجت بالحزب الشيوعي السوفيتي الى وضع الحزب المفتت بنفسه، مما جعل هزيمته حتمية**

. وكان عدم المساواة بين «الفئات العليا» و«الفئات الدنيا» من الحزب يتجلى بوضوح متزايد، وارتسم بعمق بين انفصال الوصوليين عن ملايين الشيوعيين والكادحين. وتشكل داخل الحزب الشيوعي السوفيتي في واقع الأمر حزبان: **حزب البيروقراطية الحزبية، وحزب الجماهير**. وأدى ذلك الى أن الحزب الذي أخذ على عاتقه المسئولية عن كافة مجالات التطور الاجتماعي لم يتمكن من العثور على حلول للمشكلات الملحة. وبدت الهوة الواسعة أوضح ماتكون بين الكلمة والفعل، والوعود البرنامجية والتنفيذ. وقامت وسائل الاعلام التي أمست بين يدي المرتدين والديمقراطيين المزيفين باستغلال اخفاقات الحزب وأخطائه التي اقترفها في مجرى عملية بناء الاشتراكية لعرض القضايا عرضا مشوها. وتشوه وعي الجماهير الكادحة بشدة بالسيل الاعلامي المتدفق الذي صب في تشويه التاريخ السوفيتي، وجنبا الى جنب مع التأثير الايديولوجي والنفسي، تسنى **تجزئة الطبقة العاملة واستغلال جزء منها في الصراع السياسي ضد الشيوعيين والسلطة السوفيتية**. ونتيجة لذلك وقفت أغلبية الكادحين من الشعب موقف اللامبالاة من المصير الدرامي للحزب الشيوعي السوفيتي ومجالس السوفيتات. وأسفرت «**بيرسترويكا جورباتشوف**» التي استهدفت بالكلام تجديد الاشتراكية وتعميق الديمقراطية والتغلب على التشوهات والانتهاكات عن الابتعاد الفعلي عن الاشتراكية. فقد أعلنت البيرسترويكا المساواة بين كافة أشكال الملكية، ونسفت بشتى الطرق دور الشكل الأكثر حيوية وهو الملكية الاجتماعية، وأطلق ذلك أيادي رأس المال الظل، وفتح الباب للقوى المعادية للاشتراكية والشعب.

وجرى في تلك الظروف توفير الظروف للانتقال الى **احتكار الملكية الخاصة، والدمج بين البرجوازية الجديدة والموظفين الفاسدين**. وألحقت اصلاحات **يلتسين** ضربة قاضية باقتصاد البلاد عبر اطلاق الأسعار والتخصيص الذي تم بواسطته نهب الشعب، وتهريب رؤوس الأموال للخارج. وأسفرت الفوضى وعمليات التدمير وافقار الشعب عن انزلاق المجتمع الى هاوية الكارثة القومية. وجاءت أحداث أغسطس ١٩٩١، وأحداث أكتوبر ١٩٩٣ وتمرير الدستور الذي أقر الملكية الخاصة وسلطات الرئيس الفردية التي أيدتها أقلية من الشعب، جاء كل ذلك استكمالا شكليا للواقع الفعلي.

ومع ذلك فإننا نرى أنه من الممكن لروسيا بل ويجب عليها أن تتغلب على هذه الازمة ولكن لتحقيق ذلك لابد من وقف رسملة البلاد ووقف استعمارها، والقيام بالتحول نحو الاشتراكية.

ويرى الحزب أن هناك ثلاث مراحل سياسية لانجاز المهام المطروحة بصورة سلمية مطردة وهي:

(١) المرحلة الديمقراطية العامة وسلطة الشعب

(٢) مرحلة الانتقال الى الاشتراكية عن طريق استرجاع سلطة مجالس السوفيتات

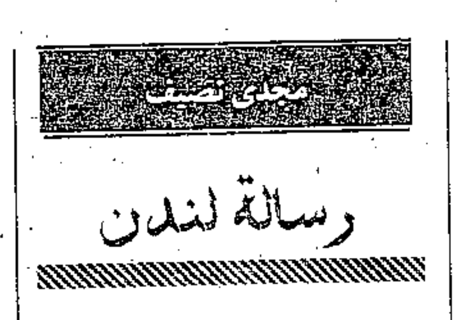
(٣) مرحلة التطور الاشتراكي.

ويسعى حزبنا في المرحلة الأولى لتشكيل حكومة ثقة شعبية بالتحالف مع الحركة الوطنية التقدمية بهدف تصفية الآثار والعواقب الوخيمة التي ترتبت على الاصلاحات، ووقف عملية تدهور الانتاج. ولابد في هذه المرحلة من إعادة المقدرات التي تم الاستيلاء عليها (التي خضعت للخصخصة) بصورة غير شرعية الى السكان. والعمل على اجتذاب الكادحين للرقابة على الانتاج وتوزيع الثروة القومية. **وتظل في هذه المرحلة تعددية الأنماط الاقتصادية التي فرضت على المجتمع** فرضا. وتقوم حكومة الثقة الشعبية بضمان أمن واستقلال البلاد عن السياسة الاستعمارية لصانع النظام العالمي الجديد، وتوفر الظروف للعمليات التكاملية بين الجمهوريات السوفيتية السابقة.

وفي المرحلة الثانية التي تحل بعد تحقيق قدر نسبي من الاستقرار يشارك الكادحون بأشكال متزايدة في ادارة الدولة عبر مجالس السوفيتات والاتحادات النقابية ولجان الاضراب وغيرها من الهيئات الاجتماعية لسلطة الشعب التي تخلقها الحياة نفسها. ويبدأ حينذاك الانتقال الى تغليب وتسييد النمط الاشتراكي في إطار الاقتصاد المتعدد الأنماط وتحويل الاقتصاد صوب تلبية الاحتياجات الاساسية للكادحين.

وفي المرحلة الثالثة من التحولات الاجتماعية يتم بناء المجتمع الاشتراكي الذي يستجيب لمتطلبات التطور المستقر للحضارة على أساس من القاعدة التكنولوجية والمعلوماتية مع إستخدام أفضل منجزات العلم والثقافة الوطنية والعالمية.

اليسار الأوروبى في ستراسبورج



منذ أول انعقاد للبرلمان- الاوربى **بستراسبورج** بعد الانتخابات التى جرت فى أواخر شهر يولية الماضى فى اثنتى عشرة دولة أوربية هى أعضاء الجماعة الأوروبية، كان هناك تحالف عريض لقوى اليسار. بعد أن ظن كثيرون انه قد انتهى أو على الأقل ضعف إلى درجة لا يستطيع معها الحركة إلا فى نطاق هامشى.

وقد خرج **جاك سانتير** من انتخابه يوم ٢١ يولية رئيسا للجنة الأوروبية ليحل محل الاشتراكى الفرنسى **جاك ديلور**، رجلا مهزوزا، بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من الفشل رغم اختيار الحكومات الأوروبية له كحل وسط. وكان فشله يعنى أن أوربا كانت على وشك أن تشهد مرحلة المعارضة العلنية من الجناح اليسارى لدور حكومات اليمين والشخصيات اليمينية فى مؤسسات «الجماعة الأوروبية». لكن الذى لاشك فيه الآن ان اليمين سيتقدم بعد نهاية الدور النشط لجاك ديلور.

ورغم أن اليسار لايشكل الأغلبية فى البرلمان الأوربى، بستراسبورج، لكنه يمثل أكبر المجموعات واكثرها تنظيما إلى درجة أن البرلمان يمكن أن ينقسم حول عدة قضايا عندما تثار ويتم التصويت عليها. فأحزاب اليسار الرئيسية فى أوربا: ألا وهى **الحزب الاشتراكى- الديمقراطى** فى المانيا وحزب العمال فى بريطانيا والحزب **الاشتراكى** فى فرنسا، تدخل معارك سياسية طاحنة ضد الاحزاب اليمينية الحاكمة فى الدول الثلاث، الآن، حيث الانتخابات العامة وشيكة. وهنا تتشابك الأهداف الاوروبية والقومية الداخلية. والمؤكد أنه تدور الآن معركة تشكيل السياسات القادمة فى «الجماعة الأوروبية»، والتى شهدت مفاجأتين حتى الآن.

الأولى هى الفيتو البريطانى حول اختيار **جان لوك ديهاينى** بديلا لجاك ديلور (ولنتذكر أن بريطانيا ترفض تطبيق الميثاق الاجتماعى للجماعة الاوروبية والذى يضمن حقوق الطبقات العاملة والفقيرة).

والثانية، هى الهامش الضيق للغاية الذى فاز به سانتير وهرب به من «فيتو برلمانى» آخر **بستراسبورج**

واذا كان **جاك سانتير** قد هزم، فقد كان معنى هذا هزيمة مستشار المانيا الدكتور **هيلمرت كول** الذى كان سانتير من اختياره، على أيدى النواب الاوربيين البريطانيين، فنواب بريطانيا من **حزب العمال** هم أكبر مجموعة منظمة وملتزمة داخل المجموعة الاشتراكية فى **ستراسبورج**.

وكانت أعلى المجموعات صوتا فى البرلمان الأوربى، فى إدانة الطريقة التى اختير بها سانتير وديهاينى معا. وهناك بطبيعة الحال فارق شاسع بين رفض رئيس الوزراء البريطانى زعيم المحافظين **جون ماجور** لديهاينى، وتصويت الاشتراكيين ضد سانتير. لكنهما يتفقان فى أن أسباب الرفض، هو الغضب من عدم أخذ رأى الطرف المعنى. إذ انه فى هذه الحالات ينبغى التوصل إلى اتفاق على الشخص بين جميع الأطراف.

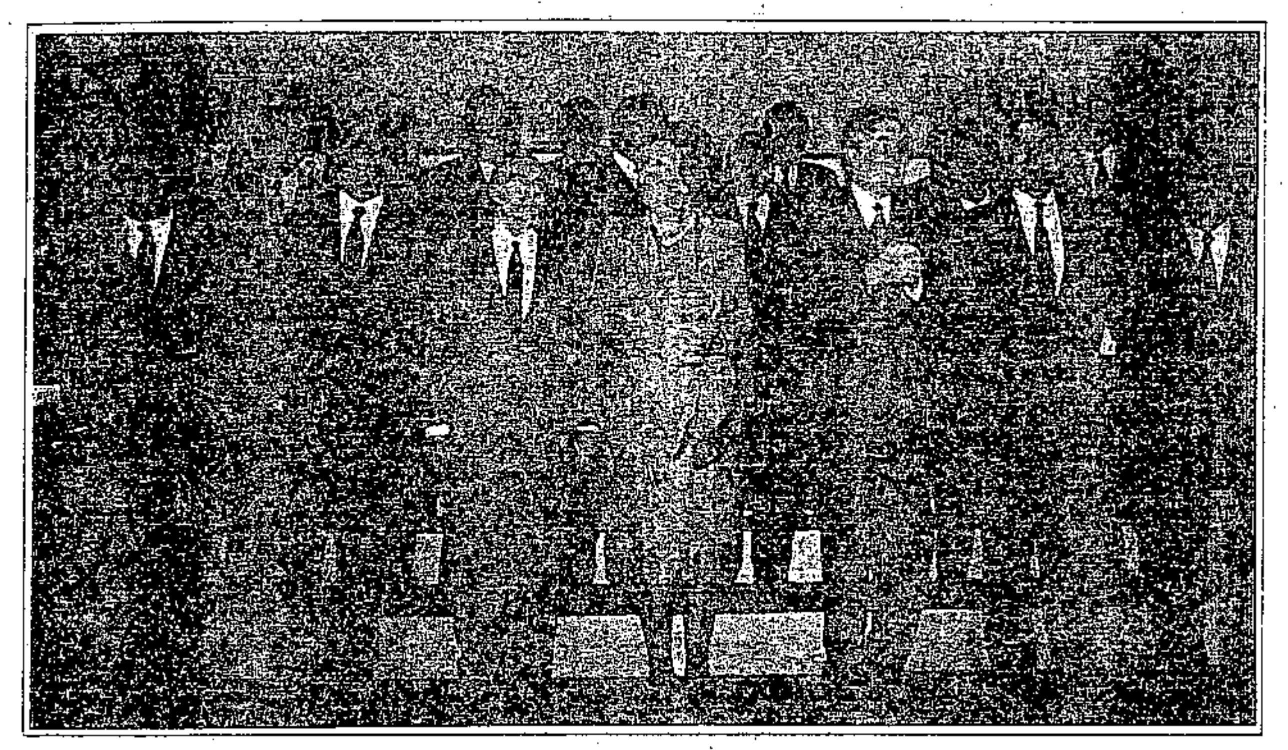
وقد ناقش الاشتراكيون المستشار **هيلموت كول** حول المرشحين بعد فشل **ديهاينى**، لكن دون جدوى. مما دعا زعيمة الاشتراكيين الجديدة فى البرلمان الأوربى **برلين جرين**، لأن تطلق على عملية اتخاذ القرار «انها غير شريفة وغير صالحة» حتى بعد أن تم اختيار **سانتير** وفوزه. وقد انقذ سانتير من الفشل، اصوات عدد من **الاشتراكيين اليونانيين والبرتغاليين والأسبان»** بعد أن لوى زملاؤهم المسيحيون- الديمقراطيون أيديهم. لكنه، مع ذلك نجح بهامش ضيق، لم يترك شكا فى أنه اختيار سيئ، وقد اضطر وزير الخارجية الألمانى **كلاوس كينكيل** أن يظل فى البرلمان الاوروبى ليشارك فى مساندة رجله ورجل كول: سانتير. وكذلك فإن نجاح سانتير بهذا الهامش الضيق، يعنى أن الألمان سيسيرون إدارة شئون الجماعة الأوروبية.

مرحلة جديدة

وتتحرك «الجماعة الأوروبية» إلى وضع جديد، فقد كان **جاك ديلور** هو رئيس «اللجنة الأوروبية»، المستقلة بكيانها عن الكيانات القومية والحكومات، وكان رجلا يساريا من الحزب الاشتراكى الفرنسى. كذلك كانت فرنسا- وألمانيا قلب «الجماعة الأوربية» تحكم كل منها حكومة تنتمى للوسط كانتا تعملان كوحدة واحدة ديناميكية. الآن، فان **سانتير** رئيس اللجنة- الأوربية هو شخصية مجهولة، وعامل غير معروف أين يقع.

وبالمثل سيكون هناك ثقل دولة واحدة، واتجاه سياسى واحد. واذا افترضنا فوز المستشار **هيلموت كول** نتيجة لصعود نجمه السياسى مرة أخرى، فى الانتخابات العامة فى شهر أكتوبر القادم، كما فاز حزبه فى الانتخابات الأوروبية، فمعنى ذلك أن اليمين سيهيمن على الساحة السياسية فى المانيا وفى أوربا فى الفترة القادمة، وفى شئونها السياسية. واحدى نتائج هذا الوضع أن مجموعات اليسار فى **ستراسبورج**

- أى البرلمان الاوربى، ستشعر ان من واجبها التأثير على ميزان القوى، خاصة تلك الأحزاب اليسارية الموجودة فى المعارضة.



الصراع بين البرلمان الأوربى.. ومجلس الوزراء.. والقمة الأوربية

وتستطيع هذه المجموعات استكمال طريق **جاك ديلور** الذى بدأه فى يناير عام ١٩٩٠، وكان يريد به منح «اللجنة الأوربية» سلطات أكبر لتتطور وتصبح هيئة تنفيذية اوروبية بالفعل، ويتضمن هذا اختيار اعضاء اللجنة ورؤسائها.

وعمر البرلمان الأوربى هذه السنة، خمسة عشر عاما. وخلال هذه الفترة كان التفكير فى زيادة سلطاته ،أكبر من الهيئات الأوروبية الأخرى فى بروكسيل، وفرق الحكومات القومية فى الدول الأوروبية الاثنتى عشرة اعضاء «الجماعة الأوروبية»، واستغرق الأمر سنوات ليتم انتخاب نوابه، بعد التهديد لأخذ القضية إلى «محكمة العدل الدولية». لكن بعد أن تمت الموافقة على ذلك عام ١٩٧٩، لم يحصل أبدا على سلطات تشريعية تمكنه من التأثير على سير الأمور فى أوربا. وكانت هناك عوامل عدة أدت إلى هذا:

أولا: الوزن الكبير لمجلس وزراء المجلس الأوروبى.

وثانيا: تحول ثمة «الجماعة» إلى هيئة - مؤسسية فى حد ذاتها.

وثالثا: قوة مجلس وزراء الجماعة فى ظل شخصية جاك ديلور.

وقد تحددت الأرضية التى ستدور عليها المعارك فى هذا الاتجاه. فسيدور القتال خلف الكواليس حول القرارات وما إذا كانت حول السياسات أم حول الشخصيات، وسيطالب النواب بالديمقراطية «والانفتاح». وبدأت بالفعل حملة «الجلاسنوست» فى بروكسل **وستراسبورج على السواء**. وعندما كان النواب الاوروبيون يطالبون بأن تكون للبرلمان «كلمة» عند اختيار رئيس اللجنة، فقد كان يطالب بسلطات ليست له قانونا، لكن عندما قال **هيلموت كول** أن «نيتر البرلمان الاوربى سيحترم»، كانت هذه سابقة يمكن استخدامها فى المستقبل. ويمكن أن يتحول «البرلمان- الاوربى» بالقوة التى تملكها الآن إلى أسلوب الكونجرس الامريكى ولجان استماعه، حيث يمكن مساءلة المرشحين لشغل الوظائف او الذين يشغلونها، بحيث يتم سحبهم إذا كان موقفهم ضعيفا فى هذه اللجان.

وألمانيا هى الآن رئيسة «الجماعة الأوروبية» فى الأشهر الست القادمة. وقد تجد نفسها فى محنة بسبب مقترحات العمالة التى قدمتها للبرلمان الأوربى، فلاشك انها ستواجه معارضة قوية، رغم مساندة حكومة المحافظين البريطانيين، وحكومة اليمين الايطالية. وتقدم المانيا كذلك بعض المشروعات إلى بروكسيل هدفها إعادة تشكيل عدد من السياسات الأوروبية لتفيد بون، وخاصة اتفاقية الدفع الاقليمية والاجتماعية.

ولاشك أن «البرلمان الأوروبى» الرابع له نقاط ضعفه. فمعظم النواب فازوا ولم تكن حملاتهم الانتخابية حول قضايا أوروبية. وفى معظم البلاد الاثنتى عشرة، كانت نسبة الذين صوتوا لهم قليلة. وهناك مجموعات الآن فى البرلمان الجديد. يمكن أن نقول سيئة ،أكثر مما كان فى البرلمان السابق: فاشيون جدد، نازيون، **متعصبون**. وهناك بالمثل مجموعات غير معروفة الهوية مثل هؤلاء النواب الأوروبيون- الايطاليون من حزب **سيلفيو برلسكونى** «فورزا ايطاليا». ومازالت الشئون البرلمانية تدور بين **ستراسبورج وبروكسيل** وفى تسع لغات تترجم اليها كل وثيقة مهما كانت صغيرة.

وهكذا يكافح «البرلمان الأوروبى» ،والنواب الاوربيون من أجل أن يكون للبرلمان دور فى التغيرات المقبلة فى أوربا عام ١٩٩٦، فى مجهود اكبر لوحدة أوروبية مع التنوع والتعددية، إذ ينضم اعضاء جدد إلى «الجماعة الأوروبية».

الفكر العربى
بين تفكك الحداثة وتجديد الاشتراكية

إذا أردنا اختزال مفهوم الحداثة فى جملة واحدة فستتحدد على الفور فى «ميلاد الفرد». إن مسيرة «الحداثة» الطويلة فى الغرب قد استغرقت ثلاثة قرون، بدأت من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر، ومرت بمحطات أساسية، وهامة، أسفرت كل محطة منها عن قيم ومفاهيم أساسية. كانت أهم ثمرة لتراكماتها مفهوم الحداثة الشائع جدا. وفى الغالب ماتكون معرفتنا به جزئية أو تتركز على وجه واحد من وجوهه المتعددة.

سيعتمد عرضنا هذا عن الفكر الغربى المعاصر وكيفية مواجهة مفكريه لأزماته على آخر ماصدر فى فرنسا فى الفترة الأخيرة من كتب بين تأليف وترجمة وندوات، وسينصب موضوع المعالجة على أهم الموضوعات المثارة حاليا فى الغرب أى **أزمة الحداثة، وربطها برؤية المفكرين الغربيين فى تجديد الاشتراكية**. إذ لايمكن على الإطلاق فصل أزمة الحداثة فى الغرب اليوم عن أزمة اليسار ذاته.

ماهى الحداثة؟

هى ماأسفر عن مجموعة المحطات الاساسية لمسارها، لتتحدد أخيرا فى «ميلاد الفرد». كانت **محطتها الأولى النهضة** حيث تمت العودة فيها لقيم روما وأثينا الوثنية، قفزا على قيم المسيحية الغربية **وتمثلت المحطة الثانية فى الإصلاح** وتم فيه الفصل بين الفرد المؤمن والمؤسسة الكنسية، وهو ما مهد الأرض للديمقراطية. **والمحطة الثالثة تمثلت فى الثورة العلمية والفلسفية** والتى أطاحت بالشرعية الدينية، وأعقبتها المحطة الخامسة التى تمثلت فى الثورة الفرنسية التى أطاحت بالفلسفة المدرسية التى كانت تحاول مصالحة العقل مع النقل، أى مصالحة أرسطو مع الكتاب المقدس اللذين كانا معيارا norme للحياة الفكرية والاجتماعية السوية. **والمحطة الرابعة تمثلت فى فلسفة الأنوار التى** أطاحت بالمؤسستين الرئيسيتين اللتين قام عليهما المجتمع التقليدى: أى الحق الإلهى والكنيسة. **وتمثلت المحطة الأخيرة فى الثورة الصناعية**، إذ كانت محطة حاسمة فى مسار الحداثة، لأنها أطاحت بطبقات المجتمع التقليدى والمحافظة (اقطاعيين وفلاحين وحرفيين.. الخ) وأقامت على أنقاضهم طبقتين جديدتين كليا وحديثتين حقا وهما **البورجوازية والبروليتاريا الصناعيتين** اللتين قامت على كواهلهما الحداثة السياسية والفكرية منذ أول ثورة صناعية فى إنجلترا فى عام ١٧٦٠، ودفع هذا الظهور جذور الحداثة الأساسية:-

الديمقراطية: أى فصل المواطن الحر فى حياته الخاصة، وفى أفكاره ومعتقداته وسلوكه العاطفى عن أن يكون «رعية»، أى متحدا عضويا بطائفته، بحرفته دون أى حق فى التمايز عنها.

العلمانية: أى فصل الدين عن الدولة وحق المواطن الملحد فى أن يكون مواطنا على قدم المساواة مع المؤمن دون أن يشعر بنقص أو مهانة.

حرية الفكر: طالما وجد الفرد الذى لم يعد جزءا لايتجزأ من العائلة، أو الطائفة أو الأمة. فمن حقه أن تكون له حياته الفكرية والجنسية الخاصة به، ومن حقه أن يعلن على الملأ فرديته وخصوصيته، وتميزه.

أين الأزمة إذن؟ محاولة لتوصيف الوضع القائم

يراها **الآن تورين(١)** فى الشركات عابرة القارات، وظهور الإستهلاك الضخم المتبوع بوسائل الإعلام الضخمة التى أدخلت فى حياة الناس عالم الرغبات والخيال مما أضر بالنزعة العقلانية الحديثة، ويؤدى لإنفجار الحداثة. عندما تخلى المجتمع عن كل مبدأ للعقلنة سواء كانت توظف كسوق، أولا تحدد الابهوية تاريخية، وعندما لم يعد الفاعلين الا مراجع ثقافية مشتركة أو شخصية. ويعترف تورين بأنه لا شك أن هناك تغيرا جذريا قد تم لصالح المجتمع الليبرالى، وانعكس بأثره على التركيبة الكلاسيكية لليمين واليسار، بحيث لم يعد اليمين يدافع عن أناس فى أعلى السلم الاجتماعى، ولكن فى مقدمته، ويضع ثقته فى استراتيجيته لتقليل التكلفة الاجتماعية للتغيير، **واليسار يدافع الآن عن المهمشين أكثر من دفاعه عمن فى أسفل السلم الاجتماعى، وأصبح أكثر حساسية** لعدم المساواة المتنامى بين الشمال والجنوب، **والى التهديدات التى تؤثر على كوكب الأرض، والى التهميش** لعديد من المستويات **الاجتماعية والثقافية**.

وهناك رؤية أخرى يوردها تورين فى كتابه ولايتفق معها، وهى رؤية البعض للنزعة الليبرالية المتطرفة حين يصبح المجتمع اشبه بالسوق حيث تبدو الرهانات الإيديولوجية وحتى السياسية وكأنها قد اختفت، ولم يعد يحيا سوى النضال من أجل

التفرد، والبحث عن الهوية ، إذ حلت مشاكل ليست اجتماعية كل المشاكل الإجتماعية ، مثل مشاكل الفرد والكركب ، وهى تتجاوز الحقل الاجتماعى والسياسى من أسفله إلى أعلاه وتفرغه تقريبا من كل محتواه. هذا المجتمع لايبحث فى أن يكون محل تفكير، ولكنه يحترس من الأفكار الكبيرة والخطب العظيمة التى تعكر صفو نزعته البرجماتية وأحلامه. لايتفق تورين مع هذه الرؤية لأنها تقع ضحية نزعتها الأداتية ، حيث تختزل المجتمع فى سوق وفى مد دائم من التغيرات ، ولاتعير انتباها للتفرقات التى تفلت من هذه النزعة الإختزالية، وهو يرى أن هذه الرؤية لاتشرح البحث الدفاعى عن الهوية ولا إرادة التوازن، كما أنها لاتفهم الشعور الوطنى ولاثقافة المهمشين، ويصفها بأنها أيديولوجية النخبة.

أكثر من ذلك فان تورين يرى أن النزعة الليبرالية لاتعبر إلا عن وجه واحد من الحداثة المتفجرة ، وهو وجه الفعل والتغيير المنفصل عن الوجه الآخر وهو وجه الهوية المقطوعة عن كل فعل اجتماعى، وعن كل ذاتية جنسيات مخترقة، وعن الجيتو، وعن العصابات العدوانية ، وعن الإشارات التى تتسجل على الحوائط، أو عربات المترو. هوية غير قابلة لفك رموزها ، إنها بالفعل هوية غير محددة. وإذا كان المجتمع الأمريكى قد باهى كثيرا بنموذجه فهو يقترب بسرعة من المجتمعات الأوربية التى أخذت بأعتبارات اجتماعية. وهنا يتساءل تورين عن مصير العالم الثالث ويقول: يبدو أن دوله سائرة نحو عملية ثنائية بسرعة تضاعف من نسب الفقراء، وتباعد أكثر فأكثر من المستويات التى تشارك فى النظام الإقتصادى العالمى. ويحاول تورين وضع توصيف جديد لهذا المجتمع الحديث ، حيث أن **المهمشين عن الحركة الدائمة للإبتكارات والقرار ماعادوا يعتمدون على ثقافة طبقة ، على مستوى عمالى أو شعبى ، إذ ماعادوا يتحددون بما يفعلونه، ولكن بمالا يفعلونه كالبطالة والهامشية.** إذ كما يرى فمن لايتحدد بواسطة نشاطه المهنى، يؤسس أو يعيد تأسيس هويته بداية من أصوله. عندما لايصبح الإقتصاد سوى مجموعة الإستراتيجيات الخاصة بالمؤسسة، وعندما لم يعد الفاعل سوى لافاعل فان العاطل، والمهاجر أو الطالب يتخوف على مستقبله، ويجد نفسه كلية منفصلا عن نظام الفاعلين . ويرمى تورين إلى أن تسمية **«الفرد سوقى» للعالم الثالث»** tiers monde كان الغرض منها أن تلحق هذه الدول بالقسم الآخر من العالم . أما فى إطار التسمية الحديثة اليوم: العالم الرابع quard-monde فهى تعكس الإحباط الذى حل محل الأمل فى الدخول فى عالم الانتاج والإستهلاك الحديث.

ويصف **موريس بيليه (٢)** الوضعية الراهنة حين يختزلها فى الاقتصاد الذى يعتبره «جنون» ، مبنى على الشهوة والرغبة القابلة للحساب، وهو يسميه سيد السادة، بل وخميرة كل سلعة ومنتج للأرباح. ويرى أن هذا قد أوصلنا للبطالة عندما تضاءل الاستهلاك، **مما أدى للعودة للأنظمة الشيوعية أو لقادتها فى بولندا، وليتوانيا والمجر، عندما كنس الضمان الإجتماعى بعاصفة السوق.**

ويصل الأمر إلى أكثر من ذلك حينما يتساءل **كريستان كومباز(٣)** عما إذا كانت فرنسا قد باعت روحها للأمريكان؟ ويوجه الكاتب خطابة لزميل مجرى يستحلفه فيه **«بإنقاذنا من الطاعون الموحد الذى دمرنا تقريبا، ويهدد بدوره البلدان التى تخلت عن الشيوعية. هذا الطاعون الذى يهاجم الذكاء ، ويبتلع الثقافات باسم نزعة عالمية ، وبالتحديد نزعة عالمية أمريكية»**، ويحلل كومباز فى كتابه بلغة ساخرة ، أعراض المجتمع الغربى الراهن فى مجالات النشر والسينما والتليفزيون، ويتطرق للعادات ، ويتوجه لمحدثه مستنجدا **«أنتم الذين لم تكونوا قد سرقتم بسنوات الشيوعية ، ساعدونا على المقاومة)**. حيث يرى أن المقاومة تصبح أهم كلمه فى ظل طاعون يتغذى على التواطؤات ، ويتحرك بالإبهار، ويكشف عن دور وسائل الأعلام فى تنميط رأى الناس، والدفع بالأكاذيب باسم الحرية.

وظهرت أربعة كتب حديثا مترجمة عن الأمريكية (٤) تعكس جو الأزمة هذا الذى يعيشه المجتمع الأمريكى حاليا، وتحاول من خلال البحث عن أخلاق جديدة لاتعتمد فقط **جون ديوى، أو وليم جيمس أو إمرسون**، بل تمتد فى مجملها إلى **كانط** لتستطيع أن تتخطى أزمة المجتمع الأمريكى حيث تتهدد القيم التقليدية القائمة على العلم والديمقراطية فى مقتل لأول مرة منذ ثلاثين عاما.

وهاهو جاك دريدا (٥) يرفض باسم العدل إنهاك العالم باللانظام الدولى الجديد، وبديون العالم الثالث، وبتهديدات وسائل الإعلام للحرية، ولايتردد دريدا فى أن يعلن أن هذا العصر عار من الشرف ، لأنه يراه يسير منهكا فى طريق مسدود، وأنه فقد مع التاريخ (الذى يعتبره منظور الرأسمالية الجديدة «نهاية» مع تهلل مشكوك فيه) القدرة على تخطى عثراته، **ويرى أن إنتصار الديمقراطية الليبرالية أدى للعنف ، والظلم ، والتهميش وجوع عالم منهك.**

ماالذى حدث
وعلى أى نحو؟

هذه الأزمة القائمة التى عرضنا لها جديرة بأن تجعلنا نعود للوراء ، لنرى كيف يرى ويقيم الغرب ذاته ولما اوصله إلى أزمته الحالية بشقيها؟

من مقاربات **آلان تورين** الإجتماعية التى تهتم لحد كبير بالتاريخ. يرى أن النزعة التاريخية تؤكد أن الوظيفة الداخلية لمجتمع ماتتضح عن طريق الحركة التى تقود المجتمع نحو الحداثة ، وأن كل مشكلة اجتماعية هى فى التحليل الأخير نضال بين الماضى والمستقبل. وحركة التاريخ تصبح فى نفس الوقت معناه واتجاهه، إذ أن النزعة التاريخية كانت نزعة إرادية أكثر من أن تكون نزعة طبيعية. وبهذا المعنى فان فكرة الذات تتماثل فى حركة التاريخ: ولكى يفهم تورين ماحدث يحاول توضيح صورة الفكر الإجتماعى الغربى فيما قبل البراكسيس «فلسفة الممارسة» عند ماركس ، اذ يرى أن النزعة التاريخية تتسم بفكرة مسيطرة وهى هدم النظام القديم ، والبحث عن نظام جديد، ويجد أن هذه الفكرة لاتبدع أى علاقة جديدة بين التقدم والإندماج الإجتماعى ، وعلى العكس فهى تتخوف من النزعة الفردية المنتصرة وأخطارها، ومن هنا فهى تبدع نظاما جديدا، ومبدأ جديدا للاندماج الإجتماعى. وهو يشرح كيف أن هذه المسألة قد شغلت علم الإجتماع المنتسب **لاوجيست كونت** وكيف تخطاها (النزعة الفردية) بالعبور من الأنا إلى الثمن. ومن هنا حل الدين الإنسانى محل الدين السماوى، وهو مايعتبره تورين نوعا من يوتوبيا الإشتراكية يحمل فى ذاته مفهوما إجتماعيا ووظيفيا محضا للإنسان.

إرادة الجمع تلك بين العقل والأيمان أثرت على **دوركايم** الذى تساءل عن كيفية اعادة بناء النظام فى الحركة فى مجتمع نفعى وفى

إطار تغيير مستمر. الفكرة السابقة مع تبني فكرة المجتمع العضوي هو ما أدى بالوضعيين إلى أن يشتمتوا الدين الإنساني لديهم في المصالحة الصعبة بين الحق الطبيعي والمصلحة الفردية. ويرى أن **هيجل** كان على العكس إذ وجد أن التاريخ ينشط بعمليتين متكاملتين وهما التمزق، والإندماج. هذا التمزق، وولادة عملية تحقيق الذات يقود أيضا من خلال التأملات إلى إندماج الإرادة والضرورة حتى الوصول إلى مصالحتهما الكاملة، وفي هذه اللحظة توجد «**الحرية كحقيقة وكضرورة مثلما هي إرادة ذاتية**». وإذا كان هيجل استطاع تخطي الثنائية التي هيمنت على التفكير الفلسفي لكل من **ديكارت وكانط**، إلا أنه وقع في ثنائية أخرى أكثر خطورة، حيث لم يعد الفرد هو الذي يحمل القيم الكونية، بل الدولة هي التي تحقق هذه القيم في التاريخ، وهي التي تتحكم في المجتمع المدني.

ويرى تورين أن فلسفة هيجل تلك والتي أختلف عليها اليمين واليسار كانت صعبة في التطبيقات التاريخية دون النظر في تأكيد الذاتية والحركة نحو الشكلية وهي تتعارض مع هذا الذي يقطع وحدة الذات والتاريخ والتي تحلم بهما النزعة التاريخية. هذا الانفجار الذي وجد نفسه في الماركسية، والتي هي حتمية إقتصادية، وفي نفس الوقت نداء للحركة المحررة للبروليتاريا، ويصنف تورين الفكر الغربي على نحو يضع فيه سيادة التراث في مواجهة العقل والنزعة النفعية في مواجهة الحق الطبيعي في القرنين السابع والثامن عشر، والنزعة التاريخية التي أبتلعت الذات في العقل، والحرية في الضرورة التاريخية والمجتمع في الدولة بوضعها في القرن التاسع عشر. ويرى أن هم ماركس كان إعادة إيجاد تطبيقات وراء المقولات المجردة للدين، وللقانون، وللسياسة. إذ أن ماركس كان يتحدث عن «النزعة الانسانية الايجابية» والتي ستولد من «الغاء الحتمية المفتعلة للعالم الموضوعي» ويرى تورين أن ما كان يلاحظه ماركس في عالم صناعي هو اختزال الإنسان في حالة البضاعة، حيث تم تدميره عن طريق النقود، ومن هنا كان اهتمامه بهذه الذات، هذا الكائن النوعي أو الإجتماعي المغترب والمستغل. فقد كان ماركس ينفي كل مرجع بعيد الإنسان لكائن معنوي كموضة القرن الثامن عشر، كما أنه ينسف أيضا الحركة الإجتماعية التي تقودها قيم الحرية والمساواة. فكما يرى تورين أن ماركس الذي جمع بين القائد النشط في صفوف الأممية العمالية، وفي نفس الوقت المفكر رأى أن الاغتراب الكامل يعيق العمال عن أن يصبحوا المناضلين لتاريخهم الخاص وأن تحطيم سيادة الرأسمالية تأتي عن طريق إلغاء الطبقات وبانتصار الطبيعة ولأن ماركس يدعو إلى الطبيعة أكثر من الفعل الإجتماعي كقوة قادرة على تخطي تناقضات مجتمع الطبقات فهو أكثر قربا من الفلاسفة الذين دعوا لهدم فكرة الحداثة.

ومع ذلك فإن تورين يرى أن ماركس **حديث إلى أعلى درجة**، لأنه حدد المجتمع كمنتج تاريخي للنشاط الإنساني، وليس نظاما معدا حول قيم ثقافية أو حتى في درجات إجتماعية. ولكنه لم يطابق الرؤية الحداثية في النزعة الفردية، على العكس فالانسان الذي يتحدث عنه هو أولا الإنسان الإجتماعي، المحدد بموقعه في عملية الإنتاج، داخل عالم تقني، وفي إطار علاقات الملكية، إنسان محدد بعلاقات إجتماعية أكثر مما يحدد بالبحث العقلي للمنفعة. ويعترف تورين بأن ماركس لايدافع عن حقوق الانسان، حيث أن الخطوات التي قادت تفكيره المرتبطة بالنزعة التاريخية لايمكن أن يتبدى فيها الفرد سوى من حيث هو بورجوازي أو عامل. فالنزعة التاريخية قد تخلت عن إله المسيحية وحلت محله أولا الارادة البسيطة في توحيد التقدم بالنظام ثم بأكثر عمقا لدى هيجل عن طريق الجدل الذي يقود لإنتصار العقل المطلق، والذي حوله ماركس بتقريبه للممارسات الإقتصادية والإجتماعية إلى دفعه للطبيعة وللعقل قالبا للدفاعات التي بنتها الطبقة المهيمنة وعملاؤها. بالفعل إن اختفاء فكرة الله ورفض النزعة النفعية الاجتماعية فتحت طريقين لإثبات الحرية: إما العودة للكائن عن طريق الفن، والجنس، والفلسفة، أو تأكيد الذات في حريتها مما سيكشف عن سخرية إذ أن هذه الحرية لم تتجسد في معارك ضد القوى المهيمنة. وبعدما أضافه **لوكاتش** فإن البراكسيس ليس مجرد دفاع عن مصالح ولاقلب أوضاع مسبوق بمثال، إنه تطابق لمصالح طبقة ومصيرها مع ضرورة تاريخية. إن الوعي لذاته هو الحزب الثوري الذي يستطيع قلب الأوضاع ويحول طبقة مغتربة إلى أقصى حد إلى فاعل ثوري قادر على الإلغاء الحتمي لمجتمع الطبقات ومحررا للإنسانية.

ومع هذا فإن **تورين** يفاجئنا بموقف آخر تجاه الثورات، حيث يرى أنها أدارت دائما ظهرها للديمقراطية فارضة وحدة لايمكن أن تكون سوى ديكتاتورية على تنوع المجتمع المنقسم إلى طبقات، ويرى أن عصر الثورات قد قاد إلى الارهاب وقمع الشعب باسم الشعب والحكم بالإعدام على الثوريين باسم الثورة، ولأنها أكدت وحدة الحداثة والحشد الاجتماعي فقد قادت إلى الإخفاق الاقتصادي واختفاء المجتمع الذي التهمته الدولة. وهو يرى أن واجب المثقفين اليوم هو الإعلان عن أن أكبر استخلاص تاريخي كان حلما خطرا وأن الثورة كانت دائما نقيض الديمقراطية. وفي ختام رؤيته في وصف ماحدث يتساءل تورين إن كان في إمكاننا الوصول لنوع من المجتمعات حيث الحداثة تكون محددة ليس بمبدأ وحيد وشمولي ولكن على العكس محدودة بتوترات جديدة بين العقلنة وعملية تحقيق الذات.

وفي ندوة عقدت بالسوربون في شهر مايو ١٩٩٠ تحت عنوان: «**هل هي نهاية الشيوعية؟ ماذا عن الماركسية اليوم؟** (٦) تطرق **جان كينيو** إلى ضبط ثنائية بين المجتمع الروسي والمجتمع الغربي الرأسمالي الذي شكل القاعدة الاساسية لنظرية ماركس النقدية، حيث ركزت النظرية على محاور ثلاثة **الأول**: أغتراب الفرد داخل المجتمع الرأسمالي، **والثاني** علاقة الهيمنة (مهيمن ومهيمن عليه)، **والثالث** علاقة الاستغلال، ويرى أن تحولا جذريا لدى ماركس- كماهو معروف- يستلزم القضاء على هذه العلاقات، ويرى أن المجتمع الروسي لم يكن قد بلغ بعد مستوى التطور الذي بلغه المجتمع الغربي، حيث لم يكن المهيمن الوحيد في روسيا هو التناقض بين رأس المال والعمل المأجور، ولهذا أحال ما حدث تاريخيا في روسيا إلى ردة الفعل ضد التخلف الإجتماعي وسياسة الاستبداد القيصري وبهذا يرى أن بوادر الفشل ماديا وتاريخيا كانت كامنة في التحول ذاته. بحيث لو تم هذا التحول من الغرب لكانت الاساليب النضالية والنتائج نفسها مختلفة، وربما أدى هذا إلى انفتاح الفرد كما يتصور فرويد، حيث يدعو كينيو إلى ضرورة التكامل بين ماركس وفرويد.

وينصب نقد **جورج لابيكا** - في نفس الندوة- على المرحلة الستالينية، حيث ركز نقده على ماحدث في النزعة المردودية -pro ductirsne التي سادت المشروع الستاليني إذ كانت هذه النزعة سمة أصيلة للبورجوازية في مرحلة مراكمة رأس المال، حيث كانت الدولة فاعلا إقتصاديا. وفي هذا الإطار يفهم الحضور الدائم لجهاز الدولة في كل المسار الستاليني.

وفى نفس الندوة أيضا يتصور **روبير بلاك بيرن** أن ماحدث كان بسبب الخروج عن فكرة ماركس وانجلز الاساسية المتمثلة فى التأكيد على أن رأس المال وتطوره هو الشرط الأساسى لبناء المجتمع المستقبلى. وهذا البناء يكون وليدا لتناقضات وصراعات إجتماعية داخل عدة بلدان متطورة على الأقل. ويرى لهذا من الوهم تصور بناء مجتمع اشتراكى داخل بلد واحد، وإن كان كبيرا، أو عدة بلدان غير متطورة، ومن هنا يعزو فشل **التجربة السابقة لتخلف المجتمع الروسى وتقوقع المسار البلشفى فى بلد واحد**، ويذكر فى نفس الوقت بموقف **روزا لوكسمبورج** حين حذرت البلاشفة من خطر غياب الديمقراطية عن الاشتراكية، بحكم غياب القاعدة المادية الضرورية لها. بالإضافة إلى أن **لينين** و**تروتسكى** كان يقران بأن تجربتهما محكوم عليها بالفشل إذا لم ينقذهم الحريق الأممى.

وفى نفس الندوة حاول **جاك بيديه** الأهتمام بالكيفية التى بين بها ماركس سمة الإجتماع الرأسمالى، والتى تفرده من بين سائر أنماط الاجتماع السابقة عليه. هذه السمة تتمثل فى تلك الصيغة التعاقدية التى تتحكم فى تشكيل علاقة الهيمنة والإستغلال التى تؤسسة، وهو يحاول إعادة النموذج مرة أخرى لكى ينجح- فى رأية- التقليد الماركسى الذى طالما أدرك- بتأثير من فلسفة تاريخية موسومة بالخطية والغائية- التميز بين الرأسمالية والشيوعية، بوصفه تتابع حلقات، وهو يرى أنه من الأولى بلورتها عبر صياغة جدول ينهض بمهمة تعريف مجموع البنية المجردة للعالم الحديث والتى تطرح فى ثناياها مسألة المجتمع العادل-. ويربط بيديه مثل توريه الموضوع بأزمة الحداثة حيث وجد أن الشيوعية المتحققة تاريخيا لم تغادر الأفق الحداثى المأزوم بحكم محافظتها على التقسيم الاجتماعى «حكام ومحكومين». وهو يرى أنه لاينبغى اعتبار إقتصاد السوق مرادفا للطبيعة الانسانية ولاالليبرالية وضعا خلاصيا. وفى تقديره **أن خطأ ماركس يتمثل فى إعتباره الاشتراكية قاعدة لعالم مختلف، لعالم برئ من اقتصاد السوق، ذلك** لأن الإقتصاد المخطط هو الآخر حامل لمبدأ إحتكار حق ممارسة السلطة على الدورة الإنتاجية، **وبهذا يبدو الحزب الواحد بوصفه المؤسسة الضامنة لهذه السيطرة الطبقية، موحدة وتوحد الحزب هما المرادفان لوحدة وتوحد** المخطط.

وفى كتاب الأمريكى **ريتشارد بيب** عن الثورة الروسية (٧) يعود بنا حتى إلى عام ١٨٩٩ حيث عمت الفوضى الجامعة الروسية، وينتقل لعام ١٩١٧ حيث يصف الوضع فى روسيا بأنه ظل ملكية وراثية. ونبلاء أرض كانوا فى طريقهم للاختفاء، بحكم الضغوط الاقتصادية والرفض الفلاحى لهم.. وكان رب العائلة يملك السلطة على الأشخاص والاملاك، وكان المنزل يتحلل عند موته. ولم يعرف الفلاحون فى هذا الجو مايسميه النزعة الوطنية (الاخلاص الشخصى للامبراطور)، ولا الشرعية. إذ كانوا يعتبرون الأوكازاز -ou kascc ليست كالقوانين ولكنها كالفرمانات الصالحة لمرة واحدة. وأعقب هذا صعود الانتليجنسيا وظهور مثقفون عطشى للحكم ممن كانوا يعتبرون أنفسهم ليبراليين وقد ظلوا فى أغلبهم ملكيين حاول الحكم أن يصالح بين البيروقراطية اللاشعبية ولكن ذات الخبرة، وبين الانتيلجنسيا الليبرالية ذات الشعبية ولكن عديمة الخبرة، وكانت آخر محاولة فى ١٩١٥ والتى أعقبها سقوط نيقولا الثانى.

ويحاول الكاتب تتبع الثورة البلشفية يوما بيوم، فيجد أن بداية الأحداث كانت عقب إضطرابات الجنود ذوى الأصول الفلاحية لأسباب إقتصادية، ولقد أفضى إبعاد القيصر إلى الوصول لنظام «السلطة المزدوج» للجنة المؤقتة للجمعية الوطنية (الدوما) و إقامة حكومة مؤقتة مع اللجنة التنفيذية للسوفيتات. واستطاع البلاشفة أن يحوزوا على اتفاق الجميع على حكمهم باسم السوفيتات، ويرى **بيب أن اكتوبر لم تكن ثورة بل انقلابا تم لحساب لينين عن طريق لجنة عسكرية ثورية، وأنه بعد ذلك فقط بدأت** ثورة **ثانية**- ويوضح الكاتب بالوثائق (وما أكثرها فى كتابه) أن لينين كان يخشى قيادة بلد نحون الخراب، وأنه كان لديه موجه من الإحساس ببعض الندم الذى عبر عنه فى نهاية حياته. ويلجأ الكاتب لعلم النفس ليصف لينين بالجنون كإنسان كان مسكونا بكراهية لا محدودة لهؤلاء، الذين أفشلوا حياته المهنية ولفظوا عائلته، خاصة بعد إعدام أخيه الأكبر، إذ عند سماعه كلمة بورجوازى يبادر دون تفكير بكلمة «إقتلوه». كما يرى الكاتب أن لينين قد أقر فى المؤتمر الحادى عشر بأن البروليتارى الحقيقى- حسب ماركس- لم يظهر بعد فى روسيا، مما جعل رفيقه **شليا بنيكوف** يبادر: أسمح لى أن أهنئك لكونك طليعة لطبقة غير موجودة.

وعلى عكس مواطنة الأمريكى يرى **بوريس كاجارليتسكى (٨)** فى كتابه عن المثقفين والدولة السوفيتية أن **إنتليجنسيا على النمط الأوربى قد تطورت فى إطار دولة أسيوية، واستطاعت جلب الحداثة فى دولة متخلفة، وهو يضع لينين فى زمرة هؤلاء المثقفين، ويعتقد أن فلاديمير إيليتش لم يكن عدوا لدودا للحرية.** وحسب مايرى أن الفساد أستقر حينما أصبحت البيروقراطية قوة سياسية وأن لينين كان يرى أن الثقافة ينبغى لها أن تكون الدواء لشر البيروقراطية إلا أن هذا كان متأخرا جدا.

آفاق المستقبل

لعل ماأوردناه يجعلنا نتساءل عن المصير، وعن الآفاق المستقبلية فى ضوء الرؤى و التحليلات السابقة وهى كثيرة ومتنوعة، بل وأحيانا متناقضة. وتلك سمة أساسية للفكر الغربى الذى تميز دائما بالتنوع والإختلاف والتناقض، ولعل هذا أهم ما أنجزته الحداثة ذاتها فى الغرب، حتى وهو على أعتاب التحلل والإنهيار.

يفاجئنا **آلان تورين** بعد انتقاداته العنيفة السابقة للحداثة، عندما يرى أن نقد الحداثة لايقود فى الغالب لتركها، ولكن طبقا للمعنى الأصلى لهذه الكلمة فصل عناصرها لتحليلها، وتقييم كل منها بدلا من ترك النفس مغلقة داخل كل أو لاشئ والذى يجبر على قبول كل شئ بسبب الخوف أو فقدان كل شئ. فالحداثة كما يراها تورين مفهوم نقدى أكثر منه بنائى، وهو يدعو إلى نقد ينبغى هو نفسه أن يكون إلى أقصى حد حديث، مما يحمى ضد الحنين للذكريات التى نعرف أنها تأخذ بسهولة دورا خطيرا- وفى نظره فالمراحل الثلاث للأزمة هى أولا إنهاك الحركة الإستهلالية للتحرير، وثانيا فقدان معنى ثقافة كانت تشعر بأنها منغلقة فى التقنية وفى فعل أداتى، وثالثا فى فصل الكنيسة عن الدولة حدث فصل آخر أكثر جذرية وهو فصل المجتمع عن الدولة مما «نحى»عن فكرة المجتمع ذاتها طابع المجموع، والنظام أو الجسم الاجتماعى، مما جعل الفكر الإجتماعى يجد نفسه بعيدا عن نقطة إنطلاقه. ويحاول تورين أن يصف الإنفجار الحالى المعروف بأسم تفكك الحداثة فى الآتى.

١- الأنثروبولوجيا الجديدة حديثة فى

نضالها ضد المسيحية ، وضد الحداثة، عندما تغيب الكائن التاريخي عن الإنسان في خدمة طبيعتها الأنثروبولجية، النضال الأبدي للرغبة والقانون.

٢- ارتبطت العقلنة الصناعية بالعقل العلمي والتقني، وتحدد الاقتصاد في الانتاج و الاستهلاك الجماهيري الذي هيمن عليه السوق والتسويق ، حيث أصبحت العقلانية أداتية.

٣- أصبحت المؤسسة (الشركة) مركزا للقرار حيث أصبح يدور فيها الصراع الاجتماعي.

٤- اختلطت الصراعات الاجتماعية في الغالب بالصراعات القومية، وأضيفت اليهما أخيرا فكرة إحياء الهوية الثقافية.

ويضيف أخيرا أن القوى الأساسية التي سيطرت على المسرح الاجتماعي والثقافي في القرن الماضي هي: الجنسية ، والاستهلاك السوقي، والمؤسسة، والأمة ، ورغم هذا لوحظ أننا نعيش في مجتمع منكسر، بل ولامجتمع حيث الشخصية والثقافة والاقتصاد والتاريخ ذهب كل منها في إتجاه يبعده عن الآخر مما خلق شكلا من عدم الإتساق وأدى إلى تفكك الحداثة الكلاسيكية. ويرى تورين أن ماركس يظل تاريخانى لرؤيته أ ن الحياة الاجتماعية ليست صراعا بين قيمة الاستعمال وقيمة التغير، بين قوى الانتاج في مقابل العلاقات الاجتماعية للانتاج، دون الإهتمام بذات عاملة ، ومع ذلك فتورين يرى أن ماركس أول أكبر مثقف مابعد حداثي لأنه ضد إنساني ، ولأنه حدد التقدم كتحرير للطبيعة ، وليس كإنجاز لمفهوم عن الإنسان. ومن هنا فأهمية الفكر الماركسي لدى تورين تظهر في القوة النقاشية والسياسية غير المسبوقة تحديدا، حيث أن الفكر الماركسي يهاجم جبهة النزعة الاخلاقية للخيريين و الإصلاحيين والطوباويين وخاصة أنه يركز حركة العمل السياسي في أيد ثورية وضد النخبوية. وإذا **كانت العودة المقترحة لفكر ماركس والتي أقرها** تورين **لكي يستطيع تخطي أزمة الحداثة التي تشغله** ، **هي عودة لماركس الفيلسوف** ، **فنجد أن جاك بيديه يؤكد أن ماركس لم يبدع فلسفة** ، **وأنه لايقبل للماركسية أن تشغل وظيفة الفلسفة**، ولهذا في تقديره أن من شأن المحاول لتلافي هذا الفراغ أن يتجه إلى النجاح في توفير سيادة إنسانية على شروط إعادة إنتاج الحياة وبقاء النوع الإنساني . وهكذا يرى أن الرباط الطبقي يتمركز في رحم الرباط البيني وهو ماسيشغل من الآن فصاعدا وظيفة الأفق الاشتراكي.

وهناك الكثيرون اللذين دعوا للعودة مرة أخرى لماركس، فهذا ماكسمليان ريبل (٩) يدعونا إلى ماركس الشاب، ويورد رسالة موس هس للروائي **برتولد أورباخ واصفا فيها ماركس** الذي لم يكن قد تجاوز الرابعة والعشرين بالعبقري وهو يرى فيه :روسو، وفولتير، **وهولباخ، وليسنج، وهين، وهيجل** جميعهم ذائبون في شخصية واحدة، يورد أيضا رغبة ماركس وهو في التاسعة عشرة لدراسة الفلسفة، ويرى بأنه لم يكن يريد أن يكون فيلسوفا، بل كان يريد أن يضع للفلسفة حدا، أو ربما أراد أن يفككها، أو يحولها لشئ واقعي ، بحيث تقطع مع شكل من الوعي ينبغي تجاوزه. ويرى الكاتب أن دعوته للعودة لماركس ليست نوعا من البروباجندا التي تعتمد الدوغمانية. ولكن فلتكن قراءة ماركس مثل قراءة ديكارت أو ليبنتز وبنفس البساطة ، إذ أن مسعاه يفرض خطوة أقل هدوءا. حتي ولو أستبعدنا المعجزات التي أقامتها الماركسية ، فكتابات ماركس الشاب تظل قبل كل شئ أعمال معركة- معركة فيلسوف ضد هيجل- آخر أكبر الوجوه- ضد نفسه أيضا- معركة بالتأكيد دون نهاية ، ولكن ربما سيعقبها نتائج

وهذا كاتب آخر :**كوستاس بابيانو(١٠)** يشد إنتباهنا لنفس الكتابات لماركس الشاب. أذ يرى أن بعض كتابات ماركس المعروفة لم تنشر الا متأخرا، فكتاب نقد القانون السياسي الهيجلي لم ينشر سوى في ١٩٢٧، والإيديولوجيا الألمانية لم ينشر سوى في سنة ١٩٣٢، وعلى الرغم من أن هذه الكتابات قد أنجزها ماركس قبل أعمال النضج وعلى الأخص رأس المال. أي أنها نشرت بعد أن تم وضع العقيدة الماركسية التبسيطية وحتي غير المتناسقة، ويستطرد أن تلك الأعمال أهملها ماركس بعد أن حررها دون أن ينهيها ، فهي توضح خط تطوره الفكري ، ويتساءل :لماذا لم ينهها ماركس؟ رأى إشكالية أساسية وصعبة التجاوز قادته لصرف النظر عنها ، وإعادة البدء والأخفاق، وتركها معلقة والبدء مرة أخرى من زاوية ثانية؟ ويجيب الكاتب أن ماركس أرتبك في مهمة لم يستطع أن ينهيها ، لأنه قد حاول الخروج من الفلسفة ، ولكن دون أن يعطي لنفسه الوسائل الفلسفية لهذا الهروب. ومع ذلك لم يكن العمل في الصحافة أو في الاقتصاد أو في السياسة للهروب فعليا من الميتافيزيقا.

ويرى الكاتب في تبرير ماركس بأنه أراد للديالكتيك الهيجلي أن يمشي على قدميه بعد أن كان يمشي على رأسه غير كاف، أو ينبغي إبداع طريقة فلسفية للقطع مع الفلسفة، ويورد الكاتب رسالة **لجوزيف ويتزجن** كان قد أرسلها إلى ماركس قائلا له: أقرأ مابين السطور في عملك، إقتصادك الواضح جدا يقترح فلسفة أقل وضوحا.

ونصل إلى فيلسوف آخر كنا نعتقد منذ سنوات أنه قد التزم الصمت بعد قتله لزوجته واحتجازه بإحدى المستشفيات النفسية ، الا وهو **لويس ألتوسير (١١)** ، الذي أعتقدنا أن كتابه عن حياته والذي صدر منذ عامين هو آخر كتبه بعد وفاته، الا أنه قد فاجئنا حينما نشرت مراسلاته مع الارجنتينية **لفرناندا نافارو** وعالج فيها الكثير من الموضوعات، الا أننا سنتخير حديثة عن موضوعنا ، إذ أهتم ألتوسير بكيفية تحديد النزعة المادية لكيلا يقيم نظاما جامدا، أو تجريد معارض للنزعة المثالية واصطناعي مثلها. وهو يقترح فكرة نزعة مادية إتفاقية تخرج من فكر أبيقور، وأقل مطابقة للتيد **الماركسية الأرثوذكسية** . حيث يرى أن الفيلسوف المثالي يهتم بمعرفة محطتي الرحيل والوصول، ومايتعلق بالتاريخ، وبالانسان ، وبالله، وبالعالم والكائن. فهو يهتم بالأصل وبالنهاية الأخيرة، يستمع لأسر الحقيقة ويدعي أنه يسيطر على كل شئ بالعلم القادر على حصر العالم في فخاخه. ويرى أنه على العكس فالفيلسوف المادي، رجل يأخذ دائما «القطار في حالة السير .كأبطال الوسترن الأمريكان». إذ يلاحظ الناس . ينظر من الشباك، ولكن ليس لديه هوس بالضرورة لمعرفة نقاط الرحيل أو الوصول، ولاحتي الأسباب التي من أجلها وجدت السكة الحديد. بالإجمالي فهو يسجل لقطات إتفاقية ، وليس كالفيلسوف المثالي، نتائج مأخوذة من أصل أساسي لكل معنى، أو من مبدأ أو علة أولى ومطلقة.

وجاك دريدا من أنصار هذه الدعوة أيضا للعودة لماركس ، ولكن على طريقته . إذ يرى بعد سقوط حائط برلين، ينبغي أن نتحلي بالجسارة والحماسية الفلسفية لنقوم بالبحث في عقل ماركس عن موتور لهذا الربيع الجديد للشعوب، وهذه الحركة الجديدة للأنوار، ولهذه الأممية الجديدة التي يتحسس دريدا جذورها . فهو يرى أنه لاينبغي العودة

لماركس أبدا في شكل أرثوذكس (ستاليني)، وهو ماجعله يأخذ مسافة منذ الخمسينات. وبعدها في أعقاب أحداث تشيكوسلوفاكيا السابقة في ١٩٨١، وهو يعترف بأن من المؤكد حسب رأي ماركس نفسه «بأني لست ماركسيا». ويرى أن مابقي من الماركسية هو «الروح» فماركس الذي يفهم دريدا ليس حيا كما أنه ليس ميتا- إنه كوالد هامليت يتعيش على نمط الخيال. إنه يلاحق النزعة الرأسمالية الجديدة. كما كان يرى ماركس خيال الشيوعية يلاحق أوروبا. ويستطرد دريدا بأن الغطرسة المبالغ فيها والتي يعلن بها حاملو المباخر للرأسمالية الجديدة عن موت ماركس، ليست إلا تأكيدا على الحضور الشبحي لماركس. مثل حداد مرضى لاينتهي منه أبدا.

ويوجه **جاك تكسيبيه**- في نفس الندوة- خطابة إلى المسارعين بالتخلي عن الماركسية، واصفا همتهم وحميتهم في هذا السبيل كالمسارعين إلى قبر الشيوعية دون حتى التفكير في تأبينها، داعيهم إلى التمهل. ويطالب المتوفرين على دراسة النصوص الماركسية بأن يعبدوا بنباهة إلى ذاكرتنا أسلوب ماركس في التعامل مع مفهومي «النسق» و«النقلة» وغيرهما من المفاهيم التي نرسلها لفهم الحركة الاجتماعية، حيث يرى أننا أحرج مانكون لفهم أفضل لفكر ماركس وهو يتساءل عن نوعية العلاقة التي يمكن أن نقيمها مع ماركس بعدفشل التجربة التاريخية في تحقيق الشيوعية. ويقترح تكسيبيه جينالوجيا تمتد لتشمل هيجل لكي ترضى تطلعه لتأمين تفاعل نظري مع الوقائع الطارئة والتحول الذي استجد، وهو تفاعل يود أن يكون بعيدا عن العفوية وأسلوب ردة الفعل. وذلك بصياغة ناظمة مفهومية جديدة تساعد على فهم التحولات العميقة الجارية. ليس فقط فيما يخص تجربة التحقق التاريخي للشيوعية، ولكن كذلك أزمتها وتقلتها نحو أفق وإن كان موسوما بالإحتمال فانه مع ذلك يتضمن حتما إقتصاد السوق الذي يحل محل الإقتصاد الموجه والتعددية السياسية محل الدولة- الحزب الواحد. هذه المهمة يريد من خلالها بلورة بنية مجردة تحمل مشروع الحداثة، وتسمح بتعقل التجارب المتنوعة، وبالخروج من النماذج الخطية التي أنحبس الماركسيون في داخلها طويلا.

وهناك من حاول أن يعطي الجانب النضالي في الواقع العملي أهمية كبرى عن الإطار النظري المجرد ومن هؤلاء نجد **جورج لابيكا** - في نفس الندوة- يركز على مايحدث فعليا على أرض الواقع، وعلى وجه الخصوص في فرنسا، حيث يدعو لإعطاء الأهمية لبرنامج عملي واسع يتضمن مسائل نضالية يومية، تتجاوز الإطار المحلي لمقاومة النظام الرأسمالي ككل، وضرورة أن يتسم هذا البرنامج ببعد ديمقراطي، ومناف للاشكال البيروقراطية، من أجل إيجاد بديل ديمقراطي.

ويدعو **موريس بيليه** - في نفس كتابه- إلى أنه علينا أن نتعلم مرة أخرى من الحيوية العظيمة للإنسانية، وروح الثورات التي تقيم وتهدم الأنظمة من أجل تجسيد عدالة حقيقية، وحرية حقيقية، وإرضاء الحاجات الاساسية والمجانية للحياة مع الآخر بالكرامة والحب. ويريد الكاتب إجماعا كبيرا يجند العقول ضد التهميش، وتعديل نظام العالم في مبدئه، مقدمين لكل إنسان حياة يستطيع أن يعترف بأنها كريمة، تنهي التهميش والاستغلال وتعدل من علاقة الإنسان بالأشياء، ولاتختزله فقط في العمل. وموريس بيليه مع كل هذا ليس حالما فهو يعلم حدود القوة التي تخضع لها من سلطة رأس المال والعمل، إلا أنه مع هذا يؤمن بأن قدرة الإبداع والرغبة لايمكن التحكم بها وتستطيع أن تفلت كثيرا من حكم الإقتصاد لكي تؤسس «يوتوبيا واقعية» ولهذا ففي رأيه ينبغي البدء من حاجات واقعية للكائن الإنساني، وليس من فرضيات إدعائية عن الانتاج والنقود، فهو يود أنشطة نائمة عديمة المردودية، لخلق فضاء أكبر من الحرية في مواجهة التقنيات التي تقمع الجمعيات.

ويضع **كريستيان كومباز**- في نفس كتابه- حلولا عملية حين يدعو لإنشاء برلمان ثقافي أوروبي ليس له علاقة بأي الجاجات سياسية وإقتصادية ومقره بودابست، يتكون من ممثلين للمناطق، ومهمته خلق مناخ ثقافي أوروبي، كما يدعو لإنشاء «جمعية عالمية أخلاقية» مهمتها الدفاع عن حقوق الآدميين، وثقافاتهم، تصدر تقريرا سنويا على نمط تقرير الأمنستي الدولي، يهتم بإبراز المعلومات حول تخلف الانسان نتيجة وسائل الثقافة والإعلام كالكتابة والتليفزيون والسينما، وتعطي أرقاما حول تطور الأسواق، ومناخ إغراق الأسواق بالبضائع، معلنه عن أسماء المجرمين، والمنتجين، والمموِّلين، والمختصين بنشر الإعلانات، لكي تصل إلى «معاقبة عن طريق المستهلك»، ويرى أنه لكي يصبح الآدميون أحرارا ينبغي أن يكونوا ذواتهم، لكي تكون ذاتك ينبغي أن تكون من جهة ما في بلد صغير. وفي «العالمي» الذي يوحد نري كومباز يعارض «الكوني» والذي هو عام لكل الناس من خلال التنويع. ولعل العنوان الثاني لنفس كتاب كومبازكان «هل نهاية النزعة الإنسانية هي ممالامفر منه؟» يجيب كومباز في كتابة بلا، ولكنه يستدرك أن الإنسان في خطرة وينبغي على كل فرد أن يصارع من أجل الحفاظ على ثقافته.

د. مجدي عبد الحافظ

هوامش

(1)ALAIN TOURAINE, CRITQUE DE LA MODERNITE FAYARD(1)

(2) MAURICE BELLET, LA SECONDE HUMANITE, DESCLEE DE BROUWER.

(3) CHRISTIAN COMSAZ, DE PEST, DE LA PESTE ET DU RESTE. LA FIN DE P.HUMANISME EST-ELLE INEVITAB LE?, ROBERT LAFFONT.

(4) THOMOS NAGEL, LE POINT DE VUE DE NULLE PART, DE LECLAT/ RICHARD RORTY, CONSEQUENCES DU PRAGMATISME, SEUIL/ STANLEY CAUELL, CONDITIONS NOBLED ET IGNOBLES, DE L ECLAT.

(5) JACQUES DERRIDA, SPECTRES DE MARX-L ETAT DE LA DETTE, LE TRAVAIL DU DEUIL LA NOUVELLE INTERNATIONALE, GALILEE.

(٦) نشرت متابعة هذه الندوة في حينه بأحد أعداد مجلة قضايا فكرية، وقد قامت مجلة القاهرة فيما بعد بترجمة الجزء الأكبر من أوراق هذه الندوة في أحد أعدادها.

(7) RICHARD PIPES, LA REVOLUTION RUSSE, PUF.

(8) BORIS KAGARLITSKI, LES INTELLECTUELS ET LETAT SOVIETIQUE, PUF.

(9) MAXIMILIEN RUBEL, PHILOSOPHIE DE KARL MARX, GALLIMARD.

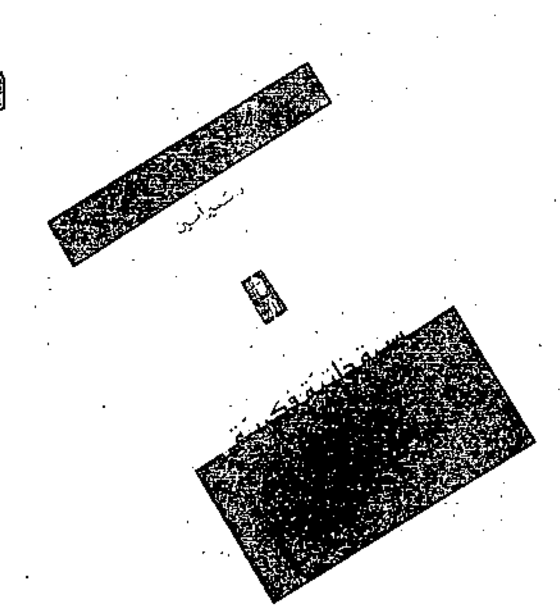
(10) KOSTAS PAIOANOU ECRITS DE JEUNESSE DE KARL MARX, LA R. DES LETTES.

(11) LOUIS ALTHUSSER, SUR LA PHILOSOPHE, GALLINARD.

* نرجة عناية القارئ إلى أن هناك كتبا أخرى كثيرة صدرت بخصوص الموضوع، الا أننا لم نعرض سوى لما أتيح لنا. أيضا سأقوم بعرض نقدي وتفصيلي لكتاب آلان تورين نظرا لأهميته في مجلة أصول بالعدد القادم.



سمير أمين يكتب سيرته الفكرية



سقطت الاشتراكية الثانية تحيا الاشتراكية الثالثة

فريدة النقاش

حين يكتب مفكر ماركسي في وزن «سمير أمين» سيرته الذاتية الفكرية فلابد أن نتوقف ونقرأ، لافحسب لأنه مبكرا جدا قدم أفكارا خاصة به طالما وضعته في الأقلية- المغضوب عليها غالبا- ضمن تيارات الفكر الماركسي التي كانت رئيسية على مدى ثلاثين عاما، وانما أيضا لأنه واصل بجرأة وعمق تأصيل وتدقيق هذه الأفكار واختبارها، وسرعان ماكشف لنا الواقع أن بعضها كان كالنبوءات التي سرعان ماتحققت في الواقع وان كانت نبوءات ذات طابع مأساوي. فهذا المفكر الشريف ذو العقل النقدي الكبير كان يرى على البعد مثل زرقاء اليمامة. فقد تصدع الاتحاد السوفيتي وانهار، وانهارت المنظومة الاشتراكية التي راهنت أغلبيتها على صمودها وقدرتها على مواصلة المعركة ضد الرأسمالية والأمبريالية، وقبل هذا الانهيار كان تراجع حركة التحرر الوطني أو ما أسماه «سمير أمين» بمرحلة باندونج، ووصول سياسة التضبيط الرأسمالية (الفوردية والتيلورية) لحدودها التاريخية كوسيلة لتجديد الرأسمالية وحل تناقضاتها لاتجاوزها، كذلك تراجعت دولة الرفاهية الاشتراكية الديمقراطية في غرب أوروبا لنرى معه خريطة عالم في أزمة.. ولنتابع معه كيف أن الخروج صحيا من هذه الأزمة لابد أن يكون عملا متواصلا طويلا ونضالا دءوبا لتجاوز الرأسمالية والاستعداد للدخول الى «الاشتراكية الثالثة» كما أسماها.

فالخيار المطروح أمام البشرية ليس بين الرأسمالية والاشتراكية بل بين البربرية والاشتراكية. وعلى الاشتراكيين أن يرسموا معا خطوط عالم آخر وأن يتخلوا عن فكرة اللحاق بالرأسمالية والتي ثبت فشلها.

إنها المرة الأولى التي يتحدث فيها سمير عن حياته الخاصة في سياق سيرته الفكرية وهو مايضفي على كتابه الصعب ألفة وحميمية.

«ولدت في القاهرة سنة ١٩٣١ من أبوين طبيبين، أب مصري وأم فرنسية، وقضيت طفولتي ومراهقتي في مدينة **بورسعيد** حيث درست في الليسية الفرنسية حتى شهادة البكالوريا سنة ١٩٤٧ ثم سافرت الى باريس لمتابعة دروسي الجامعية..

أذكر بدقة الأسباب التي دفعتني باكرا جدا، في سن المراهقة لاعتناق مثال الاشتراكية، وهذه الأسباب كانت- قبل كل شئ -تمردا على اللاعدالة الاجتماعية التي بدت لي غير مقبولة ولا انسانية فقد كنت أشاهد البؤس المدقع الذي يعيش فيه الأطفال من أترابي، في حين أن غالبية الفتيان المنتمين الى نفس الوسط الاجتماعي المميز الذي أنتمي إليه كانوا يقبلون هذا الواقع وكأنه واقع طبيعي، لذلك قررت أن أساهم في حركة الثورة الاجتماعية الضرورية لتغيير هذا العالم.

ولاشك أن هذا الخيار يعود بنسبة عاليه الى التربية العائلية التي تمتعت بها، وعلمتني أن الخضوع لنظام ظالم أمر غير مقبول. **وتوصلت عندئذ الى الاستنتاج بأنه علينا أن نفعل «مافعله الروس» الذين حلوا هذه المشكلة عن طريق بناء مجتمع جديد، مثالي، وجدت فيه كل هذه المشاكل حلولها . ومنذ سنة ١٩٤٢ (واذكر هنا القلق الذي تابعت فيه بداية معركة ستالينجراد والفزع الذي وانتني مع نهايتها بدأت أعتبر نفسي شيوعيا»..**

ولأن «**سمير أمين**» لم يستطرد في الحديث عن طفولته وتفصيل ذلك العامل الحاسم في تكوينه الوجداني الذي جعله شيوعيا، ألا وهو تمرده على اللاعدالة الاجتماعية، فسوف أحكي عن الدكتورة «**أمينة رشيد**» الناقدة أستاذة الأدب الفرنسي التي زاملت «**سمير أمين**» في أول

حياته العلمية في القاهرة نقلا عن والدته الطبيبة.. إن سمير وهو طفل صغير جدا شاهد مجموعة من الأطفال في سنه يفتشون في القمامة عن شيء يؤكل وقد وجد أحدهم برتقالة عطنة وأخذ يلتهمها... قال الطفل «سمير» لأمه

- لن أنسى ذلك المشهد طول عمري.

أسوق هذه الحكاية لأستخلص منها أن الثقافة الموسوعية العميقة وحدها لاتكفي ليصبح اختيار الشيوعية اختيار حياة، ولايكفي أن يملك المرء عقلا لامعا مثل عقل **«سمير أمين»** ليبقى اختياره صامدا رغم المستوى الاجتماعي العالي لحياته الأولى وإمكانيات الارتقاء الطبقي غير المحدودة التي توفرت له بعد ذلك، والتي يمكن أن تشكل أساسا للميوعة الفكرية أو التحلل من الماركسية، بحجة شيخوختها، كما فعل الكثيرون خاصة بعد الانهيار المدوى للاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية.

لابد من شعلة في القلب لاتنطفئ.

وقد كانت لسمير أمين هذه الشعلة التي بقيت منذ طفولته الأولى متأججه ومازالت.

«**على أنني كنت أفهم الشيوعية على أنها نظام يحقق المساواة بين جميع الأفراد وجميع الشعوب، ولم أغير رأيي في هذا الشأن. فلا أزال أعتقد أن هذا هو الهدف الوحيد الذي يعطي معنى للنضال الاجتماعي والذي يحمي العمل السياسي من خطر الانحراف الانتهازي..**

وكان طبيعيا أن يتعلق الصبي الذي تفتحت مداركه على ضرورة تغيير العالم الظالم بمادة التاريخ.

«وفي المدرسة كان التاريخ يهمني أكثر من أي مادة أخرى لأنه سيقدم لي دون شك المعرفة التي سأتسلح بها فكريا من أجل فهم العالم وتطوره ووسائل تغييره...»

كان معظم أبناء جيلي من الشباب المصري يحملون مشاعر العداء للأمبريالية وهو ماجذبهم الى الماركسية، وللأسباب التي أشرت اليها سابقا، تحول قسم كبير منهم على رغم أصولهم الطبقية الرفيعة الى مناضلين في الحركة الشيوعية المصرية. **وجاء اكتشاف القضية الاجتماعية، لدى الكثيرين منهم، بعد** المسألة الوطنية. في حين أن مساري كان عكس ذلك..»

ويبين لنا الكتاب بعد ذلك كيف انعكس هذا المسار الذي بدأ من «الاجتماعي-الطبقي» قبل الوطني على فكرة المجتمع الآخر الذي ينبغي أن يتطلع اليه الاشتراكيون بديلا عن اللحاق بالرأسمالية، فهذا المجتمع الآخر يعول كثيرا على الفلاحين وهم الغالبية العظمى المسحوقة في بلدان العالم الثالث وعلى التحالف الوثيق بينهم وبين العمال.

«وصلت الى باريس سنة ١٩٤٧ حيث سجلت في ليسيه هنري الرابع للرياضيات العليا، وكنت مترددا بين الفيزياء، والرياضيات والعلوم الاجتماعية، وحسمت أمري في النهاية لصالح العلوم الاجتماعية..»

«..كرست خلال السنوات العشر التي قضيتها في باريس، الجزء الأساسي من وقتي للعمل النضالي. والحد الأدنى الضروري لتحضير امتحاناتي الجامعية.. واخترت النضال في حركة طلاب **«ماوراء المحيط»** وكان يناضل فيها جنبا الى جنب مصريون، وعرب آخرون، وأفارقة وفيتناميون وأسيويون آخرون. **وقد لعبت المجموعات الشيوعية النشيطة من مختلف الجنسيات دورا قياديا في المنظمات الجماهيرية المعادية للأمبريالية..**

«.. ولم تكن مجلتنا» **«الطلاب المعادون للاستعمار»** والتي صدرت بين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٢ والتي أدارها **«جاك فرجيس»** والتي اجتمع حولها عدد من الشباب المناضلين أصبحوا فيما بعد من قادة حركة التحرر في الوطن العربي (خاصة في الجزائر) تحظى دائما برضى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي..»

وسوف يقدم **«سمير أمين» نقدا عميقا** فيما بعد سواء للمواقف الملتبسة للحزب الشيوعي الفرنسي بخصوص المستعمرات، أو للمركزية الأوروبية في الثقافة والتي لم تنج الماركسية من آثارها في بعض جوانبها، والتي سعى هو للكشف عنها ونقدها وتطوير المادية التاريخية حتى تقوم الماركسية برسالتها الحقه في آسيا وافريقيا.

«وفي ذلك المناخ والاطار - الخلية الشيوعية في العلوم السياسية - التقيت **بإيزابيل** التي تشاطرني حياتي منذ ذلك التاريخ..»

ومنذ ذلك التاريخ كان اهتمام «سمير أمين» الأوسع هو تعميق المادية التاريخية «وقد شكل إعدادي كاقتصادي قاعدة مفيدة لي لهذا الغرض، وهو أمر لايتحكم به غالبا - مع الأسف- ضحايا التقسيم الأكاديمي المصطنع للعمل الذي يفصل الاقتصاديين عن علماء الاجتماع أو عن المؤرخين..».

كذلك هو ينظر للكتابة نظرة مناضل يجب أن يكتب من أجل دفع السجال للأمام..

«فعند الكتابة كنت أفكر دائما بجمهور من القراء، هو الأكثر أهمية من وجهة نظري، أي المثقفين المناضلين»..

كان ذلك دأبه منذ أن أطلق صياغته لنظرية الاستقطاب في رسالته للدكتوراه سنة ١٩٥٧ والتي نشرها بعد ذلك. ولما كان شهر العسل بين الشيوعيين والنظام الناصري بعد تأميم قناة السويس قصير العمر، كما ذكرت، وكان نقد الشيوعيين للرؤية البيروقراطية والمعادية للديمقراطية للوحدة المصرية السورية غير مقبول.

ففي أول كانون الثاني (يناير ١٩٥٩) أوقفت الشرطة آلاف الشيوعيين. وقد أفلت من لائحة المعتقلين الأولى، ولكني كنت أعرف أن الشبكة، أخذت تضيق وفي كانون الثاني يناير من سنة ١٩٦٠ غادرت مصر..»

واستقر **«سمير أمين»** في مالي ليبدأ رحلته في إنشاء مراكز للبحوث تعتمد منهجا فكريا في إفريقيا، وهناك تبينت له بالملموس- مرة أخرى محدودية تجربة التنمية على الطريقة الناصرية، ومن مالي الى السنغال الى باريس مرة أخرى حيث شهد أحداث ثورة الشباب في مايو ١٩٦٨ والتي سبق أن أخبرنا أنه كان يعول عليها كثيرا في قدرة اليسار الأوروبي على تجديد نفسه.

وقسم نفسه بين العمل في جامعة «بواتييه» الإقليمية الفرنسية و«داكار» حيث أدار **معهد التنمية الاقتصادية والتخطيط** التابع للأمم المتحدة. وعرف عن قرب كيف يجري الصراع في ميدان البحوث وصك المفاهيم وتدريب الباحثين الى أن ترك إدارة المعهد سنة ١٩٨٠ لكي ينشئ المكتب الافريقي لمنتدى العالم الثالث في داكار.

وتحول المنتدى في داكار تدريجيا الى أكثر من مركز لتحريك برامج أبحاث مهمة، وأصبح جمعية نقاش شبيهة بما كان في أوروبا في القرن التاسع عشر فلقد أصبح شبيئا من «جمعية عالمية للتنمية» للعالم الثالث. فالجمعية الأهلية المذكورة خاضعة لسيطرة المحافظين، أصدقاء البنك الدولي الكثيرين في الشمال الأمريكي، وفي أوروبا الشمالية تحديدا..»

يقع الكتاب في تسعة فصول بعد المقدمة

مع فهرس كامل لكل ماكتبه المفكر من كتب ومقالات من عدة لغات.

يعالج الفصل الأول مرحلة مابعد الحرب من ١٩٤٥-١٩٩٢ والتي يحددها بمرتكزات ثلاثة هي **الفوردية** في الغرب الرأسمالي، و**السوفياتية** في بلدان الشرق (والتي اختار لها اسم نمط الانتاج السوفيتي) **والتنموية** في العالم الثالث، هذه النماذج الثلاثة المتنافسة والمكمل بعضها بعضا أخذت تتآكل حتى انهارت.

وكان النظام العالمي الذي ميز هذه المرحلة محصلة مجابهات بين مصالح القوى المسيطرة الفاعلة في كل من النظم الثانوية للنظام نفسه. وتنقسم المرحلة فيما بعد الحرب الى أطوار متعاقبة من طور بناء النظام في كل من أبعاده الثلاثة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٥.

فبينما كانت **الولايات المتحدة** تتمتع بنتائج الحرب التي شكلت لها مناسبة بعينها للخروج من أزمة الثلاثينات الكبرى وتسريع تحديث نظامها الانتاجي.

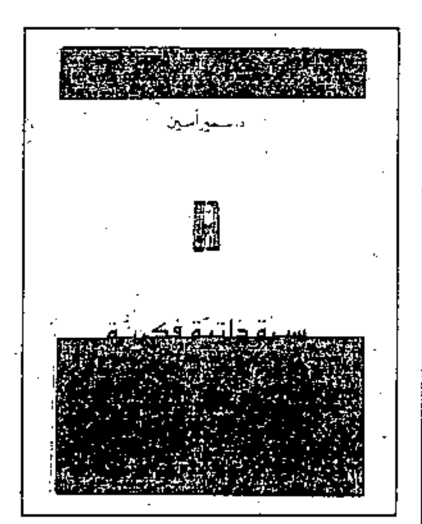
كان تأخر اليابان وأوربا يتخذ أبعادا دراماتيكية بفعل الدمار الواسع للحرب، وضعف النمط الفوردي فيهما، والصراعات المنهكة بين المنتصرين والمهزومين في الحرب الأولى، والأزمة الاقتصادية الكبرى التي تلتها.

ومع ذلك كان النسيج الاجتماعي الأوروبي والياباني قويا بما يكفي لعدم تكرار ماحدث سنة ١٩١٩، أي تفادي التجذر الثوري.

ففي سنة ١٩١٩ كانت التسوية التاريخية بين الرأسمال والعمل التي ستقوم عليها عملية التضبيط الايديولوجي ماتزال متعثرة، ولاسيما أن التحضير الايديولوجي لهذه التسوية قد تم انجازه عبر الالتحاق الكثيف للطبقات العاملة ببورجوازيتها الامبريالية منذ القرن التاسع عشر.

ويسمى «**سمير أمين**» نظام الثنائية القطبية «الولايات المتحدة- الاتحاد السوفيتي» بنظام «بوتسدام» لا بنظام «يالتا» كما يقال عادة ويخطئ. ففي يالتا لم تكن الولايات المتحدة تمتلك بعد السلاح النووي، واضطرت لذلك أن تقبل نشوء كتلة خاضعة للحماية السوفيتية في شرق أوروبا، خوفا من احتمال انبعاث العسكرية الألمانية مجددا. وفي بوتسدام كانت تمتلك هذا السلاح. وفرضت على الاتحاد السوفيتي واثقة من تفوقها، سباقا منهكا على التسلح.

وكان كل شئ جاهزا لتخرج الى النور،



عبر أيديولوجية باندونج ١٩٥٥ تعبيرات التنموية الجديدة، الاستقلال، التحديث، التصنيع، سيولد عندئذ تحالف استراتيجي بين هذه الحركة وبين الاتحاد السوفيتي الذي سيخرج من عزلته بهذه الطريقة.

قامت هذه المرحلة على مجموعة من البديهيات الظاهرة الخاصة بكل منطقة من العالم «**الكينزية**» وخرافة النمو المسيطر عليه محليا والمتواصل دون تحديد من الغرب. خرافة اللحاق عن طريق **اشتراكية الدولة السوفيتية**، وخرافة اللحاق في إطار التبعية المتبادلة في العالم الثالث.

أما فكرة الثنائية القطبية بين قوتين عظميين فلم تتعد المظهر، **لأن سباق التسلح الذي فرضته واشنطن أنهك الاتحاد السوفيتي**. ومن المعروف أن الهدف الاستراتيجي للدخول السوفياتي الى المسرح العالمي لم يكن غزو أوروبا ولاتصدير اشتراكيته، وانما ببساطة وضع حد للهيمنة الأمريكية العالمية واستبدالها بالتعايش السلمي في عالم متعدد الأقطاب، وقد فشلت هذه الاستراتيجية.

وقد اتضحت الأزمة أولا في الغرب الرأسمالي، طارحة السؤال عن خرافة التطور المتواصل غير المحدود والتحول الحاسم على هذا المستوى عبرت عنه أحداث (١٩٦٨)، وستقدم السنوات اللاحقة بارقة أمل لتجديد محتمل لليسار في الغرب الذي تخدر منذ التحالف المالي للإمبريالية في نهاية القرن الماضي. ولكن هذا الأمل سرعان مايتبدد في تقلب البرامج، وانفتحت الطريق منذ سنة ١٩٨٠ للهجوم الليبرالي الجديد الذي سيفرض إجاباته من دون أن يكون قادرا على إخراج المجتمعات الغربية من نفق الأزمة الطويلة، ولاعلى إحياء أوهام النمو غير المحدود.

وتنهار أوهام التنموية في العالم الثالث، وتسقط الأنظمة الجذرية واحدا بعد الآخر، وتخلي الساحة لسياسات رجعية مسماة بسياسة التكيف البنيوي التي فرضها الغرب في الثمانينات، وكان هذا كله نتيجة بلوغ مشروع باندونج حدوده التاريخية، والتناقضات الداخلية التي أثارها وطورها من جهة، والعدوانية الخارجية الجديدة التي رافقت انقلاب الظروف العالمية من جهة أخرى.

وكان **إنهيار السوفيتية هو الأعنف بين كل الانهيارات**، فالبناء الذي بدا متماسكا لدرجة أن الايديولوجيين المحافظين اعتبروه «**توتاليتارته أزلية**» كان في الواقع منخورا حتى النخاع من الداخل، وكان نتيجة لتطور داخلي باتجاه رأسمالية عادية بدأ منذ نصف قرن تقريبا، وتسارع فجأة بنسبة كبيرة من جهة، ولعدوان خارجي متمثل من جهة ثانية بسباق التسلح الذي ربحته واشنطن.

وكان أن تحولت بعض مناطق العالم الثالث التي لم تدخل مرحلة التصنيع الى عالم رابع، وهو مايعكس القرائن العميقة التي يهمش الاستقطاب من خلالها بعض هذه الأطراف. ويميز بعضها الآخر. **وفي العالم الثالث السائر في طريق التصنيع لاتتوفر أي من الشروط المواتية لتسوية تاريخية بين رأس المال والعمل، وبالتالي يتخذ التوسع الرأسمالي أشكالا وحشية**، فالوجود المتزامن لجيشين كبيرين في العمل أحدهما فاعل والآخر احتياطي يجعل الأزمة الاجتماعية حادة دائما، وثورية في الاحتمال. وتخلق هذه الوضعية المميزة للرأسمالية الطرفية الحديثة الشروط السياسية والإيديولوجية المناسبة لبناء تحالفات وطنية وشعبية متمفصلة حول الطبقة العاملة والفلاحين المستغلين بقسوة، والجماهير المهمشة والفقيرة التي تشكل جيش الاحتياطي.

وفي العالم الرابع المحروم من التصنيع وبسبب من ضعف النضالات الاجتماعية الجارية على أرضية الانتاج والسلطة، والناتجة عن هذا التهميش تنقل الأزمات الى مستوى التعبير الثقافي الذي يبقى عرضا للأزمة وليس ردا حقيقيا على تحدياتها، وعلى هذا الأساس يحلل سمير أمين في أماكن أخرى ظاهرة نمو الإسلام السياسي.

باختصار كانت الأزمات السياسية والايديولوجية، والمشاريع التقدمية المقابلة

محروقة في دورة مابعد الحرب بالحدود التاريخية للايديولوجيات المسيطرة الثلاث: **الاشتراكية الديمقراطية** في الغرب، **والسوفياتية** في الشرق، **وايديولوجية التحرر الوطني** في الجنوب.

وإذا كانت الحرب الأولى قد أغلقت الحلقة الأولى من تطور الفكر والممارسة الاشتراكية، فالحلقة الثانية التي افتتحتها الثورة الروسية قد أغلقت اليوم بدورها، والمطلوب اليوم **بناء حلقة ثالثة تشكل اجابة على تحديات الرأسمالية التي دخلت مرحلة جديدة من توسعها.**

ومادامت الاقتراحات الذاهبة في هذا الاتجاه لم تتبلور بصورة كافية في عملية صياغة بديل اشتراكي جديد، ومادامت القوى الاجتماعية والايديولوجية التقدمية لم تتحول الى روافع وحوامل للنضال في سبيل تثبيت هذا البديل، **فإن التناقضات التي تحملها الرأسمالية في ذاتها لن تولد «نظاما جديدا» كما يحلو لليبراليين الجدد في السلطة أن يؤكدوا، بل ستنتج حالة من الفوضى الهائلة** لاغير.

ويرسم في الفصل الثاني **«بناء النظام»** مشهدا لتطورات العقد الأول من فترة مابعد الحرب مرتبطا بتكوينه الثقافي في كل من مصر وفرنسا. ونتوقف في هذا الفصل أمام حقيقتين لعبتا دورا كبيرا من حياة هذا الجيل من المناضلين الشيوعيين.

الأولى هي العداء الحاقد لدى السلطات الغربية إزاء الاتحاد السوفياتي (المكارثية أو مملكة الشر حسب تعبير رونالد ريجان بعد ثلاثين عاما) كان يدفعنا الى الإعتقاد بأن النظام السوفياتي يشكل خطرا حقيقيا على الرأسمالية، وما ذلك بسبب عدوانيته، فقد كنا نعرف أنه في موقف الدفاع، ولم نكن نخال سياسيا غربيا واحدا يتمتع بحد أدنى من الكفاءة مقتنعا بأن «ستالين» سيغزو أوروبا الغربية بالفعل، وموقفنا التضامني مع الاتحاد السوفيتي لم يكن ليستوجب اقتناعا كاملا بطبيعة النظام إذ تعودنا على التفكير- وعن حق- **بأن القوى الغربية لم تتدخل منذ سنة ١٤٩٢ في أي منطقة من العالم الثالث من أجل الدفاع عن قضية جديرة بالدفاع، بل كانت تدخلاتها دائما، ومن دون** استثناء معادية لشعوبنا. وكنا ندرك بداهة أن الرأسمالية لاتستطيع إحتمال أن يرفض بلد ما الخضوع لأوامرها وهذا تحديدا مايشكو منه الغرب لدى الاتحاد السوفيتي.

الحقيقة الثانية هي أننا كنا نحمل حكما نقديا على الديمقراطية البورجوازية أكثر جذرية من نقد كثير من التقدميين الغربيين. وكنا نرى يوميا كيف تحرم الديمقراطية على شعوبنا بصورة منهجية، وكيف أن الدبلوماسيين الغربيين لايتذكرونها الا حين يكون ذلك تكتيكيا في مصلحتهم. ولم يتغير شئ على هذا الصعيد. ويبقى أن هذه الحجة- التي يمكن أن تفهم على مستوى نفسي- ليست بصالحة على مستويات أخرى، **لأن الاشتراكية، أو أي تقدم شعبي باتجاهها يجب أن يكون بالضرورة أكثر ديمقراطية من الديمقراطية البورجوازية.** وكنا نميل في الميزان كثيرا في الجهة الأولى ولكننا كنا شديدي القسوة عندما كان الأمر يتعلق بنقص الديمقراطية أو غيابها لدى الأنظمة الوطنية الشعبوية. وقد انطلقت تحفظاتنا على الناصرية ونقدنا اياها منذ البدء من هذه النقطة الجوهرية وكنا على حق في هذه المسألة، ولكن أنى كان لنا أن نعرف أن هذه الحجة تنطبق على الاتحاد السوفيتي كذلك.

ويعرض الفصل لجانب من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر التي يحق لها أن تفخر اليوم بكونها دعمت منذ سنة ١٩٤٠ التيار المعادي للصهيونية بين التقدميين اليهود في مصر.

ويتوقف طويلا عند الأسباب الشخصية التي جعلت عملية توحيد الحركة الشيوعية المصرية هشة ثم شبه مستحيلة.

في هذه المرحلة وفي رسالته للدكتوراه أطلق فكرة أن التطور والتخلف يشكلان وجهين لنفس الميدالية. التوسع الرأسمالي وكان قد اختار للرسالة عنوانا هو **«في أصول التخلف، التراكم الرأسمالي على صعيد عالمي».**

«واني فخور بحدسي في تلك المرحلة (كان عمره سته وعشرين عاما)، أقول ذلك من دون تواضع زائف، فقد قدمت رؤية سبقت زمانها». «وكانت فكرتي المركزية هي أن **الاقتصاد المتخلف لاوجود له بذاته، وإنما يشكل عنصرا من الاقتصاد الرأسمالي العالمي».**

وكان «سمير أمين» هو الذي استخدم مبكرا جدا تعبير التكيف البنيوي الذي استخدمه البنك الدولي بعد ذلك بثلاثين عاما وأصبح تعبيرا عالميا.

ويتابع الفصل الثالث **«نظرية التراكم: تكونها وتطورها»** باعتبار أن التراكم هو محرك الحياة الرأسمالية مطورا اكتشاف «ماركس» الرئيسي أي الاستلاب السلعي كخصوصية لنمط الانتاج الرأسمالي مؤكدا أن القيمة لاتحكم فقط الاقتصاد الرأسمالي، بل جميع أشكال الحياة الاجتماعية في هذا النظام، وحيث الاتجاه العميق والدائم والمسيطر في النمط الرأسمالي هو في خلق طاقات انتاجية متفوقة على القدرة الاستهلاكية، وميل الرأسمالية الى توسيع الأسواق ويرى سمير أمين أن جوهر مساهمته يتمثل في «**أن الرأسمالية بوصفها نظاما عالميا قائما بالفعل هي شئ مختلف عن نمط الانتاج الرأسمالي على الصعيد العالمي».**

وفي هذا الصدد قدم نقدا جذريا لكل من أسس الاقتصاد البورجوازي، والمزايا المقارنه، ونظرية النقد ونظرية الدورة، ونظرية توازن ميزان المدفوعات، ونظرية التنمية الوليدة..

«هذا النقد قادني تلقائيا الى تحويل مسألة التخلف الى حقل المادية التاريخية، وقد فهمتها، لابوصفها جمعا لأبعاد مختلفة شكلت مواضيع لسلسلة من العلوم المنفصلة التي وضعها الفكر البورجوازي في مواقع التعارض ولكن بوصفها التعبير عن وحدة النظرية والتاريخ، ووحدة الحقول الاقتصادي والسياسي والايديولوجي.

«**وكنت أعتبر أن بناء نظرية للتراكم على الصعيد العالمي يستدعي مثيلا له من تاريخ التشكيلات الاجتماعية..»**

وقد «اختبرت مباشرة النقد الماوي- منذ صيغ في بداية الستينات وبخاصة منذ ١٩٦٦ عندما فتح فصل الثورية الثقافية، وأضيف أن المنهج الذي اعتمدته منذ سنة ١٩٥٧- **اعتبار النظام العالمي وحدة لتحليل التراكم وكان سابقا** على المدرسة الفكرية التي سمت نفسها (النظام العالمي)

«ولقد دعت المادية الى التفكير في عملية الانتقال، واعادة التوازن الى أهدافه المتناقضة وطرحت السؤال **هل المطلوب بالدرجة الأولى تطوير القوى المنتجة حتى ولو أدى ذلك الى إعادة انتاج الكثير من الخصائص الأساسية للرأسمالية؟ أم المطلوب«بناء مجتمع أخر، كما طرح هذا المجال الذي انفتح أخيرا السؤال بشأن عدم حياد التكنولوجيا الذي كان مطموسا في الماركسية التاريخية السابقة.**

وفي هذا الفصل يقدم شرحا متمما لإضافاته لقانون القيمة في نمط الانتاج الرأسمالي، وتوزيع القيمة الفائضة والمادية التاريخية وقانون القيمة المعلومة من واقع كتبه عن «التراكم على الصعيد العالمي والتطور اللامتكافئ وقانون القيمه، والامبريالية والتطور اللامتكافئ وقانون القيمة والمادية التاريخية.

ويتابع الفصل الرابع عملية التوسع الاستقطابي العالمي للرأسمالية حيث يستوجب **الاستقطاب دائما لاتكافؤا وعدم مساواة، كذلك فإن الهيمنة ليست قاعدة في تاريخ التوسع الرأسمالي ، بل هي استثناء هش** وقصير الأجل، وقانون النظام هو بالأحرى التنافس المستديم، وعن «الأزمة الراهنة ومستقبل الرأسمالية العالمية «فان خيارا أكثر ملاءمة لحل الأزمة يقتضي تحالفا أمميا بين عمال البلدان الرأسمالية المتطورة الذين تخلوا عن تضامن يخضعهم لرأسمالهم الوطني وبين الكتلة المعادية للكومبرادور في الأطراف..»

ويتابع الفصل الخامس توسع المشروع البورجوازي الوطني في العالم الثالث وانهيارد ١٩٥٥- ١٩٩٠، ويكون السؤال على النحو التالي:

هل يمكن اقامة رأسمالية وطنية في العالم الثالث؟ ماذا تستطيع أن تحقق فعليا وماهي حدودها؟ وهل يجب عليها أن تحضر عملية تجاوزها الاشتراكي ذاتيا؟.

ومن عام ١٩٥٤ حتى عام ١٩٨٠ «كنت أشاطر الحزب الشيوعي الصيني التحليلات التي اقترحها . في حين أنني بدأت أنظر بعين النقد من سنة ١٩٨٠ الى عمليات الانفتاح الرأسمالي الموضوعة للتطبيق..» فبعد الانتصارات جاء زمن الجزر حتى في قلب التجارب الاكثر وعدا ، واكتشفنا تدريجيا إبتداء من سنة ١٩٧٥ ماكانت عليه الحدود التاريخية للماوية وهو ماعبرت عنه في كتابي الماوية ١٩٨١ ، وقد بدأنا نرى أن المعركة كانت لاتزال بعيدة جدا عن الانتصار، وأنه حتى في الصين تستطيع قوى الرأسمالية أن تشق طريقها من جديد..

أما مايسمى بالمعجزة الكورية «فقد لعب العالم الخارجي هنا بصورة استثنائية، وعلى عكس القاعدة العامة، دورا إيجابيا مهما، فكوريا وتايوان تتلقيان، بالاضافة **الى إسرائيل الحصة الأساسية من المساعدات الخارجية الأمريكية على المستوى العالمي..»** وقد سمحت هذه المساعدة هنا بتجاوز سنوات البداية الصعبة في ظروف لايمكن أن تتكرر في مكان آخر. وفوق ذلك، وبسبب «**الخطر الشيوعي**» قامت الأنظمة هنا بإصلاحات في ميدان الزراعة تحديدا ، لايمكن حتى التفكير فيها من أماكن أخرى نظرا لطبيعة التحالفات العليا التي تنخرط فيها البورجوازية الريفية ، وخاصة أصحاب الملكيات الكبرى (كما في شمال الهند). وهذا الخطر الشيوعي ذاته سمح لهذه الأنظمة أن تنال ثمن عدائها للشيوعية. إذ كانت الولايات المتحدة تقبل هنا ذلك التيار الوطني الذي تحاربه في أماكن أخرى من العالم. **وبذلك إستطاعت هذه البلدان أن تتبنى استراتيجية دولية واستراتيجية حماية صناعية خلافا لما كان يفرضه البنك الدولي في مناطق أخرى».**

وقصدت أن أقتطع هذا النص الطويل لأضعه أمام **المهووسين «بالمعجزة الكورية» والنمور الخمسة»** دون أن يضعوا كل هذه الحقائق في الاعتبار، ويروجون وهما لدى الجمهور العادي أن هذه المعجزة إنما هي ثمرة «**الخصخصة**» والالتزام بروشتة صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

ويقدم «**سمير أمين**» نموذجا آخر للتحديث والتقدم، وطريقة أخرى للتعامل معه من قبل الأمبريالية «ولكن يبقى، رغم كل شئ أن دكتاتورية صدام حسين قادت البلاد في عملية تحديث صناعي تكنولوجي وعسكري لاشبيه لها في العالم العربي المعاصر، وعقابا على هذه الجريمة اتخذ قرار تدمير العراق سنة ١٩٩٠».

إن عقد الثمانينات هو اذن عقد الأزمة المعممة للمشاريع البورجوازية الوطنية شعبويه كانت أم شبه فاشية الناصرية وأضرابها في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية باختصار «**أن مشروع التنمية الرأسمالية في الأطراف هو مشروع عجوز وطوباوي**».

وهنا ينقد «**سمير أمين**» - بأسى- هؤلاء الذين سارعوا بالصاق تهمة اليسارية بكل الذين ركزوا على مأزق مشروع باندونج، وطبيعته البورجوازية، وانتهازية مفهوم الطريق اللارأسمالي الزائف.. وهو واحد من هذه القلة التي أخذت تصرخ في البرية دون أن تستمع إليها- الا القلة.

ولم تكن نبوءات سمير أمين التي صاغها سنة ١٩٦٠ بأن نهاية الناصرية ستتخذ الاشكال التي اتخذتها تحت اسم الانفتاح نتيجة فحسب لرؤيته النقدية الثاقبة وإنما أيضا لخبرة العمل في القطاع العام في مصر في الفترة من ١٩٥٧- ١٩٦٠ حين «أجبرتني مهماتي أن أتابع عن قرب الطريقة التي أدير بها القطاع العام الناشئ، وأن أتابع كذلك نقاشات مجالس إدارة المؤسسات وقراراتها. وشاهدت بالملموس كيف تكونت «**الطبقة الجديدة**» ، وكيف فرضت المصالح الخاصة لهؤلاء السادة كثيرا من القرارات، وكيف جرى تهميش ممثلي العمال (تجديد ناصري ممتاز من حيث المبدأ) واستغفالهم أو شراؤهم.

وينهض الفصل السادس على التحليل النقدي لمفاهيم التنمية وسياساتها فسوف أتوقف فيه أمام البدائل ، ومنها وضع مسائل الاندماج والتعاون الاقليمي في اطار استراتيجية التنمية المتمحورة على الذات التي تفك الارتباط بالرأسمالية العالمية وتصبح من ثم ذات محتوى شعبي ووجهة اشتراكية، فالتاريخ يثبت أن اللجان في إطار الرأسمالية العالمية مهمة مستحيلة وبما أن التجارة بين الجنوب والجنوب عموما هي تابع مكمل للعلاقات اللامتكافئة بين الشمال والجنوب، فإنه يجب تطويرها .لكي تصبح، تدريجيا ، بديلا عن هذه الأخيرة ولو جزئيا، ويجب استهداف بناء مساحات واسعة مستقلة ومفكوكة الإرتباط وقائمة على تخطيط تكاملي لاعلى وهم السوق المشتركة ، وفك الارتباط هو البديل الواقعي الوحيد في حين أن اصلاح النظام العالمي هو طوباوية فعلية ، **وفك الارتباط ويعني اخضاع العلاقات الخارجية لمنطق التطور الداخلي الى بناء الوحدة العربية يتطلب الاعتراف بتنوع مكوناتها وبناء جهة شعوب متحررة من وهم البورجوازية العربية وزعمها القدرة على تحقيق هذا الهدف.**

وفي نهاية هذا الفصل عرض سريع لأهداف بناء خيار أسماه المفكر الاشتراكية ٣ عبر إقامة الركائز الضرورية لأممية الشعوب التي تفرض الانتقال الى هيمنة العمل في المجتمعات الأكثر تقدما ، والى الهيمنة الوطنية- الشعبية في المجتمعات الأخرى ولايضعني هذا الموقع في عداد العالم ثالثيين- كما يعتقد عدد من ناقدي السطحيين بل يبرز موقفي الأساس كأممي (كوني).

و الفصل السابع «أزمة النظام ثلاثون

عاما من نقد النظام السوفيتي». يبين لنا سمير أمين كيف أنه تصور مع انطلاق البيرسترويكا أن انهيار النظام في هذه الدول لم يكن ليشكل بالنسبة له سوى أحد الاحتمالات بينما كان هناك احتمال آخر أن يتطور النظام باتجاه اليسار، ولكن تطلع البورجوازية السوفيتية للمثل الأعلى الاستهلاكي الذى قدمته الرأسمالية الغربية جنبا الى جنب إنهيار الوعي السياسي للجماهير الكادحة التي تصورت أن النظام الذي يسقط . والمعادي لها كان فعلا اشتراكيا ولذا رحبت بالرأسمالية ، بينما كان الحزب الذي احتضن البيروقراطية والطبقة الرأسمالية الجديدة قد انعزل تماما عن الشعب وتحول الى جثة عفنة..

وقد أثبتت كل تحليلات سمير أمين القديمة صحتها- وإن لم يكن هو نفسه صاحب هذه التحليلات قد توقع أن تكون النهاية مأساوية لهذا الحد.

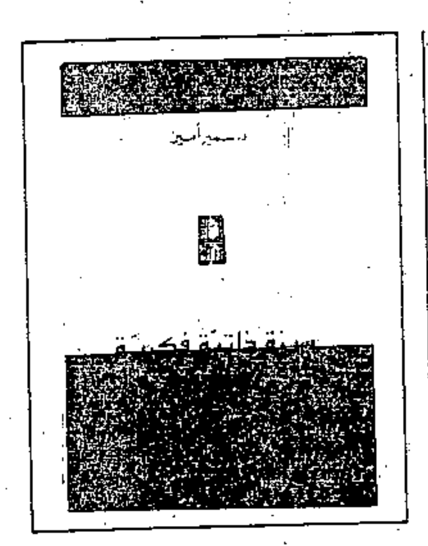
ويواصل في الفصل الثامن تحديد أزمة النظام وإحداث التوازن والانسجام في شكل انهيار آليات التضبيط الرأسمالي (أي أشكال التسوية الإجتماعية) ، فالكتاب يؤكد في كل فصوله أن الرأسمالية المنتصرة قد دخلت بدورها في أزمة عميقة. وعندة «وإن تخفيف بعض التناقضات من خلال نمط تضبيط معين يجعل تناقضات أخرى تحتدم عنفا وتتضاعف..»

والتناقض الجوهري يجعل الرأسمالية نظاما يحمل في ثناياه ميلا دائما نحو فائض الانتاج (على الاستهلاك) وهو ظاهرة جديدة في تاريخ الانسانية لم تظهر قبل الثورة الصناعية..

المنافسة هي القاعدة

وهو يناقش الانتهان من كل زواياه كآلية من آليات التضبيط.. ويصل الى أن الهيمنة هي الاستثناء في تاريخ التوسع الرأسمالي العالمي. أما القاعدة فهي المنافسة بين المراكز وبالتالي غياب التضبيط.

ويتبع الفصل ظاهرتي الاستعمار والدولة فالاستعمار حقق هيمنة المراكز على الأطراف، وضمنت الدولة إعادة انتاج علاقات الانتاج الأساسية من أجل تواصل نمط تاريخي ملموس للهيمنة الطبقية، كما ضمنت اعادة تكوين علاقات اجتماعية أساسية من منظور العامة وضمان سير هادئ أسلس للوظائف المذكورة يتطلب درجة من استقلالية الدولة ازاء مقتضيات تراكم رأس المال



«خلاصة ماتوصلت اليه إن آليات التضبيط تملأ مجال المادية التاريخية بجميع أبعادها ولاتقتصر على مجال الاقتصاد.. وأن **«انحصار الماركسية التاريخية يكاد يكون على المستوى الاقتصادي قد أدى الى تخلف نظرية السلطة بالمقارنة مع نظرية أنماط الانتاج، وقد لفت النظر الى هذه المشاكل في كتابات أخرى ورفضت على أساس هذه الملاحظة النظرية المبسطة التي تجعل الايديولوجيا مجرد انعكاس لمتطلبات القاعدة المادية..»**

وتمتد آليات التضبيط الفوردية (نسبة لرجل الأعمال الأمريكي فورد) من سنة ١٩٢٠ حتى ١٩٧٠ حين أخذت في الانهيار ومن هذه المرحلة قامت أكبر عملية تسوية بين الطبقة العاملة الأمريكية ورأس المال «حتى صارت اللغة الاجتماعية نفسها تتغير، فاختفى من اللغة الجديدة المصطلح القديم- الطبقات المتصارعة ، ليحل محله مصطلح محايد (الفاعلون الاجتماعيون) ، وقد أدى ذلك الى تحول جذري في تقاليد الطبقة العاملة التي تخلت عن مشروعها الأصلي ألا وهو مشروع اقامة مجتمع آخر- إشتراكي على أساس الغاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج، وانضمت الى ايديولوجيا بديلة- مفادها الأساسي الترحيب وقد أصبح التضبيط مستحيلا في الآفاق المنظورة لأسباب تتعلق بالعلاقات بين المركز والاطراف ، فالتصنيع الجديد في بلدان الأطراف يقوم على فوردية دون حل اجتماعي اشتراكي ديمقراطي. **فقد أدى الاستقطاب الى تبلور استراتيجيتين مختلفتين إحداهما خاصة بالطبقة العاملة في المراكز وهي استراتيجية الاشتراكية الديمقراطية، وثانيتهما ضمت الطبقات الشعبية في الأطراف أي الاحتياطي على صعيد عالمي وهي استراتيجية الماوية واللينينية..**

ويبقى السؤال:

هل سيؤدي تصنيع الأطراف وإعادة اندماج الشرق الاشتراكي سابقا في النظام الرأسمالي إلى العودة للنموذج الماركسي عن وحدة البروليتاريا العالمية؟ لا أعتقد ذلك لأن السوق العالمية الجديدة ستظل مبتورة ومقصورة على بعدين من أبعادها الثلاثة أي التجارة وتحركات الأموال دون اندماج العمل عالميا. الأمر الذي سيؤدي بدوره الى مزيد من الاستقطاب.

وفي الفصل التاسع نجد عرضا ممتعا وشيقا للمساهمة الأساسية لسمير أمين في المادية التاريخية فهو رفض منذ البدء **التعامل مع المادية التاريخية على أنها فصل من فلسفة أوسع توصف** بالمادية الدياليكتيكية وتقوم على البحث عن قوانين مشتركة تتحكم بالطبيعة والمجتمع، **وصاغ مفهوم نمط الانتاج الخراجي الذي اندرجت فيه كل المجتمعات ماقبل الرأسمالية رافضا فكرة المراحل الخمسة الستالينية ناقدا جذريا للمركزية الأوروبية وللنزعة الإقتصادوية والطوباوية الليبرالية مشككا في مقولة والانتقال الى الإشتراكية) وفي إمكانية أن نستخلص قوانين للانتقال .. وكلها قضايا تحتاج كتبا أخرى.**

وبعد فإن هذه القراءة الأولية للكتاب لن تغني أبدا من قراءة ثانية وثالثة ناهيك عن قراءة الكتاب نفسه الذي سوف يكشف لنا في كل مرة مستويات أعمق من سابقه مغلفا بهذا الأسى الشفيف الذي يبثه مناضل شيوعي في استخلاصات فكرية نزيهة لكنها مؤلمة.

ولأن سمير أمين لم يستخدم مفكرة كما قال في مقدمته الممتعة فقد وقع في عدة أخطاء في التواريخ فهو يقول مثلا. أن اتفاقيات كامب ديفيد قد عقدت سنة ١٩٧٧ والصحيح أنها عقدت ١٩٧٨ وكانت زيارة السادات للقدس سنة ١٩٧٧ ، ويقول أن النميري تخلص من الشيوعيين سنة ١٩٧٠ بعد اتهامهم بمحاولة الانقلاب عليه وإعدام زعمائهم والتاريخ الصحيح هو ١٩٧١ ويقول أن الانتفاضة الفلسطينية قد بدأت عام ١٩٨٨ والتاريخ الصحيح هو ١٩٨٧، ويقول إن انسحاب الساندينيين من الحكم في نيكاراجوا قد وقع بعد انتخابات ١٩٨٩، والتاريخ الصحيح هو ١٩٩٠...

فكر

مستقبل الاستقطاب على صعيد عالمى

د. سمير أمين



اقصد بالاستقطاب مجموعة ظواهر اقتصادية واجتماعية تتجلى فى تفاقم مستمر للفجوة بين بلدان الرأسمالية المتقدمة من جانب وبلدان العالم الثالث من الجانب الآخر. وهى فجوة تتجلى فى تفاوت متزايد على صعيد انتاجية العمل ومستويات المعيشة. ومن البديهى أن تشمل مثل هذه الظاهرة الشمولية جوانبا عديدة مثل التفاوت التكنولوجى وغيره من اشكال عدم التكافؤ.

ولاريب ان عدم التكافؤ فى النمو المحقق ليس جديدا فى التاريخ، بل هو ابرز الظواهر التى يتسم بها التاريخ منذ أبعد العصور قدما. بيد أن الرأسمالية هى أول نظام اجتماعى ضم الكون بكليته فى منظومة مندمجة فانتج من خلال آليات سيره الذاتى ذلك الاستقطاب الذى نحن بصدده هنا والذى لابد اذن أن ينظر اليه على أنه ظاهرة تخص العصر الحديث الرأسمالى.

لقد تجلت ظاهر الاستقطاب الحديث (الرأسمالى) فى صور متتالية لازمت تطور نمط الانتاج الرأسمالى نفسه فى مراحله المختلفة.

(١) **الشكل المركنتيلى** (من ١٥٠٠ الى ١٨٠٠ ميلادية)، السابق على الثورة الصناعية، والذى اتسم بهيمنة رأس المال التجارى للمراكز الاطلنطية المسيطرة فكيّف اطراف تلك العصور- أى القارة الامريكية- بحيث انها خضعت لمقتضيات اعادة انتاج تراكم رأس المال التجارى.

(٢) الشكل الذى نسميه الشكل **«الكلاسيكى»** الذى تبلور فى اعقاب الثورة الصناعية وهى تلك النقلة الكيفية التى اتاحت تكوين المراكز فى صورتها المتكاملة النهائية. هذا بينما ظلت **القارات المتخلفة الثلاث ريفية وغير مصنعة،** الأمر الذى أدى الى اندماجها فى تقسيم العمل العالمى بصفتها مصدرة لمنتجات اولية زراعية ومعدنية. أضيف الى ذلك سمة ثانية لاتقل اهمية فى ادراك طابع الاستقطاب المعنى هنا، الا وهى تبلور النظم الانتاجية الصناعية المركزية كنظم وطنية متمركزة على الذات، وهى ظاهرة رافقت بناء دولة البورجوازية الوطنية.

من هنا نستطيع أن ندرك الابعاد الايديولوجية فى استراتيجية حركة التحرر الوطنى التى نشأت وانتشرت فى العالم الثالث فى مواجهة تحدى الاستقطاب، فهى وضعت لنفسها هدفين مرتبطين بعضهما ببعض: **أولا التصنيع** كمرادف للتقدم والتحرر ووسيلة «اللحاق» بمستويات اعلى من النمو، **وثانيا بناء الدولة الوطنية** على نمط ماقد سبق انجازه فى الدول المركزية. هكذا تبلورت ايديولوجيا **«التحديث»** التى اضفت هذا المضمون المحدد لمفهوم «المعاصرة». وقد ساد هذا الشكل الكلاسيكى للاستقطاب منذ فجر الثورة الصناعية (اوائل القرن التاسع عشر) الى مابعد الحرب العالمية الثانية.

(٣) **مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥-١٩٩٠)** هى مرحلة تآكل تدريجى للسمتين الموصوفتين هنا. فهى مرحلة تصنيع الاطراف، وأن كانت درجة انجاز هذا التصنيع متفاوته من منطقة لاخرى.

فصار هذا التطور متحكما اقتصاديا واجتماعيا في آسيا وامريكا اللاتينية على الأقل. وكان هذا التقدم من أهم نتائج انتصار حركات التحرير الوطنية التي سبق أن حققت فعلا الشرط الاول الاساسي من أجل انجاز التحديث المطلوب الاو هو الاستقلال السياسي. والمرحلة هي ايضا مرحلة تفكك تدريجي لنظم الانتاج الوطنية المتمركزة على الذات واعادة دمج العناصر المكونة لها في منظومة انتاجية عالمية الطابع. اقول ان هذا التآكل على الصعيدين المذكورين هو التجلي الجديد للعولمة وتعمقها.

(٤) أدى تراكم هذه التحولات الى انهيار موازين نظام مابعد الحرب العالمية الثانية. على أن هذا **الانهيار لم يؤد تلقائيا الى تكوين نظام عالمي جديد يتسم بسمات جديدة ويحل محل السابق**، بل ادى الى **فوضى** هي بدورها ناتج فشل في المجالات الثلاثة الآتية:

***مجال النظام السياسي والاجتماعي** حيث أن المنظومة العالمية لم تتكيف بعد لاحتياجات تجاوز الممارسات الوطنية في ادارة السياسة لكي تلائم هذه الأخيرة مقتضيات عولمة الاقتصاد.

***في مجال تنسيق العلاقات الاقتصادية والسياسية بين المراكز القديمة والبلدان الحديثة التصنيع** في آسيا وامريكا اللاتينية بحيث أن تتاح للاخيرة فرصة في اختراق الاسواق العالمية وان يستمر نموها مدعما على هذا الأساس.

***في مجال اقامة علاقات جديدة مع الاطراف التي لم تدخل بعد في مرحلة التصنيع** او التي لم تفلح في اختراق اسواق المنتجات الصناعية، والتي تعاني بالتالي من تهميش في المنظومة العالمية الجديدة.

تعاني جميع مناطق العالم- المتقدمة والمتخلفة- مما يترتب على الفوضى من نتائج مزلة في مجالات عديدة تخص السياسة والايديولوجيا والمجتمع. فالفوضى مسئولة عن العوائق التي تقف في سبيل تقدم المشروع الاوروبي حتى اصبح هذا الاخير عاجزا عن مواصلة سيره نحو اندماج سياسي يوازي اندماج الاسواق. هذا بالاضافة الى الاضطرابات التي تخص اوروبا الشرقية والعالم الثالث المصنع القادر على المنافسة الدولية والعالم الرابع المهمش.

اقول اذن ان اضطرام هذه التناقضات الجديدة تقوم دليلا على أن العولمة غير ثابتة، بل تتعرض لعوائق متفاقمة قد تقضي عليها.

(٥) **لايعني الاعتراف بالطابع الفوضوي للواقع الراهن غياب اتجاهات عامة ناتج فعل قوى تعمل في داخل النظام قد تؤدي الى تثبيته**، أو بتعبير ادق الى سيناريوهات مختلفة يتوقف تحقيقها على ناتج تفاعل عناصر متناقضة واحتمال تهدئة الامور في هذا الاطار وتدعيم توازنات ثابتة جديدة. ادعو هنا الى فتح النقاش حول هذه التساؤلات التي يتفاداها الخطاب السائد، وهو خطاب ينحصر في العموميات حول العولمة «التي لابديل لها»، دون ادراك ان الحوادث اليومية تثبت ان هذه العولمة مفروضة تماما.

وقد لاحظ القارئ انني اقترح هنا منهجا لايمت بلاشكالية «الهيمنة» بصلة. ذلك لانني لا أقرأ التاريخ الرأسمالي على أنه تسلسل «هيمنات» متتالية، بل ارتئي أن مفهوم الهيمنة المقترح يظل ضبابيا وغير علمي وسقيما وبالتالي لايمكن أن يكون محور البحث. على عكس ذلك طرحت أن «الهيمنة» لاتمثل القاعدة في التاريخ بل الاستثناء، وأن القاعدة هي الصراع بين منافسين يحول دون تحقيق الهيمنة المزعومة. فأرى- على سبيل المثال- ان هيمنة الولايات المتحدة في المرحلة الراهنة هي ناتج عدم تبلور بديل للخروج من الفوضى اكثر منها ناتج تفوق حقيقي للولايات المتحدة في مجالات حاسمة.



اقترح اذن الانطلاق في البحث عما هو جديد بالفعل في النظام العالمي، عما ترتب على تآكل سمات النظام السابق. وارى أن هذه العوامل الجديدة تخص مجالين اثنين هما:

* **مجال فعالية الدولة الوطنية التي لم تعد متمركزة على الذات**، فيتجلى التناقض الجديد في اختفاء التلاؤم بين مجال عمل قوانين تراكم رأس المال وهو مجال اصبح عالميا وبين مجال الادارة السياسة والاجتماعية التي لاتزال محكومة قطريا.

***مجال التعارض «مراكز- اطراف»** الذي لم يعد مرادفا للتعارض بين مناطق مصنعة ومناطق غير مصنعة، الامر الذي أدى بدوره الى اشكال جديدة للاستقطاب.

يحتل قطر معين موقعا في هرم التراتبية العالمية بحسب قدرته على اختراق الاسواق العالمية اختراق المنافس الناجح. لايعني الاعتراف بهذه البديهة قبول اطروحات الفكر الاقتصادي السائد وهي اطروحات تدعي أن الانجازات في تسلق سلم التراتبية هي ناتج تنفيذ سياسات اقتصادية «رشيدة»، علما بان الرشيدية هذه تعكس بمعايير الخضوع لما تعتبره هذه الرؤية «قوانين السوق الموضوعية» كلا.. على عكس هذا الخطاب الخاوي من مضمون علمي اقول ان القدرة التنافسية المحققة هي نفسها ناتج مجموعة مركبة من الشروط التي تفعل فعلها في مجال الواقع الاجتماعي بشموليته، أي في مجال الاقتصاد والاجتماع والسياسة. كما أقول ان المراكز تتمتع في هذا السباق بين غير متكافئين بما اسميه «الاحتكارات الخمسة» التي تكون محور تفوق فعالية المراكز. وهذه الاحتكارات الخمسة هي الآتية:

١-احتكار المراكز في مجال التكنولوجيا الحديثة، وهو إحتكار قائم على إفراط الانفاق. فلاتستطيع أن تواجهه عدا الدول العملاقة الغنية، ويمتنع الخطاب اللبرالي الجديد عن ذكر هذا العامل وأهمية دور الدولة والانفاق العسكري الذي لاتستطيع الاحتكارات الخاصة بدونه أن تمارس تفوقها في هذا الشأن.

٢- احتكار المراكز المسيطرة على التحولات المالية على صعيد عالمي. فقد انتجت لبرلة المؤسسات المالية العملاقة التي تنشط في الاسواق المالية العالمية، انتجت قدرة مالية لامثيل لها سابقا. فكان الجزء الاكبر من المدخرات المكونة في اطار قطري محدد محبوسا في التداول داخل القطر. واستمرت الاوضاع على هذا النمط الى وقت قريب. ثم اخذت الاوضاع في هذا الشأن تتحول خلال السنوات الاخيرة بسرعة متعجلة. فالجزء الاكبر من الادخار الوطني يدخل الآن في سوق مالية عالمية مندمجة، بفضل عولمة نشاط المؤسسات المالية العملاقة. لدرجة أن القطاع المالي اصبح الفرع الاكثر تقدما في العولمة من بين مختلف فروع رأس المال.

على ان هذا الاحتكار قائم على مبدأ قابل للانقلاب، فهو إذن في موقع مكشوف. وبالتالي يمكن انعكاس الاوضاع في شأنه بقرار سياسي بسيط وفك الارتباط المالي، أي اقامة رقابة على التحويلات التي تخص المجال المالي

البحث دون مس التحولات الاخرى المرتبطة بالتبادل التجارى علينا أن نتسا ءل اذن لماذا لم يحدث ذلك الى الآن واحتمال حدوثة فى المستقبل؟ سنعود الى هذه الاسئلة فيمابعد.

ينبغى أن نضيف هنا أن العولمة المالية- أي التحرك الحر للاموال- تفترض بدورها استمرار النظام النقدى العالمى على ما هو عليه حاليا، هذا بالرغم من إن اوان هذا النظام النقدي قد فات. فهذا النظام يقوم على التقييم الحر لقيمة العملات (كأن العملات سلع عادية مثل غيرها من السلع)، أى مبدأ «تعويم» العملات، وهو مبدأ يشترط بدوره مرجعية الدولار بصفته معيارا نقديا عالميا.

ازعم أن اعتبار العملات على انها «سلع» عادية لاأساس علمى له.

ازعم ايضا ان هذا النظام النقدى المدمر لايزال سائدا لعدم توافر شروط بديل افضل له، لاغير. أن عملة وطنية مالاتستطيع أن تقوم بفعالية بوظائف العملة الدولية إلا اذا توافرت شروط موافقة على ارضية القدرة التنافسية للدولة صاحبة العملة المعنية، بحيث أن تتيح هذه الشروط فائضا هيكليا فى الميزان التجارى لهذه الدولة، وبالتالى تتيح هامشا للتحرك وانجاز التكيف الهيكلى المطلوب من الدول الاخرى. هذا كان شأن بريطانيا فى القرن التاسع عشر. ولكن ظروف الولايات المتحدة الراهنة تناقض تماما هذا المبدأ إذ أن ميزان تجارتها يعانى من عجز هيكلي دائم بدلا من فائض. وتغطى الولايات المتحدة عجزها بالاقتراض الذى تفرضه على الآخرين. أما فائض منافسى الولايات المتحدة رأي فائض اليابان وحده (إذ أن فائض المانيا تلاشى فى أعقاب تحقيق وحدتها)- فهو لايقاس باحتياجات التكيف الهيكلى على صعيد عالمى. بل يقل عن هذه الاحتياجات بمقادير هائلة، لذلك لا أرى أن العولمة المالية تفرض نفسها كقدرة لامفر منها، بل أرى أنها معرضة لانهيار محتمل. وفى الأجل القصير لاتؤدى هذه العولمة الى تثبيت الأمور، بل على عكس ذلك تزول إلى مزيد من الفوضى التقلباترالفجائية التى تعوق عمليات التكيف الهيكلى المطلوب.

إلا أن انهيار النظام النقدى السائد لم يحدث إلى الآن. ولنا أن نتساءل عن أسباب استمراره. لي فى هذا الموضوع أطروحة مفادها أن العولمة المالية فرضت نفسها «كحل» وحيد لأزمة الرأسمالية الهيكلية، فالأزمة تتجلى فى ظهور فائض الادخار على فرص الاستثمار فى الأنشطة المنتجة، وبالتالى فإن هذه الأموال الفائضة معرضة لتبخيس قيمتها، أى انهيار على نمط ماحدث فى أزمة الثلاثينات. إلااذا توافرت فرص أخرى للاستثمار فى انشطة مالية مربحة تحل محل نقص الربحية فى الاستثمار المنتج. ازعم أن السلطات العليا التى تتحكم فى أخذ القرار على صعيد عالمى- أى بمعنى آخر مجموعة «السبع» (جى سفن) والمؤسسات الدولية التنفيذية التابعة (ومنها صندوق النقد)- تنشغل بهذه الهموم اكثر من انشغالها بأى امر آخر. فهى تعطى الاولوية «لادارة الأزمة»- أى منع الانهيار وتجنيس رؤوس الاموال- على البحث عن وسائل «لحل الأزمة».

وفى هذا الاطار- أى اطار ادارة الأزمة- **تلزم عولمة السوق المالية وتعميم العملات وعجز ميزان الولايات المتحدة والديون الخارجية وارتفاع اسعار الفائدة النقدية بدور اساس**. وتعمل هذه الآليات معا متكاملة بعضها لبعض. فحرية التحويلات المالية تعطى فرصا للربح السريع فى المضاربة المعتمدة على تقلبات اسعار الصرف التى تلازم تعميم العملات. واسعار الفائدة المرتفعة تفرض نفسها بصفتها ثمن تأمين الاموال المعرضة للخسارة في المضاربة. وعجز ميزان الولايات المتحدة يعطى اكبر فرصة للاستثمار المالى للربح المطلوب. كذلك تقوم الديون الخارجية للعالم الثالث بدور مماثل فتقدم فرصا للاستثمار المالى المربح. لذلك ازعم ان **السلطات العليا الحاكمة لاتبحث بجدية على «حل مشكلة الدين الخارجى»**، بل تنشغل بادارة هذه الديون فقط أى ضمان استمرار سداد خدمتها.

على أن ادارة الأزمة بهذه الاساليب لابد أن تؤدى بدورها الى استمرارها وتفاقم خواطرها، مثل الركود فى الانتاج والتزيد فى البطالة. ولكن هذا الأمر «طبيعى» بمعنى انه يتفق مع منطق الرأسمالية وتحكم ربحية الأموال. فالرأسمالية ليست نظاما اجتماعيا محكوما بمقتضيات النمو وضمان توظيف الايدى العاملة، بل هى **نظام تحكمه** الربحية فالبطالة هى مشكلة بالنسبة الى ضحاياها، وليست مشكلة رأس المال.

٣- احتكار المراكز فى مجال القرار بشأن استخدام الموارد الطبيعية على صعيد كونى. ويعلم الجميع المخاطر المتفاقمة التى تهدد مستقبل الكون من وراء الافراط دون تحفظ فى استغلال الطبيعة، الناتج عن اعتماد الرأسمالية على مبدأ الرشيدية القصيرة الاجل. وتستغل المراكز المتقدمة موقعها القوى للتحكم فى استخدام هذه الموارد على نطاق عالمى.

٤- احتكار المراكز فى مجال الاعلام والاتصال وهى وسائل صارت ذات فعالية لاسابق لها فى نشر عوامل «ثقافية» (أو شبة ثقافية من درجة سفلى) من شأنها ان تؤثر تأثيرا ملحوظا فى تطور السياسات المحلية. هذا بالاضافة الى مسئولية الاعلام فى تأكل مفهوم الممارسات الديمقراطية والمناورة بها، وذلك ليس فقط فى العالم الثالث بل ايضا فى الدول الغربية نفسها.

٥- واخيرا احتكار المراكز فى مجال اسلحة التدمير الشامل النووية وغير النووية. وان كان هذا الاحتكار قد وضع حدا له خلال مرحلة الثنائية العسكرية، فهو اصبح الآن- مرة أخرى- كما كان الشأن عليه عام ١٩٤٥- أى احتكارا مطلقا لصالح الولايات المتحدة التى ترفض اخضاع القرار فى استخدام هذه الاسلحة المدمرة لادارة دولية ديموقراطية حقيقية. وفى غياب مثل هذه الادارة فان انتشار هذه الاسلحة عالميا، بالرغم من كل المخاطر المحيطة به، يمثل الوسيلة الوحيدة للحد من اضرار الاحتكار الامريكى.

أقول ان هذه الاحتكارات الخمسة تعمل معا وتعطى مضمونا لقانون القيمة المعولمة. فليس هذا القانون تعبيرا عن رشيدية اقتصادية «محضة» يمكن فصلها عن الاطار الاجتماعى والسياسى الذى يعمل فيه، بل يجب اعتبار قانون القيمة على انه تعبير «مكثف» للتكيفات الاجتماعية والسياسية المذكورة هنا تحت عنوان الاحتكارات الخمسة. ازعم ان هذه التكيفات تلغى مغزى تصنيع الاطراف، فتعمل فى اتجاه تبخيس القيمة المضافة المنوطة بهذا الانتاج الصناعى بينما ترفع نصيب القيمة المضافة فى الانشطة المرتبطة بالاحتكارات الخمسة المذكورة. فهذه التكيفات تنتج اذن تراتيبية جديدة على صعيد توزيع الثروة عالميا، تراتية غير متكافئة تحول صناعات الاطراف الى نوع من التصنيع من الباطن المسيطر عليه من خلال عمل الاحتكارات. هذا هو- فى رأيى- الشكل الجديد للاستقطاب كما اراه ناميا فى المستقبل.



لذلك ازعم ان مشروع «العولمة من خلال سيادة السوق» -وهو يمثل جوهر مضمون الخطاب السائد- انما هو مشروع طوباوي رجعي. فلابد من انماء مشروع انساني بديل يخضع مقتضيات العولمة لاحتياجات التقدم الاجتماعي.

يفترض انجاز مثل هذا البديل اعادة بناء النظام السياسي العالمي بعيدا عن المقتضيات ذات البعد الوحيد في خدمة السوق. فيفترض التركيز على تأطير عمل قوانين هذه السوق. لقد كانت الدولة الوطنية هي الأداة الفعالة سياسيا واجتماعيا في تأطير عمل السوق الوطنية المندمجة. والآن نحن في حاجة الى نظام سياسي واجتماعي على صعيد عالمي يستجيب لعولمة الاقتصاد ويحدد شروط عمل السوق بفعالية متماثلة. واري أن لهذا النظام المطلوب مسئوليات اساسية على الاقل في الميادين الاربعة التالية:

***تنظيم نزع السلاح على صعيد** عالمي- بدءا بالدول الاكثر تسليحا (أي الولايات المتحدة)- بالتالي تحرير الانسانية من ذعر التهديد النووي والاشكال الاخرى من التدمير الشامل.

***تنظيم توزيع عادل في استخدام ثروات الكرة الطبيعية**، وتأسيس المؤسسات الملائمة لهذا الغرض، واضعا بحق القرار. واري في هذا الاطار المبادرة في انشاء نظم ضرائبية تخص هذه الموارد الاساسية فتحد من التبذير في استخدامها كما تقيد توزيع الريع المستخرج من استغلالها لصالح البلدان الفقيرة. هذه المبادرة تمثل اذن حنينا لانشاء نظام ضرائبي مستقبلي عالمي النطاق.

***فتح مفاوضات بين تجمعات اقليمية** (الولايات المتحدة، أوروبا الغربية، أوروبا الشرقية، اليابان، الصين، الهند، الوطن العربي، افريقيا، امريكا اللاتينية، جنوب شرق آسيا) من أجل اعادة تنظيم العلاقات الاقتصادية (التجارية والمالية والنقدية) بينها على اساس احترام الاستقلالية الذاتية المطلوبة لكل هذه التكتلات الاقليمية والبلدان الكبرى آخذا في الاعتبار عدم تكافؤها من حيث القدرة التنافسية وتباين احتياجات تنميتها الاقتصادية والاجتماعية. ويتطلب انجاز هذه الاهداف التحرر من الرؤى الضيقة الافاق للمؤسسات المتحكمة حاليا في هذه المجالات (البنك الدولي صندوق النقد، الجات) واقامة انواع اخرى من المؤسسات الاقليمية والعالمية لتحل محلها.

* **فتح حوار ومفاوضات تتيح ادارة التناقض الجدلي بين «العالمي» و«المحلي» في مجالات الاعلام والثقافة والسياسة.** ويتطلب انجاز هذا الهدف اقامة مؤسسات سياسية جديدة تتيح تمثيل المصالح الاجتماعية المختلفة التي تعمل في الساحات المحلية والعالمية، أي بمعنى آخر اختراع جنين مؤسسة يحتمل أن تتطور الى نوع من «البرلمان العالمي» يتجاوز المؤسسات القطرية التي تنفرد بالقرار الى الأبد.



من الواضح أن الاتجاهات السائدة عالميا لاتشير الى تطور يميل الى انجاز المشروع الانساني الموصوف هنا. بل ليس هذا المشروع البديل موضع رهان الصراعات المنبسطة في الساحة حاليا. على أن هذا الوضع لايدهشني، بل لكنت قد اندهشت فعلا اذا كان الامر غير ذلك. فتآكل النظام القديم لايهئ من تلقاء نفسه ظروفا مناسبة لتجاوزه، بل ينتج في مرحلة اولى فوضى، لاغير. وتندرج خطط القوى المسيطرة في اطار هذه الفوضى للاستفادة منها في الاجل القصير، ولو ادى ذلك الى تفاقم ظواهر الفوضى. كما أن هذه القوى تعبئ لصالحها خطابا ايديولوجيا يدعى أن «**آليات السوق تضبط الامور تلقائيا**» وأن «**ليس ثمة بديل لها**»- كي تعطي شرعية لممارساتها في ادارة الازمة لصالحها. على أن هذه الادعاءات ليست حلولا للازمة، بل هي جزء من المشكلة نفسها وتجلٍ عنها. أما ردود فعل الشعوب ازاء تفاقم ظروف معيشتها المادية والمعنوية، فليست هي الاخرى بالضرورة ايجابية بشكل فوري. فهناك اجابات تتمظهر من خلالها الحيرة، لاغير. ومنها الاجابات الماضوية الوهمية- الدينية السلفية والشوفينية الاثنية- فهي دون مستوى التحدي الحقيقي الذي لاتدرك مغزاه. **اعتقد أن مسئولية اليسار التاريخية هي بالتحديد بناء اجابات صحيحة في النظرية والعمل.** ودون ذلك سيظل التكوين السلبي- واحيانا الاجرامي- احتمالا واردا.

تضرب العوائق الفجائية التي يتصدى لها المشروع الاوروبي مثالا واضحا عن مأزق فكرة «العولمة من خلال السوق». بعد ان توقع حدوث مثل هذه الارتباكات كان مطلوبا وممكنا، ولكن جو التحمس الذي ساد في مرحلة مد المشروع قد حال دون تنبؤها. اما نحن- من ضمن هؤلاء الذين لم يؤمنوا يوما ما أن اندماج السوق يتبع تلقائيا الوحدة السياسية- فكنا نزعم أن انجاز المشروع الاوروبي يتطلب مبادرة جريئة من قبل اليسار الاوروبي بحيث ان يؤطر اندماج الاقتصاد بمشروع اجتماعي وثقافي تقدمي على صعيد اوروبا. وأن دون ذلك سيظل مشروع الادماج الاقتصادي معرضا لاحتمال انقلابه. فكان على قوى اليسار الاوروبي ان تفرض مصاحبة كل خطوة في تقدم اندماج الاسواق بخطوات موازية تضمن استفادة الطبقات العاملة منها (الامر الذي كان من شأنه أن يدعم موقع الطبقات العاملة في الصراع الاجتماعي) وتنشئ مؤسسات سياسية مشتركة تتجاوز الدولة الوطنية (وهي الشكل السياسي الملائم لادارة السوق المندمجة بفعالية). ولكن هذا لم يحدث، فقوى اليمين هي التي حملت على عاتقها المشروع، وحبسته في آفاق مركنتيلية بحتة. **أما اليسار فانضم باكرا او متأخرا للنمط المطروح دون أن يناضل من أجل فرض شروطه.** وهاهي النتيجة بينه اليوم أمام اعيننا: لقد ادى التحول في الظروف الاقتصادية العامة الى اصطدامات بين الدول الاعضاء، التي ترى نجدتها من الاثار السلبية للازمة (خاصة تزايد البطالة) في اتخاذ اجراءات من شأنها أن تؤثر سلبيا على غيرهم من المشتركين في المشروع. هذا بالاضافة الى أن هذه المواقف الانانية القصيرة النظر ليست فعالة لعدم توافر وسائل تنفيذ حاسمة. فالدول الوطنية منزوعة من وسائل تضمن تأطير منطق السوق. وبالتالي فهي مندفوعة في اتجاه تكوري سلبي. هكذا نرى أن المسئولين الذي يخشون مثل هذا التكور ويؤمنون باخلاص بخطورته- وهؤلاء يتواجدون في كلا اليمين واليسار في فرنسا والمانيا- لايجدون عدا خطاب التعزيم في مواجهة تدهور الامور.

وقد انفجرت ازمات «**اوروبا السوق المشتركة**» في لحظة انفجار ازمة كبرى أخرى في أوروبا الشرقية، الامر الذي اضفى ابعادا جديدة للتحدي. كان تدهور النظم

الستالينية فى أوروبا الشرقية يمثل فرصة لقوى اليسار على صعيد اوروبا الكبرى ، بشرط أن تستغل الظروف وتتقدم بمبادرة من أجل اعادة بناء أوروبا الكبرى اقتصاديا وسياسيا معتمدا على جناحها اليسارى باعادة توحيد قوى الطبقات العاملة على هذا الصعيد. فبات اليسار هذه الفرصة تترك الساحة مفتوحة لقوى اليمين التى استغلت انهيار النظام السوفييتى من أجل تشجيع رأسمالية همجية لتحل محله. لاشك أن هذا المشروع الاخير- الذى اسميه مشروع «لتن امركة» اوروبا الشرقية- لابد أن يؤدى الى مزيد من اضعاف قوى اليسار اوروبيا وبالتالى الى تفاقم الاختلال فى التوازنات الاوروبية. لاشك أن هذا الوضع يفيد فقط الطرف الاكثر قدرة على استغلال سريع للظروف ، اقصد المانيا، وذلك على حساب مشتركيها الاخرين فى اوروبا الغربية.

اعتبر ازمة المشروع الاوربى احد التحديات الكبرى التى يصطدم بها مشروع العولمة. على أن أوروبا ليست الاقليم الوحيد الذى يعانى من عواقب العولمة الجديدة والذى لم يكن رد فعله مناسبا وايجابيا. ففى العالم الثالث، وبالاخص فى المناطق المهمشة بسبب عجزها عن تجاوز حدود التخصص القديم فى تصدير الخامات (العالم العربى والاسلامى والافريقى). وكذلك فى العالم الثالث الجديد الناتج عن انهيار نظم شرق أوروبا، نشاهد ايضا تكورات سلبية وردود فعل مدمرة دون ان نرى بصيص اجابة موفقة وتقدمية يبزغ فى افاق المستقبل المنظور، الى الآن على الاقل.



يستطيع المحلل «الواقعى» أن يرسم سيناريوهات عديدة انطلاقا من تركيب القوى المتصارعة فى الفوضى الراهنة، والاحتمالات المختلفة لتطورها. وسوف اتناول بعض هذه السيناريوهات موضحا انها عاجزة عن تحقيق الاستقرار، وبالتالى انها جميعا سيناريوهات استمرار الفوضى.

تحتل اشكالية المشروع الاوروبى موقعا محوريا فى تصور مختلف الاحتمالات المستقبلية. فاذا تفكك المشروع الاوربى «الامثل» - أى مشروع اندماج اوروبا اقتصاديا وسياسيا بالموازاة- لعل القوى التى تظل تتمسك بالفكرة سوف تقبل ماقد يبدو لها على انه «الامثل من الدرجة الثانية» ، اقصد «اوروبا الالمانية» (أى مشروع يعطي لالمانيا دورا قياديا فى القارة). وهذا المشروع الاخير الذى يفترض «لتن أمركة» اوروبا الشرقية لصالح التوسع الالمانى ، هو الخطة الالمانية الاصلية منذ ايام **بسمارك الى هتلر**. نفترض اذن هنا أن الاطراف الاخرى- فرنسا وايطاليا واسبانيا- أما تندرج فى الخطة الالمانية أو ترفضها وفى هذه الحالة تسير المانيا وحدها فى مسيرتها دون عمل حساب لمعارضة مشتركيها. اما بالنسبة الى بريطانيا نفترض هنا انها ستبعد تدريجيا عن المشروع الاوربى وتقترب من الولايات المتحدة. وهناك ادلة عديدة تشير الى احتمال قوى للتطور فى هذه الاتجاهات واضفاء مشروعية لها.

على سبيل المثال قبلت الدول الاوروبية اعطاء اولوية لاقامة ادارة نقدية «محايدة» ، أو بتعبير ادق واوضح اندماج البنوك المركزية الوطنية فى مشروع بنك مركزى اوروبى سوف يكون اداة تنفيذ السياسات النقدية والألمانية، علما بان مفهوم الادارة النقدية «المحايدة» مفهوم تكنوقراطى يتجاهل المغزى السياسى فى اصدار النقد. بيد اننى لاتصور ان مثل هذا المشروع يمكن ان ينجز درجة معقولة من الاستقرار، لان فى الاجل الطويل لايمكن أن يكون مقبولا من قبل دول مثل فرنسا وروسيا.

اضيف الى ذلك أن سيناريو هيمنة المانيا على صعيد اوروبى- سواء تحققت هذه الهيمنة فى اطار المشروع الاوروبى ام تفكك هذا المشروع- لن يهدد موقع الولايات المتحدة على الصعيد العالمى.

ذلك لان فى مجالات الاحتكارات الخمسة المذكورة لن تصبح المانيا قادرة على منافسة الولايات المتحدة. فأوربا الالمانية لابد أن تبقى تحت المظلة الامريكية وأن تقتفى اثرها.

تنقلنا هذه الملاحظة الاخيرة الى تناول موضوع سمات السيناريو الثانى ومفادة **اعادة انعاش الهيمنة الامريكية التى سادت بعد الحرب العالمية الثانية ثم اخذت فى التلاشى. فهاهى تعود الى مقدم المسرح بسبب غياب بديل،** على أن لهذا السيناريو اشكالا عديدة ممكنة. ومنها - والاكثر احتمالا- نوع من «المشاركة» وتقسيم «عبء الهيمنة» كما يقال، وذلك من خلال «اقلمة» المسئوليات فى مشروع يربط امريكا اللاتينية بالولايات المتحدة وافريقيا بأوروبا (دون أن تشمل هذه المنطقة الخليج النفطى وملحقاته فى «السوق الوسطية» التى تنتمى الى منطقة نفوذ مباشر للولايات المتحدة بالاشتراك مع حليفها اسرائيل)، وكذلك - من باب المنظرة- تترك آسيا الجنوبية الشرقية للتوسع اليابانى. لاحظ القارئ أن هذا التقسيم الاقليمى الاستعمارى الجديد غير متكافئ بمعنى ان دور الولايات المتحدة على صعيد عالمى يظل دون منافس. اعتقد أن هذا المشروع الاستعمارى الجديد هو الآخر غير واقعى ولن ينتج استقرارا لانه سيتصدى بالضرورة لانتفاضات شعوب امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا.

علينا الآن أن ننظر من قريب الى أوضاع آسيا- وهى المنطقة البعيدة عن المنافسة باوروبا والولايات المتحدة . **ننطلق هنا من ملاحظة هامة مفادها أن آسيا تمثل استثناء فى الازمة العالمية الراهنة. فآسيا الشرقية- الصين «الشيوعية» بالاخص واليابان وكوريا - وكذلك آسيا الجنوبية الشرقية ولو بدرجة محدودة ثم الهند- تكون منطقة لاتزال تحقق معدلات نمو مرتفعة بالمقارنة مع المناطق الاخرى ولاتزال فى الصعود فى هرمية القدرات التنافسية واختراق الاسواق.** لذلك يزعم البعض أن «آسيا» هى المرشح الصحيح للهيمنة القادمة.

لاأشارك هذه الرؤية المبهمة ، اولا لأن «آسيا» تتكون من عدد من القوميات والدول المتميزة وتضم نصف سكان الكون واكثر. ثانيا لأن مفهوم الهيمنة نفسه هو مفهوم ضبابى فى تقديرى. افضل اذن القول بان آسيا يمكن أن تصير اهم اقليم تراكم رأس المال فى المستقبل، بدلا من الحديث عن هيمنة . على ان قولى هذا يتطلب بدوره مزيدا من التفسير والتوضيح .فلابد من تحديد آليات التراكم المعنى هنا وآليات تمفصل مختلف بلدان المنطقة فى هذا الاطار. وهنا نتصدى الى سيناريوهات عديدة ممكنة ومتباينة. منها سيناريو سيطرة اليابان، وهو السيناريو الذى يأتى مباشرة للذهن. على ان هذا السيناريو هو الأقل احتمالا لاسباب عديدة، منها نقاط ضعف اليابان، التى لا تخطر ببال كثير من المعلقين، وهى تفرض على هذه البلاد أن تظل تحت مظلة الولايات المتحدة. ومنها استحالة تصور أن الصين- وكوريا كذلك- ستقبل هذه السيطرة. وبالتالى ستظل آسيا منطقة اختلال

في التوازنات الداخلية الخاصة بها، الأمر الذي يعطي للقوى الأخرى- الولايات المتحدة هي المرشح الوحيد في هذا الصدد- هامشا هاما لاستمرار التدخل في شؤونها.

لايعني ذلك أن آسيا- والصين خاصة- لن تحقق مكاسبا عظيمة من شأنها أن تؤدي الى ترقيتها في هرمية النظام العالمي. كيف سيكون رد فعل الولايات المتحدة لهذا التحدي؟ وهو التحدي المستقبلي الخطير الصحيح؟ اعتقد أن تركيب التحالفات على صعيد عالمي سيدور حول هذا المحور الاساسي؛ وذلك لسبب بسيط الا وهو أن نمو الصين سيغير جميع التوازنات على صعيد عالمي. لذلك ترى الولايات المتحدة ان هذا هو التهديد «الحقيقي» الوحيد للمستقبل، فتستعد لمواجهته، وماذا سيكون موقف أوروبا من هذا النزاع؟ يصعب حسم القول في هذا المجال.



أن السيناريوهات المختلفة المذكورة هنا لاتغير شيئا بالنسبة الى الاستقطاب شمال/ جنوب. اذان منطق التوسع الرأسمالي في جميع الاحوال يظل قائما على آليات اساسية تنتج هذا الاستقطاب، وأن الاحتكارات الخمسة المعتبرة هي الصورة المستحدثة لهذه الآليات.

ليس معنى استمرار الاستقطاب أن التاريخ ثابت، «فلا جديد تحت الشمس» كما يقال. على عكس ذلك زعمت أن ثمة تحولا هاما قد حدث نتيجة نهضة شعوب الاطراف وهي ضحايا التوسع الرأسمالي. فهذه الشعوب التي فرض عليهما التوسع الاستقطابي منذ خمسة قرون التي ظلت عاجزة أمام عواقبة لفترة طويلة قد اخذت منذ نصف القرن الاخير تتحرك وتعبئ قواها وتفرض تنازلات على المراكز المسيطرة. ولن تقف هذه الحركة بل لابد أن تستمر وان تتجذر تدريجيا. لقد انتجت الرأسمالية تناقضا لابد أن يؤدي الى تجاوز افاق منطق الرأسمالية. فمن جانب وضعت الرأسمالية العالمية في جدول التاريخ- شئنا أم ابينا- ومن الجانب الاخر لم تقدم عدا صورة مبتورة للعالمية التي حققتها. تبقى الاستقطاب حدا على العالمية كما تحققها الرأسمالية القائمة بالفعل. وقد سبق أن ادى هذا التناقض الى الثورة- في روسيا والصين- تلك الثورة التي اراها بالاساس ثورة وضعت امامها هدف تجاوز الوضع الطرفي لروسيا والصين، الناتج عن قوانين الاستقطاب فلابد أن ثورات اخرى لشعوب الاطراف التي تجد نفسها في وضع مماثل تطرح لنفسها بدورها نفس الهدف. **لذلك اعتقد أن جميع «النظم العالمية» التي يمكن تصورها لن تحقق استقرار طالما ظلت قائمة على منطق الرأسمالية.** طبعا ستظل هذه الصراعات غير متكافئة من حيث قدرتها على انتاج اجابات صحيحة، كما كان الامر عليه في الماضي. على انني اتصور- من باب الحدس- أن الصراع الاساسي الذي سيحكم مستقبل التطور العالمي هو الصراع بين شعوب آسيا والرأسمالية السائدة. لايعني ذلك استبعاد صراعات الشعوب الاخرى وتجاهل احتمال تحقيقها خطوات ملحوظة في سبيل تقدمها. كما لايعني ايضا استبعاد دور شعوب المراكز. **فالاحتمال أن تحقق هذه الشعوب خطوات تؤدي بها الى تجاوز منطق الرأسمالية هو احتمال وارد ايضا.**

هكذا اتصور المسيرة الطويلة من الرأسمالية العالمية المبتورة التي تلازمها الى **الاشتراكية العالمية والتخلص من الاستقطاب وتحقيق عالمية حقيقية شاملة. أضيف الى ذلك أن** تفاؤلي العام لايستبعد ايضا اعتبار احتمال فشل تلك الصراعات التي تحبس الشعوب في وهم رفض العالمية وفي التقوقع «الثقافوي».

وقد يبدو مشروع الاجابة الانسانية على تحدي العولمة الرأسمالية مشروعا «مثاليا» لاقصى الدرجة وبالتالي طوباويا. لااشارك هذه النظرة، بل اعتقد، على عكس هذا القول الاخير، أن المشروع المطروح مني هو المشروع الواقعي الوحيد. بمعنى أن أي تقدم في اتجاهه لابد أن يجد صدى عظيما لدى الشعوب وبالتالي أن يقود الى تبلور قوى اجتماعية هامة تنضم اليه، وذلك على صعيد جميع اقاليم الكون. وسيفتح السير في هذا الاتجاه افاقا جديدة لاستحداث تطلع الاشتراكية العالمية. علما بأ الخطوة الاولى المطلوبة لجمع شروط ملائمة هي اعادة انتاج القوى الايديولوجية والسياسية القادرة على مواجهة تحديات الاحتكارات الخمسة المذكورة والحد من اضرارها، ومن وراء ذلك فرض «تكيف متبادل» يحل محل التكيف من جانب واحد أي تكيف الاطراف لمقتضيات استمرار التوسع الرأسمالي الاستقطابي.

وفي المجال الايديولوجي والثقافي يفرض هذا النضال اعادة النظر في مختلف ابعاد التحدي واهمها هي: (١) جدلية العلاقة بين العام (العالمي) والخاص (القطري)، (٢) جدلية العلاقة بين الديموقراطية السياسية والتقدم الاجتماعي، (٣) جدلية العلاقة بين الفعالية الاقتصادية (ومعاييرها التي تتجلى في آليات السوق) وبين قيم المساواة والاخوة (٤) تحديد الهدف الاشتراكي العالمي على ضوء الاجابات على التساؤلات السابقة الذكر.

على جبهة السياسة الدولية يفترض المشروع اختراع اشكال ملائمة لتنظيم المؤسسات العالمية بحيث أن تصير اكثر ديمقراطية وبالتالي اكثر قدرة على أ تكون القاعدة السليمة من أجل اعادة بناء العلاقات الاقتصادية وتطويرها في اتجاه يحقق المساواة بالتدريج. وفي هذا الاطار ارى أن «اقلمة» الكون، أي بناء تجمعات اقليمية واسعة تضم الاطراف المفتتة حاليا، يجب أن يعتبر من اول الاولويات في العمل. ارى في هذا الصدد ضرورة تكوين تجمعات في امريكا اللاتينية وفي الوطن العربي وفي افريقيا وفي جنوب شرق آسيا، الى جانب القطرين القارتين (الصين والهند). واطرح هذا الهدف كاهم هدف استراتيجي لاعمال مجموعة «عدم الانحياز» التي يجب انعاشها. على أن هذه التكتلات لاتستبعد ايضا بناء مجموعات اقليمية اخرى، خاصة في أوروبا والاتحاد السوفييتي السابق.

ترجع ضرورة بناء هذه التجمعات الاقليمية الى سبب بسيط وبديهي الاوهو انه يمثل الشرط الذي لامفر منه في مواجهة تحدي الاحتكارات الخمسة مواجهة ناجحة على اساس هذه التكتلات، وعلى اساسها فقط يمكن اعادة بناء نظام اقتصادي ومالي عالمي ملائم، نظام يوفق بين احتياجات التنمية على المستويات القطرية والاقليمية وبين مقتضيات الاعتماد المتبادل الصحيح والعادل على صعيد عالمي.

قطعا لابد أن يبدأ العمل من اساسه وهو المستوى المحلي. ففي غياب تقدم في الاتجاه المطلوب على هذه الارضية سيظل الخطاب عن العولمة والاستقطاب خطاب تحليل الواقع دون قدرة على تغييره.

تيارات

●● «دخلنا مسيرة السلام ونحن ملتزمون بها على الأسس التي قامت عليها : تنفيذ قرارات مجلس الأمن، والأرض مقابل السلام. ومازلنا نقول أن من حق شعبنا أن يستمر في مقاومته مادام هناك احتلال على أرضنا. لقد كررت مرارا تحفظي على هذه الاتفاقات المعقودة، لأنها تنتقص من حق الشعب الفلسطيني طبقا للشرعية الدولية..»

فاروق القدومي
رئيس الدائرة السياسية
في منظمة التحرير الفلسطينية

فاروق القدومي — عبد الحميد مهري

علي سالم البيض — ابراهيم فرج

●● «الحوار الوطني الجاد يجب أن يشمل كل القوى السياسية المؤثرة في الساحة. ولا نعتقد أن المشاكل المعقدة التي تمثل جوهر الأزمة الخطيرة التي تتخبط فيها البلاد يمكن أن تجد الحل الناجح في حوار يجمع البعض ضد البعض، أو في حوار يجمع البعض دون البعض، أو في حوار يجمع البعض قبل البعض. إن إشراك جميع القوى السياسية الفاعلة بما فيها الجبهة الاسلامية للانقاذ في الحوار الوطني المقبل ضروري للتغلب على الأزمة».

عبدالحميد مهري
الامين العام لجبهة التحرير الوطني الجزائري

●● «إن قوات الأمن الفلسطينية لن تشهر السلاح ضد الاسلاميين الذين يهاجمون اسرائيليين، ولكنها ستستخدم بدلا من ذلك الاقناع لمنعهم من شن هجمات... أن الشرطة الفلسطينية لا تريد المخاطرة بإثارة حرب أهلية بالتصدي مباشرة لحركة المقاومة الاسلامية (حماس) التي تعارض اتفاق أوسلو للحكم الذاتي الفلسطيني بدءا بغزة وأريحا..»

اللواء غازي الجبالي
قائد الشرطة الفلسطينية في قطاع غزة

●● إن عالمنا النامي يئن تحت وطأة الامبريالية المالية للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي..»

روبرت موجابي
رئيس جمهورية زيمبابوي

●● «في هذه اللحظات الحزينة التي يودع فيها الوطن جثمان الراحل العظيم ابراهيم فرج بعد نضال طويل متصل من أجل كل ماآمن به واعتبره طريقا لخلاص الوطن والمواطنين. أتوجه البكم والى كل ابناء مصر بالعزاء في هذه الشخصية الفذة التي كانت دائما نموذجا للشجاعة والاقدام والاحرار والحرص على الاستقلال الحقيقي والديمقراطية الكاملة ، والانفتاح على كل التيارات والقوى الوطنية والديمقراطية والعقلانية. ولن يعوض الوطن عن هذه الخسارة الا تكاتف كل القوى والاحزاب المؤمنة بالديمقراطية والحرية من أجل تغيير أحوال الوطن والناس».

حسين عبد الرازق
حزب التجمع

●● «ولن يستطيع الحزب الاشتراكي (اليمني) ترميم نفسه وتعويم خطه سياسيا الا إذا كان في المعارضة.. وتقدم وثيقة العهد الاتفاق القاعدة السياسية النموذجية لهذا الخط.. والمعارضة تأسيسا على الوثيقة هي فرصة الحزب الاشتراكي الوحيدة، وهي بالمناسبة ، فرصة القوى غير المشاركة في السلطة، وبالتالي فرصة التعددية. المعارضة ، هي بهذا المعنى، خدمة يؤديها الحزب الاشتراكي لليمن، وهذا أقل مايمكن المطالبة به بعد كل ماحصل»

جوزيف سماحة
الحياة (اللندنية)

العسكر .. يبحثون عن شرعية

د. محمد عصفور

أي انقلاب عسكري لابد وأن يقدم للشعب المبررات التي تشفع للمحاربين أن يتقلدوا سلطة الحكم، وهم بذلك يتجاوزون نطاق تخصصهم ووظيفتهم ، ويغزون منطقة أخرى.. وهناك في الأدب السياسي أكثر من مدرسة فكرية تساند حق العسكر في تقلد السلطة السياسية وحكم المجتمع المدني. وكل مايقدم من حجج أو تبريرات يمثل السند الشرعي «لاغتصاب السلطة المدنية»

ومن الابحاث المتعمقة في خصائص «العسكرة مايشير الى مايسمى بالميثولوجية العسكرية» وهي الأيديولوجية التي تنسب للعسكر رسالة يعجز عن تحقيقها المدنيون.

إن الدراسة المركزة والجيدة التي قدمها **«د. فؤاد اسحق الخوري»**

بعنوان **(العسكر والحكم في البلدان العربية)** دار الساقي طبعة ١٩٩٠ تشير في أكثر من موضع الى أن العسكر عندما يتقلدون السلطة يتخذون عددا من الاجراءات والمقاييس (اما بهدف إثبات شرعية الحكم أو بهدف ترسيخ تصور العسكر وكأنه نموذج جديد للتنمية والتقدم.. فالجيش يصور نموذجا للتنمية.. وهو مايعني أن مهمة العسكر ليست مختصة بالدفاع عن الوطن فحسب. وانما هي بالاضافة الى ذلك نموذج للتنمية) ص٤ ولهذا السبب تتردد تعبيرات لافتة للنظر عن «الثورة الانمائية، أو ثورة التحرير».. الخ ص٧

وفي بعض الدول العربية يجسد العسكر أيديولوجية الدولة. وفي سوريا يعتبر الجيش «القوة الصاهرة للمجتمع.. وبهذا الشكل بات العسكر رمز الوحدة الوطنية وأداة الصهر الاجتماعي.. إنه رمز الوحدة الوطنية وليس تنظيما أو حركة قومية..» وينفي د. **الخوري** تصوير العسكر على (أنه أداة للتنمية ووسيلة للوحدة القومية أو الوحدة الوطنية وبأنه قوة صاهرة. هذا التصور لايتماشى فعلا مع الواقع.. وأن تدخل الجيش في السياسة وسيطرته على الحكم مرهون لابدور العسكر الطبيعي في الإنماء والتقدم، انما يعتمد على النظم الاجتماعية السائدة والمؤسسات السياسية القائمة في المجتمع كالأحزاب والتكتلات والتيارات العقائدية » ص ٣١-٣٢

المبالغة في دور الجيش في التحديث

يشير د. **فؤاد** اسحق الخوري الى مبالغات الكتاب الغربيين السياسيين في دور الجيش في التحديث والعصرنة. فيقول: «إن دور العسكر في التحديث والعصرنة قد لقي اهتماما كبيرا من الباحثين وخصوصا في الستينات من هذا القرن عندما نال عدد كبير من دول العالم استقلاله. واعتبر الكثير من هؤلاء الباحثين أن الجيش يستطيع أن يلعب دورا إيجابيا في عملية التغيير والتحديث».

ويقول **إدوار شيلز** في هذا الصدد:

«إن سيطرة العسكر على الدول حديثة الاستقلال **سيمكنها من تطوير مجتمعاتها** وبالتالي الحفاظ على **سيادتها».**

ويتكرر هذا المعنى في كتابات **هيلبرن وفتيكويس** وبيرغر عن البلدان العربية ودول الشرق الأوسط.

فيقول هيلبرن: «الجيش في الشرق الأوسط أقوى الفرقاء السياسيين العاملين على الساحة ويمثل بدوره السياسي تطلعات وآمال الطبقة الوسطى الحديثة التكوين».

ويضيف **فيتكيويس: «والجيش أداة للتغيير السياسي ومفرك للأيديولوجيات السياسية».**

ويشير بيرغر بالنسبة لمصر:

«من الممكن اعتبار الجيش في مصر- بالمقارنة مع الفرقاء السياسيين الآخرين - من أقدرهم على العمل السياسي الهادئ العقلاني والعلماني والمنطقي وغير الرومنطيقي) ص ٨٤.

ويقول هيلبرن:

ليس الجديد في الشرق الأوسط أن يسيطر العسكر على الحكم- فقد سيطر خلال فترات زمنية تاريخية قديمة. إنما الجديد هو فيمن يمثل العسكر وباسم من من الفئات الاجتماعية يتكلم. يتكلم العسكر اليوم باسم الطبقات الوسطى ويخدم بالتالي مصالح هذه الطبقة الحديثة) ص ٨٤

الصلة بين الاستعمار وطابع المؤسسة العسكرية.

يقول د. فؤاد اسحق الخوري:

«إن النموذج العسكري في العالم العربي قد نشأ في ظل الاستعمار الأوروبي ممزوجا بخلفية البيروقراطية العثمانية » ص ٤٧

«وهذا يعني أن تبني البلدان العربية للنظم الاوروبية في الدولة- ومن بينها إنشاء جيش نظامي- جاء نتيجة لدوافع خارجية بدلا من أن يأتي نتيجة لسد حاجات داخلية تنبع من صميم المجتمعات العربية عينها فلا عجب إن جاءت هذه النظم، بمافيها التنظيم العسكري، لاتخدم مصالح داخلية محلية، إنما لتسهل أطماعا خارجية واضحة » ص ٤٩، ٥٠.

غير أن للاستعمار دورا كبيرا في الترويج للميثولوجية العسكرية فيقول د. الخوري:

«ويتراءى لي أن اصرار بعض الكتاب الغربيين على أن العسكر هو القطاع المؤهل لأداء هذا الدور في التحديث والعصرنة هو من باب التفتيش عن أداة فعالة يمكن من خلالها التأثير على مجريات الأمور في بلدان العالم الثالث. فالعسكر أداة يسهل التحكم في مسلكها واتجاهها عن طريق السلاح المستورد».

وفي تفصيل ذلك يقول:

«إن التركيز على دور العسكر في التنمية والانماء شأن مبالغ فيه كثيرا. فلايختلف دوره في العصرنة والحداثة عن الأدوار التي قد تقوم بها الأحزاب والقيادات السياسية والنقابات العمالية، والتعاونيات وغيرها من المؤسسات الفاعلة في المجتمع.

ولايمكن تقديم دور العسكر بالتحديث الا عن طريق دراسة ارتباطه بهذه المؤسسات بالذات..».

«إن علاقة العسكر بالمدنيين ودور العسكر فى الحداثة والعصرنة لايمكن أن يقدم تقويا صحيحا الا متى توفرت لدينا الدراسات المعمقة عن الروابط الاجتماعية التى تتداخل بين العسكريين والمدنيين. يقول نينين فى هذا الصدد: «ولو توفرت هذه الدراسات لزالت هالة قدرة العسكر على التحرك بمعزل عن الأوضاع السياسية العامة التى هو جزء منها». ص ٧٤، ٧٥

عجز الجيش عن إيجاد أيديولوجية

يقول د. فؤاد اسحق الخورى:

«أن العسكر فى البلدان العربية لم يتمكن من ايجاد صيغة وأيديولوجيا معينة للدولة بالرغم من سيطرته على الحكم ولفترات زمنية طويلة. فهو فى هذا المضمار انما يقلد الزعماء السياسيين أنفسهم مع تحول واضح فى أساليب القيادة والدعامة الشعبية التى يستند اليها.»

ولم يتمكن العسكر قط- بالرغم من قيامه بالثورة - من أن يطور أيديولوجيا ثورية أو نظاما ثوريا يحكم به ومن خلاله. ولهذا السبب وقع فى فخ السياسة التقليدية. وهذا بالضبط ماحدث فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر.

كنت تجد السياسي الجديد يحذو حذو سلفه، يسلك مسلكه، دون التطلع الى مضمون الثورة ومبادئ الحكم الجديد» ص ٧٢

ويضيف د. فؤاد اسحق الخورى:

«مالاشك فيه أن إمكانية الجيش لتغيير وتحويل نظم المجتمع كبيرة جدا، وذلك بفعل كونه أداة القسر الشرعية. غير أن ترابط العسكر وتفاعله مع المؤسسات السياسية والاجتماعية الأخرى، تحد من الدور الطليعى الذى يمكن أن يلعبه فى حركة التقدم والتطور».. «ومن الخطأ اعتبار الجيش - من زاوية التطور والتقدم- مؤسسة منفصلة عن المجتمع الكل. فهو جزء من كل، شانه فى ذلك شأن الوضع الاقتصادي أو الصناعى او التربوى. بتعبير آخر، أن فعالية العسكر فى الانماء مرهونة بالأوضاع والقطاعات الاقتصادية والاجتماعية العامة فى المجتمع» ص ٣٠، ٣١.

يقول د. فؤاد اسحق الخورى:

«إن العسكر الحاكم مرآة عن المجتمع بالذات- مرآة لواقع المجتمع الممزق، ومرآة لواقع المجتمع الموحد، فقلما تجد جيشا موحدا فى بلد ممزق اجتماعيا او جيشا ممزقا فى وطن موحد اجتماعيا لايمكن أن يتمكن الجيش- كمؤسسة خاصة- من أن يتخطى المجتمع الذى هو منه. فإذا كان الأمر كذلك، فلايجوز القول بأن الجيش، بخلاف المؤسسات الأخرى فى المجتمع، معد لأن يلعب دورا خاصا فى الحداثة والعصرنة» ص ٧٤

ويقول أيضا:

«وبسبب فقدان الروح الانضباطية الحقة فى الجيش، وبالتالى التمييز بين النظم العسكرية والنظم المدنية، يدرج العسكر فى قوالب اجتماعية لاتختلف لاكما ولانوعا عن القوالب التى تندرج فيها المؤسسات أو القطاعات الأخرى كالسياسيين مثلا فبدلا من أن يعمل العسكر الحاكم للحداثة والعصرنة، نراه يتبع فى الحكم الاساليب التقليدية عينها التى كان يتبعها سلفه) ص ٧٤.

نتائج الأخذ بدور طليعى وتنموى للجيش

يقول د. فؤاد اسحق الخورى:

«حين يقوم العسكر بأدوار لاتنسجم مع الوظيفة التى أعد من أجلها وهى الدفاع عن حدود الدولة وحمايتها- أى حين يقوم بدور النموذج الانمائى. ففى هذه الحالة تضعف عنده الروح العسكرية الصرف ويضعف معها التمسك بالنظام العسكرى أو يصبح اذ ذاك المبدأ القائل بوجوب حصر وظيفة العسكر فى الثكنات وعلى الحدود مبدأ مرفوضا سلفا، وكثيرا مايتعت هذاالمبدأ وكل من يقف موقفه بعقلية «البورجرازية الصغيرة». ص٣٨

«فان صح الأفتراض القائل بأن الجيش معد أصلا للقيام بدور طليعى تغييرى فى المجتمع، فلايجوز تقديمه من خلال أدائه فى الحرب. وهذا قول فيه كثير من المنطق؟ لذلك نرى أنه مامن حرب خاضتها الجيوش العربية الا وكتب لها النصر ولو خسرت المعركة

وهذا بالضبط ماحدث فى بعض الحروب العربية -الاسرائيلية سنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧. لقد انتصرنا فى هذه الحروب بالرغم من فقداننا الأرضية و مالصمود، وتكرار دوره سوى جانب من جوانب هذه الذهنية. وهو فى الأصل انتصار نفسى يأتى مع فقدان الأرض والحدود فطالما أن الجيش معد للدور الطليعى والتغيير فى المجتمع، وطالماأن هذه الحروب لم تبدل من هذا الدور، فهذا طبعا، انتصار للجيش وقادة الحكم وبالتالى للشعب والوطن) ص ٣٩، ٤٠

والمؤلف يعترف «بأن هذا النوع من الايديولوجيات العسكرية لم يحظ بتأييد جميع القطاعات الفاعلة فى المجتمع» ص ٤٠

الاستعمار والتدخل فى تركيبة الجيش

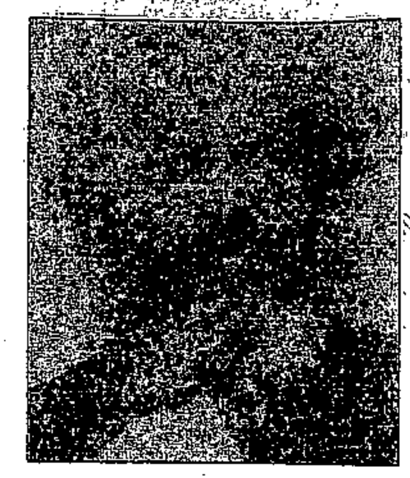
يشير د. فؤاد اسحق الخورى الى أن التنظيم العسكرى فى المجتمع العربى ينقسم الى ست مراحل: كانت المرحله الرابعة منها هى **مرحلة الاستعمار - الأوروبى** «وقد تميزت عن سابقاتها بالتعامل مع الأقليات لبناء العسكر وقوى الأمن، وبالطبع أختيرت الاقليات لتقوم بهذا الدور لاعتقاد المستعمر بأنها- أى الاقليات-، تخدم مصالحه بشكل فعال أكثر من الأكثرية الرافضة لوجوده. ومن هذا المنطلق انخرط فى صفوف الجيش عدد كبير من الاشوريين والأكراد فى العراق- أو من العلويين والأرمن والاكراد والدروز فى سوريا أو من الموارنة فى لبنان». ص ٢٤

«... إن سياسة «فرق تسد» التى اعتمدها المستعمر الأوروبى والتى لاشك قد خدمته فى إطالة عمره، هى عينها التى زادت من مشاركة المواطنين فى الحكم. وجاءت هذه المشاركة عن طريق إقامة المؤسسات السياسية الجديدة كمجالس النواب والانتخابات العامة والاستفتاء، وغيره. هذه المؤسسات حددت الحقوق السياسية والواجبات ولكنها لم تحدد بالضرورة مدى مشاركة الشعب فيها)ص ٢٥

«ويمكن اعتبار مرحلة الاستعمار الأوروبى «مرحلة التكوين» وهى المرحلة التى بدأت فى الشرق العربى فورا بعد الحرب العالمية الأولى على إثر سقوط السلطة العثمانية. وفى المغرب العربى قبل ذلك الزمن بكثير. وقد ترافق قيام هذا التنظيم العسكرى مع بروز الدول بحدودها الحاضرة، هذه الدول التى كانت قبل ذلك ولايات وأقاليم متفرقة ضمن الامبراطورية العثمانية»

ويشير المؤلف إلى ظاهرة تبدو غريبة وهى اشتداد صلات العسكر بالمجتمع فيقول:

«وبفعل هذه السياسة التى اتبعها المستعمر فى التعامل مع الأقليات، أصبح العسكر أشد صلة بالمجتمع بالنسبة لما كان عليه فى عصر العثمانيين. ومن هنا وبسبب هذه الصلة بالذات- أخذ الجيش يكتسب صفة المؤسسة المختصة وصفة النموذج الانمائى فى آن معا. وهما الصفتان اللتان مازالتا تلازمانه حتى اليوم ص ٢٤



ماركس





ستالين

جدلية الحركة والثبات فى الماركسية ودعوة لتعميق التساؤل والسؤال

*تصدير:

...« حتى الله وهو الأكثر ليبرالية يقدم لنا حريةواحدة للاختيار تتلخص فى أن نؤمن به أو لا نؤمن به.. إن نكون فى صفه أو فى صف الشيطان.. أن ننعم بالجنة أو نصطلى بالنار. وتقدم لنا الشيوعية نفس هذا الحق فى الاختيار فإذا لم تشأ بالإيمان بها فسوف يزج بك فى غياهب السجون وهى ليست على أية حال أسوأ من النار... »؟؟

* سنيافسكى*

عبد الحميد البرنس

*تناثر التساؤلات وتداخلها:

إن القول بجدلية الفكر الماركسى يخرج الماركسية تلقائيا من دائرة «التزامن» المتجمد انغلاقا الى دائرية «المتفارق» زمانيا ومكانيا. فهو فكر بهذا الفهم يحمل منذ البداية، الى جانب انطراحه بديلا موضوعيا للأفكار السائدة من قبله، بذور تجاوزه أيضا. فالتطور التاريخى، حسب سمير أمين، يطرح فى كل لحظة جديدة مشاكل متجددة تدعو الى إبداع خلاق، وهذه النزعة التطورية، فى واقعها الإنسانى لايتسنى لأى فكر تخطيها اقتسارا أو تجاهلها والاتكلس- بالضرورة- فى وضعية مفارقة؟

ورغم ذلك تتموضع الماركسية من خلال موقف «سنيافسكى» السابق فى قالب دوجمائى بامتياز بحيث تبدو، فى التحليل الأخير، مجرد أيديولوجية شمولية تقبع خارج حدود التاريخ والمجتمع معا. وهو موقف -- على الأقل ظاهريا- يتماس مع الأسس والمنطلقات الفكرية لمقولات «نهاية التاريخ» لفوكوياما وغيره من منظرى الرأسمالية الجدد؟؟

وهنا يمكن أن نتساءل، أمام هذا التعارض، الى أى مدى يمكن التثبت من خطأ أو صحة المقولات السابقة؟.. وماهى المعايير الموضوعية التى يمكن أن يعتمدها الباحث فى التحليل؟.. وهل يعنى التجديد الذى أصابته النظم الرأسمالية مؤخرا، سواء بفضل الثورة الصناعية الثالثة أو غيرها، نهاية التاريخ حقا؟.. وهل يدل هذا التجديد، بمنطق الفكر الماركسى نفسه، على صيغة نهائية أخرى تشكل بدورها نفيا تاريخيا لأحد القوانين الأساسية للجدل الماركسى ونفى النفى»؟؟..

وإذا عدنا للفرضية الأولى: هل أن منطق الفكر الماركسى- نفسه - هو الذى يجعل من الماركسية نظرية قابلة للتجدد بحسب مقتضيات العصر ومشكلاته الجديدة كما يقف دون تحولها الى دوجما؟.. وصياغة التساؤل بصورة أكثر دقة: كيف يمكن للباحث، بهدف إثبات حركية الفكر الماركسى، أن يجتاز فخ التبرير التاريخى الذى يسود - للأسف الشديد- خطاب معظم الماركسيين الآن. كما يجعله «الخطاب»، حسب استعادة التوسير «كالبط يتابع الركض حتى بعد قطع رأسه»؟؟



لينين

الماركسية والنشاط البشري:

في الواقع أن تلك التساؤلات تكشف بصورة أو بأخرى ملامح الأزمة العميقة التي تمر بها النظرية الماركسية الآن. وهي أزمة وفقا لمعطيات الفكر الماركسي نفسه متوقعة الحدوث. فهو فكر يدرك طابعه الإنساني من حيث كونه لونا من ألوان النشاط البشري من جهة ، ومن حيث كونه بديلا موضوعيا لفكر انتهازي، ونفعي لا يتوانى مطلقا عن استعمال كافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة من أجل تمتين مشروعه الإستغلالي من جهة أخرى.. الأمر الذي يجعله قادرا على استيعاب التحولات الاجتماعية والتاريخية التي يمر بها المجتمع تأثيرا أو تأثرا؟؟..

فالماركسية منهج ومقولات. والمنهج وإن كان يتسم بالثبات والاستمرارية باستناده الى النظرة الطبقية ودراسة التناقضات باعتبارها محرك التطور وكذلك التناول التاريخي الملموس للأحداث .. الا أن طبيعة المقولات categorics المتغيرة للماركسية تسمنها- ذاتيا- في الخروج من طور الثبات الى طور الحراك. فالمقولات - هنا- تعني النتاج التطبيقي للمنهج الماركسي على الأوضاع التاريخية الملموسة لذا. فهي ذات طابع مؤقت وزائل ومحكومة بظروف الزمان والمكان..

والماركسية، في ذلك، متأثرة بالسياق الإجتماعي والتاريخي الذي صدرت فيه. وهو سياق من الناحية العلمية كان متخما بنظرية التطور العضوي oganic orlution التي طرحها عالم الطبيعة البريطاني **تشارلز داروين** . وهي نظريةتقوم ، في جوهرها، على أساس إثبات أن بقاء الكائن الحي واستمراره يتوقف على مدى قدرته على التكيف...

ومن ثم تستأنف الماركسية هنا، حسب عبد الإله بلقزيز، التقليد التطوري -evolu tioniste الدارويني في مجال التاريخ والسياسة معيدة إنتاجه من خلال تمثل نظري لعقيدة الصيرورة الجدلية في فكر هيجل. وفي هذا الإستئناف ، حسب بلقزيز أيضا، لم تترفف الماركسية عن التبشير بطوبى تاريخية قوامها إنتصار الفكرة الشيوعية (الأصل) على تاريخ «مزور» حاد عن «الأصل» وكرس علاقات الاستغلال الاقتصادي والاضطهاد الطبقي- الاجتماعي والقمع السياسي في مقابل قيم المشاعية والتعاون والتشارك التي سادت في المجتمعات المشاعية..

والماركسية (...) في ذلك ، إن كانت تشبه الأيديولوجيات الشمولية التي يختلط فيها الفكري بالعقائدي ، التاريخ باليوتوبيا، الأمر الذي يجعلها تتمرضع ظاهريا في دائرة الوعي الزائف، إلا أن استنادها - في النهاية- على تاريخ التشكيلات الاجتماعية ، أي على أنماط الانتاج المتشابكة في التشكيلات الإجتماعية ، وعلى تاريخ الصراع الطبقي الذي يحكمها (...) ، يجعلها تتحاشى السقوط في الدورة الخلدونية المغلقة، إنها تريد التاريخ لولبيا في حركته بحيث يتأمن التطور والتقدم في صعوده الذي يتفادى التكرار(..) ، فالمفهوم الماركسي للآيديولوجيا يتمحور تحديده في التحليل الأخير، خارج الأيديولوجيات مع ارتباطه بها. أي الآيديولوجيا بدون حكم تقييمي على حد تعبير محمود أمين العالم.

فحركة المخاطرة، إذن، حسب مهدي عامل، في اختبار النظري ونظرته الاختباري تشكل سمة جوهرية في الماركسية والحركة هذه ، كما يذهب، دائمة فيها، لأنها موازية لحركة التاريخ المادي نفسه ، ولحركة مفاجآته . لا اكتمال ، إذن ،في النظرية الماركسية، بل انفتاح على المفاجئ هو فيها حياة النظري ، من حيث أن النظري منها هو غير المكتمل بامتياز. هذا مايؤمن لها وله قدرة على التشامل (..) ، الأمر الذي يحول ، في التحليل الأخير، دون تحولها إلى دوجما؟؟؟.

محور التساؤل

وإذا كان الأمر كذلك.. الا أن الماركسية- تاريخيا- أصيبت بالدوجماطيقية.. وهو أمر لم تخل منه الليبرالية أيضا.. الماركسية ، حسب مراد وهبة، بحكم مبدأ الحزب الواحد ودكتاتورية البروليتاريا، والليبرالية بحكم استسلامها للسلطة الدينية من أجل محاربة الماركسية.. والمفارقة ، كما يقول وهبة، أن كلا منهما من مواليد «التنوير» الذي هو تحرير العقل من أي سلطان ماعدا سلطان العقل، أي التحرر من الدوجماطيقية..

ولكن.. هل يكفي هذا التحليل لنقد الدور المثلث (....) الذي عانت منه الفلسفة الماركسية تاريخيا : دور المنافحة التبريرية عن سياسة بعينها وممارسة بعينها، ودور شرحي بدءا من نصوص أنزلت بجزئيتها منزلة الحقائق النهائية، ودور تطبيقوي.. يرمي، حسب تعبير ألتوسير، الى «بتر العالم بشفرة واحدة» باسم القطيعة الطبقية، ويقحم هذه القطيعة على العلم بالذات من خلال شعار «العلم البورجوازي والعلم البروليتاري»؟؟..



رمسيس يونان

فنان يرسم بالبارود

د. رفعت السعيد

الاسم: رمسيس يونان.
تاريخ الميلاد: ١٩١٣.
محل الميلاد: المنيا.
المهنة: رسام.
تاريخ الوفاة: ٢٤-١٢-١٩٦٦.

نحن إزاء رسام من نوع خاص جدا، لعله لم يتكرر أبدا. يتفجر بالرسم ويتفجر بالكلمات، ويصرخ فى كل شئ متطلعا لمستقبل حالم تغمره حرية كاملة، وبغير حدود.

مهما تكلمنا وأطلنا لن نستطيع أن نقدم «رمسيس يونان».. فلنتقدم بعضا من كتاباته لعلها تلخصه لنا.

«أننا نهتف بالمتواطئين، وبالتالى بالمجرمين. كل أولئك الذين لايدفعهم الوجه الحالى للعالم إلى أشرس التمردات. ونضع على رأس هؤلاء المجرمين جميع الآباء البلهاء، (روحيين كانوا أم لا)، وجميع القادة (سياسيين كانوا أم لا) الذين لايعملون بطاقاتهم، أو بشللهم إلا على تدعيم، أن لم نقل تقوية الدوافع الرئيسية للنظام الأبوى القائم، حتى وهم يشيعون لمبادئ توصف بالثورية».

ويقول: «فالآباء والقادة هم عموما مبررون فى حد ذاتهم، وذلك لطبيعة وظائفهم ذاتها. والخطوة الأولى التى يجدر القيام بها بمواجهة السلطات، وريثة الحالة المشئومة للعالم الراهن، انما تتمثل بالعصيان المدنى على كل الجبهات.. ياشباب جميع العالم.. افضحوا آباءكم. وابصقوا على وجوه العسكر».

... وأيضا «أن ظلا ثقيلا يضغط على رقاب المستقبل حتى لايبقى لنا إلا اليأس. لكن يظل لنا أن نتغذى نار تمردنا من هذا اليأس.. نحن لسنا إلا مجانين لاتعلمنا التجارب، انا لانتغذى إلا من هذياننا. وهذا اليأس لايحرمنا من الوضوح».

وهو يدعو إلى فكرة غريبة تقول: إن الذين خارج الطبقات، هم وحدهم جائزوا حق النطق باسم المستقبل، وهم وحدهم القادرون على أن يصبحوا ثوريين (وأن حالات ماركس، انجلز، رامبو، ساد، لينين، وتروتسكى جديرة بالبرهنة على هذا الشئ) وهكذا فإننا سنستبدل الفكرة الاقتصادية القائلة بصراع الطبقات بالتصور الهذيانى لصراع محموم بين الذين خارج الطبقات، وبين المصطفين والمصنفين فيها. ومن هنا نعلى أبناء العامل مثلما على أبناء البرجوازى أن يتعلموا.. أن يمقتوا، ويعمق جميع الممارسات التى يمكن أن تقربهم من ممارسات آبائهم. هذه خطوة جنونية بالطبع. غير أن الحرية لايمكن امتلاكها الا بهذا الثمن. إذ ليس من الممكن خدمة المجتمع وقلبه فى نفس الوقت..

لنكن غير نافعين وبشكل كلى.
لننبذ القادة والآباء والمهن.
لندعم صنوف الذين خارج الطبقات.
وليعم جنوننا حتى يشمل جميع نوابض هذا المجتمع الإجرامى».

ويمكن القول دون تردد أن **رمسيس يونان** هو أول من نادى فى مصر بشعار: الفن للحياة ضد فكرة الفن للفن فهو يقول: منذ نصف قرن والآداب العالمية جميعا تتجه نحو: الأدب فى سبيل الحياة، الأدب المغذى للعواطف المتمردة على الأطواق والقيود.. الشعر المولد للدماء الحمراء فى السواعد الفتية التى يجب أن تتعاون على بناء عالم أسعد وأزهى ألوانا وأفسح آفاقا» (مقال: الشعر والمادية- المجلة الجديدة عدد ٤٠٣)

لكن **رمسيس يونان** فنان تشكيلى فى الاصل.. وليس كاتبا، فماذا عنه كرسام. لقد مر رمسيس بمرحلتين السيريالية فالتجريدية.

يقول **صبحى الشارونى** عن المرحلة الأولى «كانت لوحات رمسيس يونان ورسومه من خلال ألوان بنية داكنة أشكالا غريبة تصدم المتفرج، وتدور حول الجوع والجنس. فمثلا نجد فى إحدى لوحاته يرسم طبقا عليه ثدى إمرأة، وفى أخرى نرى شجرة تثمر عيونا ونهودا وأفخاذا» (مقال بمجلة المجلة فبراير ١٩٦٧- الثقافة والتمرد ورمسيس يونان)

أما **محمد شفيق** فيقول: «نشاهد مظاهر فن تصويرى مشحون بدراما فاجعة يختلط فيه الحلم بالواقع.. وجوه عرقى تندلع فيها إنسانية مرعبة، تنادى فى يأس من ينقذها، وأيد تلتف حول الأجساد تمتص رحيقها كالأفاعى المفترسة، ونساء «عاريات فى أجسادهن قسوة وتشنج حيوانى. وأشجار تنبت فى صحراء قاحلة ذات نهود، وقبضات معروقة تمتصها الرمال» (مقال بمجلة فنون مجلدا- عدد ٢ - ربيع ١٩٧١- بعنوان رمسيس يونان وجيل التمرد)

أما صديقه الحميم والدائم **جورج حنين** فيعلق على أحد معارضه قائلا: «يرسم رمسيس يونان أعصابا متوترة لدرجة الحاجة إلى القطع. لدرجة استدعاء القطع. رسمه لايعرف الراحة، ولا التوقف ولا التراخى، انه سيريالى مثل تلك البيوت التى صدعها غضب داخلى أو خربها قرد الأرض. عندما تصل شخصياته إلى درجة التقلص الذى لايمكن أن يستمر وقتا أطول فانه لايتردد عن بترها».

... وقد بدأت السيريالية فى حياة **رمسيس يونان** منذ كان طالبا فى الفنون الجميلة، ثم اكتسبت عمقها الفلسفى مع علاقته الحميمة بجورج حنين، ويستمر سيرياليا حتى عام ١٩٤٧، ثم فترة صمت طويلة دامت سنوات عشر، ثم يعود ليتألق تجريديا فى معرض جماعى بالقاهرة (١٩٥٨) تحت عنوان «نحو **المجهول**».

نحن إذن أمام رجل كلما عرفناه إزداد غموضا، وزادنا دهشة.

رسام مبدع -سيريالى ثم تجريدى، يقول أحدهم أن «رسمه لايعرف الراحة».

سياسى عنيف يزج بين التروتسكية والفوضوية.

يسارى لايعترف بالطبقات ولا بالصراع بينها، بل هو يؤمن بالصراع ضد الآباء (فى الاسرة وفى الدولة وفى الدين) باعتبارهم طبقة بذاتها..

ولكن.. لم نقفز بعيدا هكذا.. دون أن نعرف الرجل منذ البداية؟

الأسرة «بروتستنتينية» من مدينة المنيا.. شديدة الفقر.. شديدة التدين.. (لعل هذا هو سر تمرده على الاسرة والدين معا) هو الأخ الأكبر بين أربعة، مات والده وهو فى

الخامسة عشرة فتحمل عبء إعالة الاسرة. كان يعمل ويدرس معا. سارت رحلته التعليمية حتى مدرسة السعيدية، وبهذا يبتسم له الحظ لأول مرة فى حياته فهناك يلتقى بمدرس للرسم هو أستاذ لجيل كامل من الفنانين.. **يوسف العفيفى**.

وفى عام ١٩٢٩ يدخل مدرسة الفنون الجميلة، لكن ظروفه العائلية الصعبة تجبره على تركها ليعمل فى ١٩٣٣ مدرسا للرسم فى مدارس ثانوية.. فى طنطا وبورسعيد والزقازيق.

فى ١٩٣٥ أنضم إلى «**جماعة الدعاية الفنية**» ليبرز فى صفوفها كواحد من أعمق النقاد التشكيليين. وفى ١٩٣٩ شارك برسومه السيريالية المذهلة فى معرض جماعى. وفى عام ١٩٣٨ فجر رمسيس قنبلة صاخبة الدوى فى الأوساط الفنية بإصدار كتاب «**غاية الرسام العصرى**». وفى الكتاب- القنبلة يؤكد رمسيس «أن الفن الذى نحيطه بهالة مقدسة، لابد أن يكون قادرا على القيام بدور هام فى هذه الدراما الباطنة. إعنى أن يكون قادرا كالأديان على إيجاد الحلول لبعض منازعاتنا النفسية. وبذلك يساعدنا على الوصول إلى حالة من السلم والهدوء، النفسى- فهذه للإنسان أعز أمنية». وفى هذه الفترة ينخرط بحماس فى جماعة الفن والحرية، ثم يسهم فى إصدار «مجلة التطور» مع اصدقائه الدائمين **جورج حنين وانور كامل وعبد الحميد الحديدى**، لتنفجر بشعارات نارية: «**الفن معمل بارود**» .. «**من حق الانسان أن يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم**»..

وفاجت الدنيا ضد «التطور» واتهمت بأنها تسعى لهدم الدين والفضيلة ونشر الإباحية والفوضى.

وفى عام ١٩٤٢ أصدر «**المجلة الجديدة**» بتمويل من جورج حنين بعد أن تنازل عن امتيازها سلامه موسى، واعلنت عن نفسها أنها «**مجلة الكفاح والتجديد الاجتماعى**». وقد أصدرت اعدادا خاصة عن: الاتحاد السوفيتى- الأدب المصرى المعاصر- عالم مابعد الحرب- الهند- الولايات المتحدة الأمريكية- الفاشية لحما ودما- ستالينجراد نقطة تحول. ووزعت على مشتركيها هدايا من ثلاث كتب «**فونتمارا** لايجنازيو سيلونى (وهى رواية رائعة ضد الفاشية) و«**أنهيار فرنسا**» لإيليا اهرنبورج، و«برابرة ستالينجراد» وهى نص كتبه مرلوتوف عن جرائم الفاشية فى الأراضى الروسية المحتلة.

باختصار كانت «المجلة الجديدة».. دويا صاخبا فى عالم الادب والفكر والفن.

ثم توقفت «المجلة الجديدة» كالعادة بسبب أزمة مالية.

وفى عام ١٩٤٦ بدأ رمسيس يونان فى ترجمة مسرحية **ألبير كامى «كاليجولا»** ونشر مع الترجمة الرائعة مقدمة ناقش فيها فكرة الانتحار من منظور المتمرد شبه الفوضوى قائلا: «إذا لم يجد الانسان مغزى للحياة، فهل ينبغى أن يحمله ذلك على الانتحار؟.

وفى «يوليو ١٩٤٦ يقبض على **رمسيس يونان** ضمن موجة القبض التى أمر بها **اسماعيل صدقى** وشملت كل فصائل اليسار وكل رموز الفكر التقدمى.. وفى سبتمبر من نفس العام أفرج عنه بكفالة مالية كبيرة سددها بالطبع صديقه **جورج حنين**.

وفى ١٥ فبراير ١٩٤٧ صدر فى القاهرة كراس بالفرنسية عنوانه «**حصة الرمل**» قدمه الناشر قائلا «الكراس الحالى المتضمن نصوصا شعرية ونقدية طبعته فى القاهرة حركة الفن والحرية تحت الاشراف الشخصى لجورج حنين ورمسيس يونان» وتقدم المجلة نفسها للقارئ: لن تجد فى الصفحات التالية إشارات تبعية، ولا تأكيدات جامدة.. هذا الكراس لايجيب على أى هدف محدد، إلا الاشتراك فى تبادل الآراء.. فى وقت يبدو فيه الانسان نفسه ليس أكثر بكثير من شكل من أشكال القنوط، لدينا اعتقاد ضعيف فى إمكان حل المشاكل التى تؤرقنا. لكن، أيضا، يجب أن يحدث المشهد فى مناخ حر، ويجب امتلاك حرية وضعها، وملاحقتها، وجعلها تستعيد ماسرق كرها وعنوة».

.. لكن مايهم هنا هو أن رمسيس يتراجع فبعد أن تميز بالكتابة بالعربية يعود وفى ١٩٤٧ ليكتب بالفرنسية، لعله رد فعل السجن. أما رد الفعل الأكبر فيأتى بعد أسابيع ففى نهاية ابريل ١٩٤٧ غادر **رمسيس يونان** مصر ليستقر ولأمد طويل فى باريس. حيث عمل لتسع سنوات رئيسا للقسم العربى فى الأذاعة الفرنسية. يقول د. **لويس عوض** أن هذه الهجرة الطويلة كانت نتيجة للقبض عليه، ومن إحساسه بأنه «لن يكون مفهوما لامن اليمين ولامن اليسار.. وبعد وصوله إلى باريس التحق بالسوربون حيث درس **الاجتماع والفلسفة**» (مقال بجريدة الاهرام ٣٠-١٢-١٩٦٦- بعنوان: (كان رائدا شجاعا)

وفى باريس تزوج من بولندية وانجب منها ابنتين.

وينغمس رمسيس فى الجو الباريسى السيريالى.. وينغمس حتى فى تأسيس أممية سيريالية. لكنه يظل متمردا دوما حتى على السيرياليين أنفسهم فيدخل فى صراعات فكرية حادة معهم.

وفى ١٩٥٦ تجتذبه مصر من جديد، يتمرد وهو فى الاذاعة العربية فى باريس على إذاعة أنباء العدوان على مصر، يحتج ويرفض ويفصل.. ويعود لمصر. ويصبح بحاجة إلى مايقتات به.. وبعد وساطات من الاصدقاء القدامى والجدد يحصل على منحة تفرغ من وزارة الثقافة. وفى كل سنة كانت مؤامرات عديدة تحاك لحرمانه من المنحة تارة بحجة أنه تجريدى، وأخرى بحجة أن التفرغ يدفعه للصعلكة، وتارة أخرى بحجة أنه يسارى، أو فوضوى أو غير مخلص لثورة يوليو، أو أى شئ وفى عام ١٩٦١ يقرر عباس العقاد إلغاء تفرغه هو و**تحية حليم** وآدم حنين وراتب صديق، واضعا استقالته فى كفة وعودتهم للتفرغ فى كفة أخرى. لكن وزير الثقافة يصمم على استمرار تفرغهم، ويتراجع العقاد عن تهديده. وفى عام ١٩٦٦ نجح خصومه فى إلغاء تفرغه كفنان، ونجح أصدقاؤه فى كسب منحة تفرغ أخرى كمترجم..

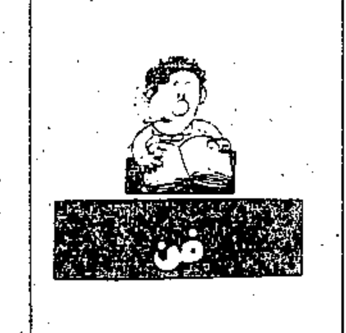
لكن الامر أحزنه، وأحاط كل حياته بغيمة حزن عميق.. وتفرغ لترجمة كتاب «**تناسخ صور الآلهة**» لأندريه مارلو وترجم منه ٦٨ صفحة.

وحزينا حزنا عميقا.. يغادر رمسيس يونان هذا العالم.

ويقول **توفيق حنا** أن حزنه لتحويل تفرغه من الرسم إلى الترجمة جعله «يعيش إرادة الموت» (مقال بمجلة الكواكب عدد ١-١-١٩٦٧ بعنوان: نعم هذا فنان فقدناه.

ويكتب **لويس عوض** مهاجما هؤلاء الذين حرموه من تفرغه كرسام قائلا: هنيئا للجنة التفرغ بتيجان العار لاتيجان الغار، قائلا أن رمسيس «كان رائدا شجاعا بصماته على التشكيل المصرى لن تمحوها الأيام ولا اللجان. أما بصماته على الفكر المصرى فقد كانت وضوحا رغم عمقها العميق» (الاهرام المرجع السابق)

.. نعم كان رائدا وكان شجاعا، لكنه كان مسكينا. فقد ظلت كلماته ورسومه بعيدة عن فهم الناس وعن متناولهم.. وتماما كما قال د. لويس عوض «**لم يكن مفهوما لامن اليمين ولامن اليسار**».





بين فيلمي "حكمت فهمي" و"قائمة شندلر"

صناعة الأفلام، بأسلوب مفاوضات كامب دافيد

أحمد يوسف

أرجو ألا يذهب الخيال بعيدا بصناع فيلم «**الجاسوسة حكمت فهمي**» إذا ما بدا أن السطور التالية تعقد مقارنة بين فيلمهم وفيلم «**اسبيلبيرج**» الشهير «**قائمة شندلر**»، من المؤكد أن «حكمت فهمي» قد صرخت في نهاية حدوتة الفيلم وهي تهتف: «**تحيا مصر**»، بينما ينتهي «**شندلر**» في تل أبيب، ليتغنى بذلك «الوطن» الذي اغتصبوه ليصبح تجسيدا لكل الأحلام الصهيونية، لكن الباعث على المرارة بحق هو أن **يصنع الصهاينة فيلماشديد الذكاء، صادقا في كل تفاصيله لنزعته الصهيونية، وأن يأتي الفيلم المصرى على العكس خاليا من الصدق، محتشدا بالزيف، بليدا كل البلادة، ليعكس وجهها سائدا من وجود التعامل مع كل قضايانا الجادة.**

نظلم فيلم «**حكمت فهمي**» وصناعه إذا ما حكمنا على ما أنجزوه على شريط السليولويد بمعايير «**الصدق التاريخي**»، أو الالتزام بدقائق الأحداث والشخصيات. فلقد تعلم صناع الأفلام - حتى أكثرهم تواضعا - كيف يناورون في هذا المجال بأن يستخدموا المبرر الجمالي المشروع الذي يسمى «**الصدق الفني**» لكننا نؤكد على أننا نحكم على الفيلم من خلال هذا المعيار الجمالي ذاته، فلم يكن هناك أي أثر شاحب باهت لهذا الصدق الفني في فيلمهم، بينما تمتع به- للأسف الشديد- فيلم «**قائمة شندلر**»، الذي ذهب إلى أقصى مايمكن أن يصل إليه عمل فني من تزييف التاريخ، بينما هو يدعي الموضوعية والدقة التاريخية. لكنه جاء- للأسف الشديدة مرة أخرى وليست أخيرة- متقنا في ادعائه المزعوم، متماسكا في أسلوبه الفني، واعيا بأدواته وأهدافه، حتى أن الكثير من الناس في أنحاء عديدة من العالم رأوا فيه وثيقة تاريخية جعلتهم شهودا على بعض وقائع لم يشاركوا فيها، أو قل بالأحرى وقائع لعل معظمها لم يقع على الإطلاق، إلا في الكتابات، والمعالجات الصهيونية، التي كانت ماتزال تصر على أن تصنع من الأسطورة تاريخا. بينما نبدو نحن وكأننا حاذقون في تحويل التاريخ المجسد والحقائق التاريخية إلى أساطير.

إن شئت دليلا حيا على المأساة التاريخية السوداوية التي يشهدها هذا الجيل من خلال وقائع الواقع الحي الذي نعيشه كل يوم، والتي ربما قد فاقت المأساة التي صنعها منذ خمسة قرون أمراء الأندلس وجواريهم، فأمامك فيلم «**حكمت فهمي**» نموذجا مجسدا على رؤيتنا لتاريخنا، أو إن شئت الدقة رؤية «**نجوم**» السياسة والفن في بلادنا لصناعة هذا التاريخ، الذين يتركون الآخرين يصنعونه لنا صنعا، لكي يفرضوه علينا فرضا، بدءا من كامب دافيد، ومرورا بغزة وأريحا، ولاندري إلى أين يمكن أن يقود هذا الطريق، المهم أن يتحدث نجومنا في السياسة عن السلام والرخاء للوطن، وأن تهتف حكمت فهمي في نهاية الفيلم بحياة هذا الوطن، فيصبح كل شئ على مايرام.

قبلات ودموع ورقصات

لست في حاجة الى أن أذكرك بقصة **حكمت فهمي** الشهيرة، التي أعادها مرات عديدة كبير العائلة والداعي الى أخلاق القرية الرئيس الراحل **أنور السادات** في ذكريات «المصطبة» للإذاعية **همت مصطفى**، ودعك من أنه كان يحكيها في كل مرة برواية مختلفة حسب مقتضى الأحوال. لكن المهم هو أن **حكمت فهمي** كانت راقصة دفعها عشقها لأحد الجراسيس الألمان الى أن تعمل معه لصالح القوات النازية ضد الجيش البريطاني والحلفاء، خلال الحرب العالمية الثانية، واستعانت بالضابط الصغير آنذاك **أنور السادات لإصلاح أحد أجهزة اللاسلكي المخبأة في عوامتها، وحين وقعت في أيدي المخابرات البريطانية اعترفت بكل الوقائع مقابل تخفيف الحكم عليها**، وهكذا بدأ أنور السادات رحلته مع «الوطنية»، معتقلا لبضعة أسابيع، ليخرج بعدها ليستكمل «النضال» في أحداث تشبه روايات البيكاريسك، ويعلو نجمه في النهاية حتى تأتي له كاميرات التليفزيون العالمية من كل مكان، وتسلط عليه الأضواء الساطعة، ليصبح نجم «**كامب دافيد**» اللامع الذي اصطحب معه وفدا ليكونوا مجرد كومبارس، بينما انفرد وحده بكل المشاهد واللقطات.

أصبح **السادات** نجما ساطعا، بينما توارت **حكمت فهمي** في الظل، حتى أعادتها نادية الجندى بفيلمها الأخير إلى الأضواء. فماذا وجدت فيها **نادية الجندى** لكي تصبح بطلة من بطلات التاريخ؟ الإجابة

ببساطة أنها «راقصة، وعاشقة، وجاسوسة» وهي الفرصة التي سوف تتيح لنجمة الجماهير تلقين الحدوتة التقليدية الخاصة بها، لكي ترقص كما يحلو لها، وتؤدي مشاهد الغرام الملتهب مع الجاسوس الألماني إبلر (**فاروق الفيشاوي**)، وتوقع في حبائل غرامها قائد القوات البريطاني في مصر سامرن (**حسين فهمي**) الذي يجهش بالبكاء، كلما لاح له شبح الفراق عن معشوقته، وتغوي ابن تشرشل (**ماجد المصري**) لكي تحصل على خطة الحرب، وتتحمل التعذيب على يد ضابط المخابرات الانجليزي (**محمد مختار**) فلا تعترف بأسماء شركائها، وعندما يحكم عليها بالاعدام، وتساق الى ساحة الموت، يظهر فجأة أنور السادات (**أحمد عبد العزيز**) ليخلصها من أيدي الأشرار، على طريقة «زورو» وهو ينقذ البطلة من الهنود الحمر في اللحظة الأخيرة.

تعترف **نادية الجندي** أنها اختارت حكمت فهمي لأن بينهما تشابها جوهريا، وهو أنها- وأرجو أن تلاحظ ماتهتم به النجمة اهتماما حقيقيا- «كانت فنانة كبيرة في عصرها وكانت من أشيك وأجمل نساء عصرها». لكن نادية الجندي، الفنانة الكبيرة الأنيقة الجميلة الوحيدة في عصرنا، لاتصنع الفيلم وحدها، وإنما يصنعه على مقاسها وتحت قيادتها «الوفد» الذي اصطحبته معها أثناء صناعة الفيلم: كاتب السيناريو **بشير** الديك، والمخرج **حسام الدين مصطفى**، ليصبح الهدف الرئيسي أن تحتل **نادية الجندي** كل المشاهد، دون أن يستقيل أو ينسحب أحد أعضاء «الوفد» هذه المرة، كما حدث في «كاتب داتيد»، لأن النجومية أصبحت أمرا مستقرا في كافة وجود حياتنا، وحيث الجميع «سوظفون» **لدى النجم الأوحد**. قالت **نادية الجندي**- كما جاء في بعض حواراتها الصحفية- «إن الفيلم يجب أن يصنع لكي «يتيح لموهبتي هامشا واسعا للحركة»، وتلك المواهب إن لم تكن تعرف ماتقصده النجمة بها هي: ملابسها وقبعاتها وفساتينها وصرخاتها ورشاقتها وأنوثتها الطاغية. وقد يبدو لذلك مايبرر لها أن تنفق على الفيلم- كما تقول- ثلاثة ملايين من الجنيهات، فما تسعى إليه حقا هو «الابهار»- أو قل بالأحرى «الانبهار» بها وحدها الذي تنبهنا الى أنه يتطلب تكلفة عالية جدا: «لقد اشترينا عشرين سيارة قديمة موديل ١٩٤٠... واضطررنا لإحضار كومبارس من ألمانيا»، **لكن ذلك كله** لايبرر أبدا أن يستخدم اسم الوطن، وتعبير الوطنية، لصنع فيلم رخيص، **مهما بلغت قيمة تكاليفه، تدور أحداثه الرئيسية حول العلاقات الجنسية بين البطلة والعديد من الرجال، تارة بدافع العشق المجنون، وأخرى بدافع الإغراء والإغواء**. لعلي لست في حاجة الى أن أشير الى أن المقارنة بين **حكمت فهمي» و«قائمة شندلر»** لن تقع في مأزق الحديث عن الامكانيات الهائلة التي تتحدث عنها **نادية الجندي**، فمن المؤكد أن صناع الفيلم المصري سوف يلجأون- على العكس- الى التمحك بتواضع إمكانيات السينما المصرية بالمقارنة مع السينما الأمريكية، لكن المقارنة الحقيقية هي الفرق الهائل بين مستويين للوعي الجمالي والسياسي، تكتشف خلالها أن الفيلم الأمريكي ابتعد عامدا عن الابهار الذي يملكه، بينما توقف الفيلم المصري عند تحقيق الابهار بعناد شديد السخف والضحالة.

التزييف المتقن للتاريخ

بل ربما دفعتك المقارنة الى أن تدرك الآن كم كان **اسبيلبيرج** ساذجا عندما اختار موضوعا قاتما كئيبا لفيلم «**قائمة شندلر**» لكنه أيضا كان أكثر سذاجة حين تخلى في معالجته لقصته عن «الابهار» السينمائي، وهو بلا منازع أحد الأساطين التي لايرقى إليها أحد في هذا المجال، ليصنع فيلما بالأبيض والأسود، ودون أن يستخدم حركة كاميرا واحدة معقدة، وهل يخلو التاريخ عند الصهاينة من الراقصات أو العاهرات اللاتي تعملن في الجاسوسية بمهارة فائقة؟، حتى أن **اسبيلبيرج** يضطر الى أن يكون بطله هو ذلك الألماني الكاثوليكي **أوسكار شندلر** (قام بدوره الممثل الايرلندي نصف المشهور ليام نيسون) وليس أحد أبطال الصهيونية الذين تفوقوا في الواقع على كل أشرار الأفلام في إرهابهم ودمويتهم، مما يتيح لصناع أفلامهم انتاج عشرات من أفلام «الأكشن» احتذاء بمخرجنا **حسام الدين مصطفى**؟

على كل حال، تقول الحدوتة أن شندلر هذا- الذي تدور قصته بالمصادفة في نفس الزمن الذي دارت فيه قصة **حكمت فهمي**- كان رجلا عربيدا، سكيرا وزير نساء، لايهتم إلا بمصلحته الخاصة حتى أنه كان يعرف بالانتهازية الخالصة في عالم المال والاعمال، حيث يستثمر علاقته بالنازيين ليتاجر في



السوق السوداء، ويستأجر العمال اليهود للعمل بأجور رخيصة في مصنع الخزف الذي يملكه في مدينة كراكوف البولندية التي كانت واقعة آنذاك في أسر الاحتلال النازي. إنه نموذج لما يسمى في الدراما «نقيض البطل» لأنك لاتستطيع بسبب شره أن تتوحد معه، لكنه يتحول شيئا فشيئا الى أن يكون «بطلا»، تحت تأثير المحاسب اليهودي «إيزاك ستيرن» الذي كان يعمل لديه (قام بالدور الممثل المشهور الوحيد في الفيلم **بن كينجسلي** بطل فيلم «غاندي الشهير»)، والذي أقنعه بعدالة قضية اليهود، وأيقظ فيه ضميره الانساني، لكي يصبح شندلر في النهاية رجلا يقبل المخاطرة بحياته لكي ينقذ **ألفا ومائتين من اليهود العاملين في مصنعه** من أن يقعوا في براثن النازيين، حيث كان من المفترض اقتيادهم الى معسكرات الموت في **أوشفيتز**، لينتهي الفيلم- في مشهد

وحيد بالألوان، وكأنه يصور جنة الميعاد- يبعض من بقوا على قيد الحياة بسبب «قائمة شندلر»، وهم يعيشون في تل أبيب.

والى الذين يتصورون أنهم يعرفون ماهي «الدراما»، يبدو «**قائمة شندلر**» درسا- ما أشد قسوته ومرارته- في دراسة التحولات والتناقضات الإنسانية في المشاعر والأفكار، فشندلر يدرك للمرة الأولى هول المأساة حين يرى خلال لحظة استمتاع شبقة مع عشيقته احتياج النازيين لأحد أحياء اليهود في كراكوف، لكن الفيلم لايجعله يتحول الى النقيض بين عشية وضحاها. تماما كما بدا لضابط النازي السادي **أمون جوت** (الممثل الانجليزي المغمور ريف فاينس) الذي يستمتع بالقتل العشوائي لليهود من شرفة منزله، لكنه بدوره يعيش دراما الحب والكراهية عندما يقع في عشق خادمته اليهودية، وانظر أيضا للموقف الميلودرامي شديد التأثير عندما قررت الممرضة اليهودية أن تعطي السم لمرضاها من العجائز لتخلصهم من موت أكثر عذابا وبطئا على يد النازيين.

أين ذلك كله من تلك الشخصيات المسطحة النمطية التي عاشت مع «**حكمت فهمي**»، ليس هناك في حياة هذه الشخصيات أية تحولات درامية دقيقة تجعلنا أكثر اقتناعا بوجودها ودوافعها، فقد انتهت جميعها كما بدأت، فيما عدا **حكمت فهمي** ذاتها التي أصبحت - ولاندري السبب- وطنية مخلصة ترفض إفشاء أسرار الثوار، وإن كان السبب الحقيقي هو أن «تمتعنا» النجمة «**نادية الجندي**» بمواهبها في مشاهد التعذيب كما تصورت أنها أمتعتنا من قبل في تقبل مشاهد الرقص والغرام الملتهب.

بين الفرد والجمهور

لكن «قائمة شندلر» لاينوي أن يكون درسا في فن الدراما، بل إنه كما قال **اسبيلبيرج** بنفسه في حفل استلامه لجوائز الأوسكار السبع كان «**درسا في التاريخ**»، **حتى لو كان بالفعل تاريخا زائفا**، لكن تلك براعته الحقيقية التي يجب أن نعترف بها، لكي نتعلم، وأرجو أن نتعلم، فالفيلم لايدور كما يبدو للوهلة الأولى حول فرد يدعى شندلر، ولنتذكر أن عنوان الفيلم هو «القائمة» وليس شندلر، وهو العنوان الذي يدعوك إلى أن تتذكر أنه يشير الى مئات اليهود، الذي احتلوا الشاشة في الأغلب الأعم من المشاهد، (ولتقارن ذلك بانفراد النجمة نادية الجندي وحدها بفيلمها من البداية الى النهاية)، فقد ظهرت تلك الجماهير عمالا في المصانع، وأسرى في حظائر الماشية، وأجسادا عارية تساق الى الموت.

وإذا كان المحاسب اليهودي **ايزاك ستيرن** الذي ترك أثره على مفاهيم **شندلر** يعتبر من الناحية الدرامية تلخيصا وتجسيدا لمايريده الفيلم لشخصية «**اليهودي المثالي**» **المزعوم**، فإن الفيلم كان حريصا في الشخصيات الأخرى على استخدام ممثلين غير مشهورين لأداء الأدوار الرئيسية، وألا يقع أداؤهم في النمطية حتى يصبح الفيلم أكثر إقناعا، لكنه كان أكثر حرصا على أن تكون جماهير «الشعب» اليهودي» - وهو الاصطلاح الذي يعشق الصهاينة التأكيد عليه، على الرغم من افتقاده للعلمية وإغراقه في العنصرية- هي البطل الحقيقي في الفيلم، بينما غابت الجماهير تماما عن التاريخ مع «**حكمت فهمي**». بل إن الأكثر أهمية هو أن يؤكد **اسبيلبيرج** في تصريحاته الصحفية: «إنني لا أحكي عن الألف ومائتين من اليهود استطاع شندلر انقاذهم من براثن النازي، لكنني أتحدث عن ستة ملايين يهودي لقوا حتفهم بالفعل في معسكرات النازيين».

وإذا كان في ذلك الفرق بعض ظلال من الاختلاق، والتجاهل لعشرات الملايين من الشعوب الأخرى التي ذاقت الموت في المعارك الطاحنة ضد النازية، فإن **اسبيلبيرج**- وآلة الدعاية الصهيونية من خلفه- لايرى ولايريد أن يرى إلا تأثيره الساحر على تغيير مفاهيم الجماهير التي تشاهد أفلامه، وهو الذي



سبيلبيرج

أعطى ظهره في الماضي لكل الشعوب المقهورة في عالمنا المعاصر ليصور لنا المشاعر الرقيقة لمخلوقة الوهمي (**إي. تي**) القادم من خارج الأرض، وهو أيضا الذي خرج لتوه من «**حديقة الديناصورات**» الذي حصد أكبر الايرادات في تاريخ السينما، لكنه اليوم مع «قائمة شندلر» يؤكد في دهاء حقيقي: «ليس مهما أن يأتي الفيلم بالأرباح من شباك التذاكر.. المهم هو أن ربع الشعب الأمريكي، وستين في المائة من طلبة المدارس، لايعرفون معنى كلمة **هولوكوست** (الابادة الجماعية المزعومة لليهود على يد النازيين)... وإنني أسعى مع «قائمة شندلر» الى أن يتأكد الناس، في أمريكا وفي كل أنحاء العالم، أن الهولوكوست كان وسوف يظل حقيقة يجب ألا



تغيب عن ذاكرتنا أبدا».

الفن والسياسة
فوق عوامة

ربما كان من أهم بديهيات السينما وأبجدياتها - التي مايزال معظم صناع السينما عندنا يجهلونها أو يتجاهلونها - هو أن تتوافق الجماليات والتقنيات مع الموضوع والمضمون، لكن نادية الجندي تؤكد بأقوالها المنشورة والمنشورة في العديد من المجلات الفنية على أن «التميز ليس في الموضوع، وإنما في الابهار»، لذلك بحثت عن كاتب السيناريو **بشير الديك** لكي يختلق الموقف الدرامي تلو الأخر لتحقيق هذا الابهار، ووجدت في المخرج **حسام الدين مصطفى** ضالتها المنشودة لتنفيذ مشاهد الاستعراضات والغرام ومطاردات «الأكشن»، بينما قاوم اسبيلبيرج طويلا ليقنع شركة الانتاج بأن يكون فيلمه بالأبيض واسود حتى يكتسب مسحة وثائقية، ورفض المساومة على أن يصنع نسخة بالألوان لتصبح مضمونة التسويق في شبكات التليفزيون، وأصر على استخدام الفيلم الخام الذي يحقق له أغراضه الجمالية والسياسية، واختار الكاميرا المحمولة على اليد أو الكاميرا الثابتة ليبتعد عن الأسلوب التقليدي **لسيسيل دي ميل أو ديفيد لين** في صنع الأفلام ذات الانتاج الضخم، ليتقرب - كما يقول بنفسه - من الاسلوب الاخباري للشبكة التليفزيونية (سي. إن. إن.)، وانتقل إلى موقع الأحداث ليصور في مصنع شندلر الحقيقي في مدينة كراكوف، وقريبا من معسكرات أوشفيتز، حيث كان الممثلون الاسرائيليون يبكون لأنهم يرون دماء الأسلاف مختلطة بالطين.

وكأن صناعة فيلم «**قائمة شندلر**» - في الحقيقة أو الدعاية المصطنعة الزائفة - كانت فعلا يشبه أفعال الطقوس الدينية، حتى أن اسبيلبيرج يقول أنه اكتشف مع الفيلم، وللمرة الأولى، أنه يهودي، وأنه لم يعرف السينما من قبلها قط، وأنه لن يعود إلى صناعة أفلام تغازل خيال المتفرجين: «إنني أصنع هذا الفيلم لنفسي.. للذين عاشوا من اليهود وبقوا على قيد الحياة وتم انقاذهم.. لعائلتي وأطفالي».

بالمقارنة مع صناعة «**قائمة شندلر**»، ترى نسيم كان يفكر صناع فيلم «**حكمت فهمي**» وهم «يسهرون» على تنفيذه سبع سنوات كاملة (كما تؤكد نادية الجندي) ترى



نسيم يفكر العديد من نجومنا من الممثلين والكتاب والمخرجين وهم عاكفون على صنع الأفلام التي يقولون لنا أنها «سياسية»؟ إن أردت الاجابة فعليك أن تقارن بين المنهج والهدف الذي يضعه الساسة المحترفون من الصهاينة في التعامل معنا، ومايفعله المفاوضون من ساستنا «الموظفين». وهو أيضا الفرق بين القرار الجماعي الذي يعتمد على استراتيجية واضحة مهما تغير التكتيك، كمالايعتمد أبدا على الأسماء التي قد تتغير أو تختفي، والقرارات الفردية المفاجئة التي تتجاهل الجماهير تجاهلا كاملا، وتقف على أرض النجومية التي لاترضى لنفسها بديلا، وهو بالاضافة الى ذلك كله الفرق بين المخطط الصهيوني الذي بدأ منذ أكثر من مائة عام ليسير في خطه المرسوم، بينما تقتصر سياستنا على ردود الأفعال التي لاتقرأ التاريخ ولاتضع حسابا للمستقبل.

لقد ظل «**قائمة شندلر**» ينتظر التنفيذ في أدراج شركة الانتاج لأكثر من عشر سنوات، وهاهو يظهر في الأوان المناسب تماما، الذي تتردد في أصدائه كلمة «**السلام**»، التي تحمل ألف معنى ومعنى، والذي تجلس فيه الأطراف العربية واحدا بعد الآخر على مائدة المفاوضات، بينما تستمر الطائرات الاسرائيلية في قصف المدن والقرى العربية، وتضع السلاح في أيدي المستوطنين الصهاينة ليقتلوا العرب العزل وهم سادرون في صلاتهم، وتمنع الفلسطينيين المبعدين من دخول «وطنهم» رغم غطاء «الحكم الذاتي». وكأن **الصهاينة يريدون أيضا بفيلم «قائمة شندلر» أن يضعوا ستارا من السينما شديدة البراعة والخبث، تتحدث عن هولوكوست أسطوري، لتخفي الهولوكوست الحقيقي الذي** تدور رحاه كل يوم، **ويروح ضحاياه الآلاف من الجماهير العربية**، الذين يرضى نجومهم في السياسة والفن بأن يقودوا النضال من أماكن لاتختلف كثيرا عن «عوامة» **حكمت فهمي** التي يجرفها التيار الى المجهول.

ترى إلى من يجب أن نوجه اللوم: إلى اسبيلبيرج الذي صنع فيلما صهيونيا بارعا، أم الى **نادية الجندي** التي صنعت شريطا ملونا من السليولويد لتظل نجمة الشباك الأولى في مصر والعالم العربي، أم إلى الذين يتركون التاريخ نهبا للتزييف والتلفيق، أم الى الذين لايتركون الجماهير تصنع تاريخها، بل يتركون الآخرين يصنعون لها هذا التاريخ؟

"منيا" آه .. "أسيوط" لا من شابه أباه

ماجدة موريس

وجهت محافظة **اسيوط** أول أتهام لقناة التليفزيون السابعة التى تخدم شمال الصعيد.. أتهم أبناء المحافظة القناة بمحاباتها لمحافظة **المنيا** حيث يوجد مقرها الرئيسى وقالوا أن المسئولين فى ق ٧ يتجاهلون تماما الايجابيات الموجودة فى محافظة اسيوط ويتعمدون عدم أبراز أنشطتها ومشروعاتها الكبرى التى تقام على أرضها، الكلمات السابقة منشورة بالحرف فى جريدة الأخبار صباح يوم ١٩٩٤/٨/١١ بالصفحة التاسعة المخصصة للمحافظات.

وليس هذا أول اتهام لقناة محلية من قنوات التليفزيون المصرى المحروس ولكنها الشكوى الأولى الرسمية منذ بداية انشاء التليفزيون نفسه عام ١٩٦٠.

فمن قبل أشتكى الكثيرون من برامج التليفزيون، وأشتكى **المثقفون من تجاهل الثقافة، وأشتكى المواطنون من محاباة المسئولين على حسابهم، واشتكى العلماء، من تجاهلهم والجرى بالمشاوير وراء لعبة كرة القدم، وأشتكى نجوم الفن الحقيقيون من الجرى وراء «النجوم» المرضة الذين يظهرون بلا سبب كالفقاقيع ويختفون لاسباب تخصهم ولاتخص الفن**.. باختصار، منذ ٣٤ عاما كاملة والشكوى لاتنقطع من وراء «**المحاباة**» التى ابتلى بها التليفزيون المصرى، ومنهج التميز والتفضيل الذى أمتد من السياسة إلى كل الموضوعات الآخرى التى يقدمها على شاشته، أما «**التجاهل**» فهو طقس أصيل يمارسه دائما ولباقته فى هذا الشأن لا يعلى عليها وتاريخه الطويل زرع فى نفوس كل الشاكين يقينا بأنه لا فائدة من الشكوى.. فهى لغير الله مذلة.

لكن يبدو أنه قد آن الآوان للتعامل مع التليفزيون بشكل آخر، ومن نفس الاجهزة التى يفترض أنها مكمن الأمان فمحافظة اسيوط هى محافظة حكومية بحكم النظام السياسى يحكمها محافظ معين من حكومة الحزب الوطنى الديمقراطى وقياداتها كذلك، وأيضا تليفزيون القناة السابعة هو تليفزيون حكومى معين برئيسه وقياداته من قبل وزارة الاعلام أحد وزارات الحكومة والحزب، وكذلك الأمر بالنسبة لاعضاء المجلس المحلى الستة الذين اعلنوا الثورة على **ق ٧**، فهم اعضاء مجلس قريب ونسيب الحزب الوطنى، أى أنه ليس من بينهم غريب، وبالتالى تصبح الشكوى بين أبناء البيت الواحد ولن تصلح معها هذه المرة الحجة الخالدة للحزب والوزارة بأن الشاكين معارضون حاقدون لايقدرون كل الانجازات التى قدمتها قنوات التليفزيون إلى الشعب المصرى.

ولقد حدث من قبل أن اتهمت محافظة **السويس** القناة الرابعة التى تخدم محافظات مدن القناة بممارسة التميز لصالح مدينة **الاسماعيلية** التى يوجد بها مقرها الرئيسى، لكنه كان اتهاما شفويا، لم يتحول إلى أتهام مكتوب أو رسمي لأن احدا لم يجرؤ على فعل هذا مثلما حدث فى هذ الواقعة التى نشرتها الأخبار. ولعلها سابقة هامة فى تاريخ التعامل مع التليفزيون المصرى بشكل عام، وتاريخ التعامل معه بشكل جماعى وليس فرديا. فمن قبل كانت كل الشكاوى تأخذ طابعا فرديا غير منظم، أكثرها شفوى وأقلها مكتوب، وكان الشاكى يربو بنفسه عن الدخول فى متاهة شكوى مكتوبة تعرضه لانواع من ردود الافعال قد لاتليق به وبكرامته أقلها مثلا أن تذهب إلى سلة المهملات أو تحاط بجدار من الصمت، أو أن يحاولوا التقليل من شأنها بحجة أن الشكوى من جهاز التليفزيون وتحيزه أمر غير مهم لايجب أن يشغل بال أحد فى عصر القضايا الكبرى والهجوم الاكبر.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الانفعال وردودها استمرت كل هذه السنوات تمنع مناقشة «أمور التليفزيون» فى مصر مناقشة حقيقية وموضوعية كقضية تهم الرأى العام كله. بينما استمر التليفزيون يكرس مناهج المحاباة والانحياز والتفضيل للبعض على حساب البعض أوستمرت هذه القضايا لاتجد من يدفعها خطوة **واستمرت (السياسات الاعلامية) حكرا على وزير الاعلام ومعاونيه**، وأستمر كل شئ على ماهو عليه، ومن هنا فإن مايلفت النظر هنا ليس الاتهام فى حد ذاته الذى وجهه ٦ من أعضاء المجلس المحلى لمحافظة اسيوط، وبحضور

المحافظ. وأنما هو دلالته، وتبعة أن يجتمع ٦ معا. ليقرروا بأن الدولة قامت مشكورة بافتتاح القناة السابعة لشمال الصعيد فى أول فبراير الماضى بهدف خدمة المنطقة ورفع مستوى الوعى لدى ابنائها إلا أن هذه القناة، النونو، لاتكاد تذكر شيئا عن انشطة أسيوط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وأكد المضر **مراد ثابت** كمال بقول الخبر أن تركيز هذه القناة منصب على محافظة المنيا وماتنعم به من استقرار وأمن ولاتتعرض اطلاقا لمحافظة اسيوط، والمطلوب توضيح صورة أسيوط وابراز الايجابيات بها ووطنية شعبها. أما **اللواء سميح السعيد** المحافظ فقد عقب على كلمات الاعضاء، بالكلمات الآتية:

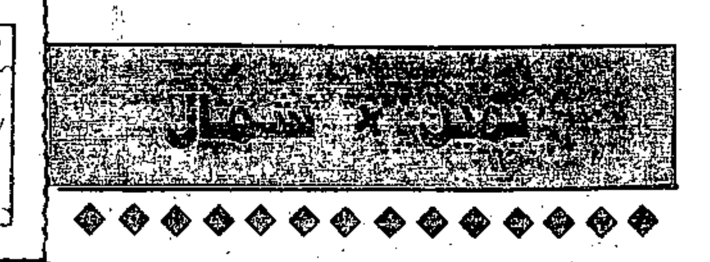
تعليمات الدكتور صفوت الشريف وزير الاعلام تقضى بعرض ايجابيات اسيوط أو الوجه الآخر لها، ومن ثم فإن التليفزيون يقوم بهذه التغطية بعكس ماتقوم به الصحافة، بالنسبة لهذه القناة فإنها لاتذيع أخبارا أو أنشطة أو تقوم بعمل لقاءات ومازالت محطة للتجارب وقد تم الاتفاق - مازال الكلام للمحافظ - مع مدير المحطة بالحضور ٣ أيام كل اسبوع لتسجيل الانشطة بالمحافظة »

أنتهى كلام المحافظ الغريب بل العجيب- والذى يسير على منهج التليفزيون، ولايخرج عن «صف» الحزب الوطنى. فالمحافظ رد على ثورة اعضاء المجلس بأن حابى التليفزيون وتحيز له لأن تعليمات الدكتور- **صفوت الشريف**- تقول بأن التليفزيون يعرض ايجابيات أسيوط وليس مهما بعد ذلك أى شئ أخر- غير أن المحافظ لايكتفى بمحاباة



صفوت الشريف

التليفزيون ولكنه يهاجم الصحافة ثم يقلل من شأن القناة السابعة فهى لاتذيع اخبار أو أنشطة ومازالت محطة للتجارب ويقرر حضرة المحافظ بأنه «تم الاتفاق مع مدير المحطة بالحضور ٣ أيام كل اسبوع لتسجيل الانشطة بالمحافظة».. من الذى اتفق؟ وهل المطلوب أن تتحول القناة إلى قناة دعائية لتسجيل الأنشطة؟ وأى فهم لدور الاعلام ينطلق من هذه الرد؟.. كلها اسئلة تعطى فكرة عن القضية الحقيقية،فهى دور الاعلام نفسه الذى تقدمه قنوات التليفزيون بشكل، وتفهمه قيادات الحكم المحلى بشكل آخر، وبدلا من أن نسعى إلى تليفزيون قوى مستقل يسعى لأن يكون صوتا للمواطنين الشرفاء، فإن هناك من يسعى لأن يحوله لنشرة مصورة لنشاطاته بحكم وظيفته الرسمية. ومعنى هذا أنه مكتوب على التليفزيون فى بلادنا أن يفلت من مواجهة العاملين به ليقع فى أسر قيادات الحزب الوطنى والدعاية لها.. فيا أيها التليفزيون. كم من الخطايا ترتكب بأسمك، فمتى تتحرر من سلطان الاجهزة إلى سلطان الضمير الاعلامى الوطنى والمهنى فقط؟



بين البدرى.. وعاطف باشا

فى رده على استجواب البدرى فرغلى قال السيد «عاطف باشا صدقى» كلاما كثيرا ليس عن المستندات ولاعن الواقع ولكن قسال أن السياسات التى يتكلم عنها البدرى عفا عليها الزمن وانها مكتوبة له وليست من وضعه وقال: أن هذه السياسات هى سبب خراب مصر ونسى أشياء كثيرة.

- أولا نسى تاريخ البدرى ذلك الرجل البسيط الذى وصل الى مجلس الشعب فى ظروف سينه فإن لم يكن له فكر وتاريخ وهوية ورصيد من النضال لما وصل الى هذه القبة.

- نسى أو تناسى المنجزات التى حققتها هذه السياسات التى شارك فيها عاطف بيه بالفكر والعمل وأن مقومات وجود دولة عصرية قوية هى من نتاج هذه السياسات.

وفى عجالة تعالى معى نستقرأ الواقع الذى حدث بعد الرده والانفتاح والخصخصة: -

*التضخم الذى يقول عنه الباشا أنه طبيبه عصباء، وأنا أقول لسيادته ليست عصياء، بل هى تعرف جيدا ماتصيبه من أخذ وعطاء.. وتدهور قيمة الجنيه المصرى ومعه يتدهور المواطن المصرى.

*البطالة التى أصبحت شبحا يهدد سماء مصر بكاملها لأن معدلاتها تتزايد باستمرار.

* غياب الهدف الوطنى والتوجه القومى مما جعل التطرف والارهاب ينمو ويستشرى ويساعد قوى الظلام والقوى الأجنبية التى تتربص بمصر على نسف وزعزعة قوام الأمة ووحدتها.

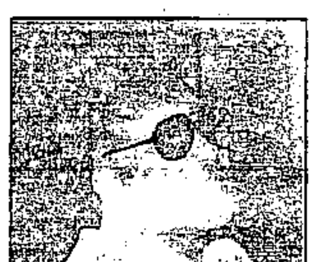
*انهيار الخدمات العامة ولاسيما الصحة والتعليم والزراعة وأصبح جهاز الدولة يتفرج وليس له دور.

*عدم وجود تخطيط لنمو وتطور الصناعة الوطنية بل السير قدما فى بيعها لأى مشتر مهما كان جنسه.

*ضرب المنتج الأول فى هذا البلد وهو الفلاح فى شكلين: الاول بنك القرية الذى يرفع نسب ربحه دائما. والثانى، قانون عودة الإقطاع المطور مرة أخرى. الى جانب تخفيض منتجاته وتركها نهبا للتجار.

وفى النهاية أسوق مثلا عشناه فترة بسيطة عندما تبنت الدولة مشروع البتلو الذى أدى الى أن سعر كيلو اللحم كان ٥ر٧جنيه وعندما تراجعت الدولة عن هذا المشروع تضاعف سعر كيلو اللحم والسبب فى ذلك أيضا هو كثرة الوسطاء والسماسرة الذين دخلو أسوق تجارة العجول الصغيرة والغريب أن الفلاح هو الذى يربى هذه العجول بمعنى أنه يخسر ليكسب الجزار فهذا جزء بسيط من الكل الذى نعيشه باسعادة مدبر عموم مديرى مصر. فما هى إذن السياسات التى أدت الى الخراب وأكل الأخضر واليابس.

عبد الله عبد الله الخطيب


عاطف صدقى


البدرى فرغلى

الفساد

من منتصف السبعينات

حدث شرخ فى الحياة المصرية جاء نتيجة ردة سياسية قلبت الموازين وبالتحديد من ١٣ مايو ١٩٧١ فمن هذا التاريخ يجب أن نبدأ أى حديث عن الإرهاب ووجه العمله الآخر له وهو الفساد نتيجة لسياسة الرئيس الراحل فى ضرب رموز الاشتراكية فتح الباب لمن اطلق عليهم القطط السمان ومن أجل القضاء على الفكر اليسارى بكل تياراته «قوميين عرب، ناصريين، شيوعين» فتح الباب لهواة الإفتاء، وأصحاب كلمة التكفير ليقوموا بالهجوم على اليسار، ويتفرغ اليساريون للرد عليهم لينفذ هو اراء الصديق «كيسنجر» ويستطيع أن يتربع على غلاف المجلات الامريكية، وينفى ماعلق فى نفسه من رواسب قديمة فوجدنا حادثة الفنية العسكرية، ومقتل الشيخ الذهبى، وسمعنا عن شكرى مصطفى بنظراته الشيطانية. وعلى الجانب الاخر من العمله وجدنا ماأسماهم المرحوم د. / محمود القاضى بالقطط السمان ثم ظهرت الدفعة التالية لهم وهم تجار الأغذية الفاسدة مثل توفيق عبد الحى الى تجار كل شئ مثل رشاد عثمان الى عصمت السادات الى نواب الكيف معذرة فهذا مدخل الى ماأريد أن أتحدث عنه فى كلمات سريعة.

نجد أن تطور الارهاب بدأ من بدايته الصحيحة وهو الاقتصاد فحاول السيطرة عليه من خلال إعلانات بكبار العلماء الذين يثق فيهم العامة من



د. محمود القاضي..

التصدي للفساد

الشعب متسترا برداء الإسلام. وقد ساعدت أجهزة الإعلام هذه الشركات عن طريق تلفزيونها وندوات مشايخ شركات توظيف الاموال مما جعل الجميع يثق في هذه الشركات كما استطاعت هذه الشركات أن تجعل الصحف تدخل في دوامة هل فوائد البنوك حلال أم حرام وهنا التحم **الفساد بجماعات الإسلام السياسي** عن طريق استخدام كبار المسئولين ومدهم بما يسمى بكشوف البركة.

وعندما ارادت الدولة انقاذ مودعي هذه الشركات لجئوا الى ضرب السياحة ليكون الناتج لصالحهم في احداث ازمة نتيجة لخروج اموال المودعين خارج مصر بجانب خفض ايرادات الدولة من السياحة مما يساعد على تفشي أزمة البطالة. وزيادة الأسعار.

الخ من المشاكل المزمنة على كاهل المواطن.

وبرغم كل ما سبق الا أن الفصل بين الفساد والإرهاب لابد أن يتم أولا حتى نستطيع أن نتصدى لهم حكومة وشعبا.

* ولنبدأ بالحديث عن كشوف البركة مع استرداد هذه الاموال لصالح صغار المودعين.

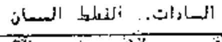
* منع كل المشايخ الذين ظهروا أو عملوا في شركات توظيف الاموال أو تربحوا بأي طريق منها من العمل في التليفزيون او الازهر او الاوقاف.

* نشر جميع قضايا الفساد في الصحف حتى يعلم كل من يصل الى الكرسي أنه سيحاسب غدا او بعد غد

* دعم كتب التنوير وزيادة المطبوع منها ونشرها عند باعة الصحف.

* هذه اراء اجد أن الحكومة الحالية لن تستطيع تنفيذها دفعة واحدة فيمكن البدء في القضايا المعروضة امام القضاء برفع حظر النشر عنها وترك الصحف تبحث عن مصادر تمويل الإرهاب الى أن افول عاشت مصر لكل المصريين

غريب الشيخ
إمام جمعية الشبان المسلمين



السادات.. القطط السمان



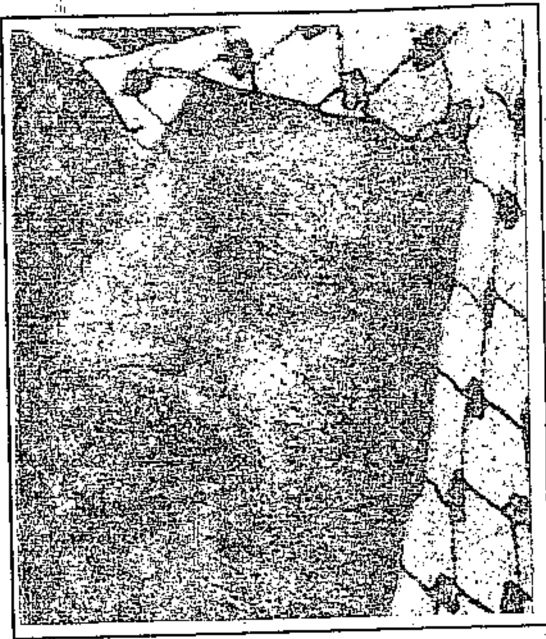
ليست مذبحة الخليل الأولى

.. اعاني كثيرا لأن نومي ثقيل فكم تمنيت أن أصحو قبل غيري، أما في ذلك الفجر فلا أدري كيف نهضت فجأة محاولا تجميع اشلاء، تلك الأصوات المتناثرة هنا.. وهناك.. يخطف بعضها الاثير الى البعيد.. وبعضها يسقط تحت نافذتي فالتقطه محاولا تجميعه وخلق كلمات مفيدة.. كنا قد تعودنا أن يكون المنادي جنديا حقيرا هاتفا «ممنوع التجول».. ولكن في ذلك الفجر كل شئ كان مختلفا.. لقد كان إنسانا عاديا مثلك يهتف بصوت تقطعه حشرجة الدموع.. «..**إنزلوا الى الحرم الابراهيمي ياأهالي الخليل لقد ذبح المستوطنون المصلين هناك.. انزلوا**» فقمت بسرعة احمل جسدي واهبط به كل درجات البيت لكن الأزمة وضيق النفس فاجآني.. فسحبت جسدي بمزيد من الاصرار لكن تلك الامراض أبت إلا أن تتشبث بي واجبرتني على الوقوف الى جانب الطريق **فلقد تذكرت فجأة بأنني اصبحت عجوزا «كهلا»**...

فأخذت أراقب الشباب تتسابق من كل الزوايا.. والسيارات «تعلق زامورها» معلنة الاستنفار.. واطفالا صغارا تلملم حجارة وتصنع اعلاما سوداء.. عندها تذكرت وضعا مشابها لم تكن في شوارع ولا ارصفه.. لم يكن فيه سيارات ولاسماعات تهتف.. ولم يكن فيه وقت للاستنفار.

.. **كان ذلك منذ خمسة واربعين عاما في الخليل ايضا** أدري أنه مر زمن طويل.. لكن لكل شئ نهاية إلا الذكريات.. والذكريات الأليمة ترسم خطوطا على الجبين لا يمحوها الزمن.. وتحفر سبولا تحت العيون لا يوقفها سد.. يوم مذبحة الحرم الابراهيمي جلست ابكي على طرف الطريق عجوز كهل لاحول له ولاقوة.. ولكن يوم مذبحة الدوايمة» قبل خمسة واربعين عاما لم ابك كنت فتى لايتجاوز الخامسة عشرة ارسلتني زوجة أبي لأبحث عنه وكنت اتساءل لماذا هي قلقة لهذا الحد.. سألت بعض الناس فأخبروني لعله لجأ الى الجامع.. «لجأ» ولماذا «لجأ» أخبرني عجوز كهل بصوت متقطع الا تدري ياإبني اليهود سيهاجمونا وليس لنا مكان آمن مثل بيت الله..

إن والدي متدين جدا إذن لابد أنه هرب الى «بيت الله» وحين وصلت هناك كان في الجامع معظم رجال البلد.. نادى



عرفات

على صديق لوالدي وقال:- والدك ليس هنا.. تعال أنت يابني تعال... **من دخل بيت الله لهو آمن»**، ولكني تركته يتحدث وتركت أكثر من اربعمائه رجل من فتى وشاب وعجوز يقرأون القرآن تقربا الى الله ومحاولة منهم لرد الاذى.. ولم ابتعد كثيرا حتى سمعت صوت اطلاق نيران فقمت بالصعود الى تله لاستطلع الأمر فرأيت الجنود يدخلون بيت الله ويقتلون كل من فيه لم يتركوا حتى طفلا يقص قصة المجزرة.. ولا أدري كيف استطاعوا الحصول على «جرافة البلد» فأخذوا يحملون مئات الجثث بالجرافة ويقذفون بها الى حفرة كبيرة أعدت لصناعة «الشيد» اللازم لدهن الجامع باللون الابيض.. وغطيت تلك الجثث التي بعضها لم يكن جثثا كان جرحى ومصابين وكهولا وشيوخ غطت «بالشيد» والتراب.. عندها ادركت ان على الهرب.. فلقد كنت اعزل.. ولاحظت مجموعة من الناس تهرب مذهولة رميت جسدي بينهم واخذت أركض وكان الرصاص يرتش امامنا فارشا بساطا أحمر نعبر عليه نحو الدم والموت.. مد لي احد الكهله الفارين يده طالبا أن أجره معي وكان ابنه يركض الى جانبه لقد كان يوما لايعرف فيه الولد أباه لقد كان يوما حزينا مليئا بالصراخ وازيز الرصاص.. قررت أن لا اعبر الطريق المألوف وقمت باللف خلف الجبل وعندها سمعت صوتا رقيقا اشبه بالبكاء.. وعندما اقتربت من مصدر الصوت وجدت طفلا لم يتجاوز الاشهر الأولى من عمره ملقى على الارض ووجهه معفر بالتراب نظرت اليه.. لا أنكر بأني حاولت أن اكمل طريقي مسرعا لانفلت بجلدي وحياتي وكدت انجح لو أنه لم يرفع رأسه ويستعطفني فعدت رفعته وقلت إما ان نعيش معا او نموت معا يا رفيق... وسرت وبدأت الشمس تغرب وبعد فترة طويلة وصلت منطقة تسمى **«دير سامت»** لقد كان يعج بالناس الهاربين.. وعن بعد ناديت- **ياناس مين فيكم فقد طفل.. انا معي طفل وكانت بين الناس امرأة تحمل وسادة على صدرها وعندما تحدثت عن الطفل نظرت الى الوسادة قائلة انها طفلها يا الهي العظيم.. إن تلك الوحوش.. أن آكلي لحوم البشر هؤلاء جعلوا الأم تخلط بين الوسادة وطفلها وحملتها عشرات الكيلو مترات قائلة وانها تحمل طفلها الرضيع** وعندما حضرت تذكرت طفلها فقامت تصرخ وتمزق شعرها.. أخبرها شيخ أنه رأى جماعة هربت باتجاه **«الطور»** فصعدت راكضه وصعدت واتى معنا بعض الرجال.. وحين وصلنا كان هناك مايشبه المغاره فتوقعنا ان بها شئ.. وفعلا لقد كان بداخلها ثمانية عشرة مقتولا برصاص اليهود.. والمؤلم ان بينهم طفل رضيع يجلس على صدر أمه المقتولة محاولا الحصول على حليبة - ولو عشت عمري كله لن أنسى لمحة من ملامح ذلك الموقف- أخذنا الطفل معنا وعدنا.. وعندما خيم الظلام قمنا نكمل المسيرة من **دير سامت** وحتى قرية إذنا في الخليل ومنها الى وادي القف وصلنا وادي القف وانا مازلت أحمل ذلك الطفل المسكين الذي كان يتلوى جوعا طيلة الوقت.. اذكر جيدا كيف كنت احاول تدقيق النظر في الوجوه واصغى جيدا للاصوات باحثا تحت اجنحة الظلام عن وجه يشبه وجه ابي او كلمات تشبه كلماته ومع الفجر وكنا مانزال نسير بخفة

رابين



وخوف شديدين سمعت صوتا ينادي من بعيد.. محمد.. يامحمد.. لقد كان صوت رجل كهل ينادي مره.. ويبكي مرتين.. قال أحد الناس لعله فقد احدا اسمه «محمد» في مذبحة جامع البلد.. فجلسنا هناك لنستريح قليلا ولكن كيف استريح وصوت ذلك الكهل يحزن قلبي.. فقمت بالصعود الى أعلى تلك التله لاواسيه واسكت أحزانه ونجحت في الحال.. اوتدرون لماذا؟؟ لأنه كان والدي.. ومحمد هذا كان اسمي.. كان أنا..**دموع والدي اعادت لي ذاكرتي ففي ازمة الخوف نسيت إسمي..** وبقينا هناك في- وادي القف- اخبرنا المخاتير والدراويش انا سنعود الى الدوايمه- (منطقة تابعة للخليل) بعد ايام قلائل.. فانتظرنا اشهر نسكن العراء، وعندما لاح أيلول الحزين رحلنا... ليس الى بلدنا «الدوايمه» معاذ الله.. لكن الى مخيم عين السلطان في مدينة اريحا.. ولأول مره دخلت القواميس الفلسطينية كلمتا لاجئ- مخيم.. فهما توأمان ولدا معا.. فعشنا هناك سنين طويله.. وتنقلنا في مخيمات كثيرة ننتظر العودة ولا أمل للعودة.. واخيرا استقر المطاف في مدينة الخليل.. فلقد كبر أولادي في حضن الغربة.. ولازلت أجلس معهم كل ليله واحدثهم عن حلم أيام جميلة كانت في بلدنا من زمان واسمها الدوايمه.. واذكرهم بالمذبحة وكل من قتل امامي ولكن الليله وهذه الليلة بالذات سأحدثهم عن مذبحة الحرم الابراهيمي وسأحدث احفادي.. فطالما هؤلاء الجنود ينتشرون بيننا كالذباب.. سوف تستمر المذابح..

فداء محمد
الضوري
الخليل

حرب الأصوليين الشاملة

أخطأ الأصوليون الاسلاميون، خطأ فاحشا، حين دقوا طبول الفكر ونفخوا فى زمامير الفتة، وجمعوا أنفسهم بعصا المعلم، وأعلنوها حربا مقدسة، ضد قرار وزير التربية والتعليم بتوحيد زيّ الطلاب الذين يدرسون فى مدارس التعليم العام، وضد قرار وزير السكان بالموافقة على انعقاد المؤتمر الدولى للسكان والتنمية فى القاهرة، فتتالت فتاواهم تكفر وتؤثم، وتتابعت خطبهم تدعو المصلين من فوق منابر المساجد للدفاع عن مقدساتهم، وصدرت صحفهم تدعو القراء لرجم المؤتمرين، بأسلوب ومنطق، يدعو للشك فى قدرتهم على أن يجتهدوا فى أمور الدين بما يوائم تغير الازمان ويثير الخوف من الطريقة التى سوف يحكمون بها، إذا ماقدر لهم أن يتولوا مقاليد الحكم فى هذا البلد المسكين.

وربما يبدو غريبا أن تنشب الحرب بسبب هذين الموضوعين الهامشيين، وأن تشترك فيها كل فصائل الاصوليين على مابينهم من خلافات حادة، من المتشددين الى المعتدلين ومن المستنيرين الى المنتمين للمؤسسة الدينية الرسمية فى الأزهر والاوقاف، مع أن الزى المدرسى الموحد كان معمولا به الى عشرين عاما مضت، فلم تتعرض عقيدة طلاب المدارس لخطر ، ومع أن مصر وغيرها من البلاد الاسلامية قد اشتركت من قبل فى مؤتمرات دولية للسكان ولغير السكان، فلم تسفر مشاركتها عن تطبيق أية قرارات أو توصيات تخرج على أصل من أصول الدين، بل إنها عند التوقيع على نصوص العهود والمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الانسان تتحفظ على بعض بنودها ، لمخالفتها للشريعة الاسلامية، وتستثنيها صراحة من الموافقة عند التوقيع.

وأخطر ما فى هذه الحرب أن الأصوليين الاسلاميين قد خاضوها وهم جبهة واحدة، و باعتبارهم مرجعية دينية ، صاحبة سلطة فى الرقابة على قرارات الوزراء ، وفى قياس مدى شرعيتها ، وصاحبة حق فى التحريض الدينى ضدها . إذا ماتجاوز القرار الادارى مايعتبرونه الموقف الاسلامى الصحيح، وهى رؤية كانت واضحة تماما فى البيان الذى أصدرته لجنة الفتوى بالأزهر، وفى المقالات التى استندت اليها ، لتعطى للأزهر سلطة لايمنحها له قانونه الذى يتعامل معه باعتباره معهدا تعليميا جامعيا شأنه فى ذلك شأن أى جامعة أخرى.. على نحو يثير الشك فى مصداقية تصريحات المعتدلين من الأصوليين الاسلاميين، بأنهم يسعون الى دولة مدنية يديرها المتخصصون والفنيون بقوانين تصدر طبقا للدستور وتتواءم مع نصوصه وروحه.

وأسوأ ما فى تلك الحرب الديماجوجية أنها نشبت لدوافع سياسية وليست دينية، إذ لم يعد سرا أن الخطوة الأولى فى خطة الأصوليين الاسلاميين لتمهيد الأرض لحكمهم، هى احياء مايسمونه بالرموز الاسلامية فى المظهر وفى السلوك، ابتداء من اطلاق اللحية الى إرتداء الجلباب الابيض القصير ومن استعمال السواك الى تكحيل عيون الرجال.. ومن إشاعة الحجاب الى فرض النقاب.. وهو هدف لا اعتراض لنا- من حيث الشكل- عليه، طالما أنه يتم بالاقناع، وبعيدا عن العنف والاكراه، ودون خروج عن النظام العام، الذى يقضى بأن مدارس التعليم العام مؤسسات تربوية، تهدف الى تكوين وجدان قومى مشترك بين جميع أبناء الوطن على اختلاف أديانهم وعقائدهم، وهى مستقلة عن الجامع وعن الكنيسة.

لكن مانلاحظه- من حيث الموضوع- أن القسم الأعظم من هذه الرموز، لاعلاقة له بالاسلام كعقيدة أو شريعة، فهى تقاليد اجتماعية ترتبط ببيئتها وبزمانها . لكن الرغبة فى صبغ المجتمع بالصبغة الاسلامية، والعجز عن التوصل لاجتهاد حقيقى لصيغة معاصرة، تدفع الأصوليين الى إضفاء القداسة على كثير من الرموز الشكلية، وتميل بهم الى اختيار التفسيرات المتزمته لماورد بشأنه نص، والى الفصل بين النص وأسباب نزوله والحكمة من هذا النزول، بل وتفردهم الى ابتداع الاحكام، حتى أن بعضهم هاجم القرار المنظم للزى المدرسى لأنه لم يفرض الحجاب على طالبات المدارس الابتدائية مع أنهن غير مكلفات به، حتى فى أكثر التفسيرات تزمتا ، ومع أن الآراء تختلف حول فرضة على من هنّ أكبر سنا ، بل إن فتوى الأزهر أقرت بمشروعية النقاب، وأن كانت لم تعتبره فرضا ، بينما شنت الحرب ضد مؤتمر السكان استنادا الى أنه سوف يناقش موضوعات، لاتجوز مناقشتها فى بلد الأزهر، مع أن السلف الصالح من المسلمين ، لم يترك موضوعا لم يناقشه، مهما بلغت حساسيته.

ولبس الأصوليون الاسلاميون فى حاجة إلى من يذكرهم بأسلاف لهم، افتوا بأن ارتداء المسلم للبدلة الأوربية خروج عن العقيدة، ووضعه للقبعة على رأسه تشبه بالكفار ، ودخوله للمستشفى هروب من قضاء الله، أو ينبههم بأن اعتبارات الواقع قد تغلبت، فاصبح المسلمون جميعا يرتدون اليوم هذه الملابس«الكافرة» لأنها الأكثر مراعاة لضرورات المناخ والحياء كذلك، أو يلفت نظرهم الى أن العالم قد أصبح اليوم قرية تكنولوجية تتبادل الأخبار والأفكار والعادات والتقاليد وأنماط السلوك والأزياء وأشكال التنظيم الاجتماعى، وأن النفخ فى نفير الجهاد من أجل ارتداء الحجاب أو العودة للسواك، هو هدف صغير، لايشغل إلا العقول الصغيرة، وأن الحريصين حقا على الاسلام، هم الذين يجتهدون فى شئونه ليوائموا بين الواقع المتغير، وبين نصوصه.

فهل آن الآوان لكى ينفخ الأصوليون الإسلاميون فى نفير الجهاد من أجل الاجتهاد ؟

صلاح عيسى